

الصوتيات

قضايا ودراسات

تقديم / د. بوداود براهيم

تأليف: مجموعة من الباحثين الأكاديميين

دراسات علمية أكاديمية محكمة



AlphaDoc



مؤلف دولي

جميع الحقوق محفوظة
المؤلف: مجموعة من الباحثين الأكاديميين
عنوان الكتاب: الصوتيات قضايا ودراسات



© منشورات ألفا للوثائق 2020

Isbn: 978-9931-691-87-7

الإيداع القانوني : جانفي 2020

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا
يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية
أخرى.

الطبعة الأولى

2020

الناشر

ألفا للوثائق

نشر- استيراد وتوزيع كتب

36. مكرر نهج سايفي أحمد س م ك قسنطينة الجزائر

الهاتف: 21331 7333 33

الفاكس: 21331 7337 94

النقال: 213770906434

عمان- الأردن: البوابة الشمالية للجامعة الأردنية

+962.797266248

البريد الإلكتروني: alphadocumentation@hotmail.com

الصوتيات

قضايا ودراسات

تقديم:

الدكتور: بوداود براهيم

الإشراف العام:

الأستاذ: طيب بوقرط

تأليف:

مجموعة من الباحثين الأكاديميين

دراسات علمية أكاديمية محكمة



الناشر



AlphaDoc

2020



سورة الفاتحة



المشروع الدولي رسالة الباحث

إشراف مختبر اللغة والتواصل في الجزائر
المركز الجامعي أحمد زبانة، غليزان.

اللجنة العلمية:

- أ.د. بن عبد الله مفلح. المركز الجامعي أحمد زبانة (غليزان) الجزائر.
د. بوداود ابراهيمي. المركز الجامعي أحمد زبانة (غليزان) الجزائر.
د. قسول فاطمة. جامعة علي لونيسي بالعفرون (البليدة 02) الجزائر.
أ.د. صفاء الدين أحمد فاضل. الجامعة العراقية، العراق.
أ.د. عبد الحفيظ تحريشي. جامعة طاهري محمد (بشار) الجزائر.
د. مختارية بن قبلية. جامعة عبد الحميد بن باديس (مستغانم) الجزائر.
د. مهدي بن عيسى. وحدة البحث واقع اللسانيات وتطورها في البلدان العربية (تلمسان) الجزائر.
د. رفيقة بن ميسية. جامعة الإخوة منتوري (قسنطينة 01) الجزائر.
د. جمعة مصاص. جامعة عباس لغرور (خنشلة) الجزائر.
د. ربيعة برباق. جامعة العربي التبسي (تبسة) الجزائر.
د. حسن حماني. جامعة المولى إسماعيل (الرشيديّة) المغرب.
د. نسيم حرار. جامعة عبد الرحمن ميرة (بجاية) الجزائر.
د. جعفر يايوش. جامعة عبد الحميد بن باديس (مستغانم) الجزائر.
د. محمد محمود فراج حسانين. كلية الآداب. جامعة سوهاج. مصر.

- أ.م.د. هدى صلاح رشيد. جامعة تكريت. العراق.
- د. أم السعد فضيلي. جامعة محمد البشير الإبراهيمي (برج بوعريريج) الجزائر.
- د. جميلة غريب. جامعي باجي مختار (عناية) الجزائر.
- د. فطيمة الزهرة عاشور. جامعة محمد البشير الإبراهيمي (برج بوعريريج) الجزائر.
- د. هناء محمود إسماعيل الجنابي. الجامعة العراقية (بغداد) العراق.
- د. محمود خلف البادي. جامعة الجوف. المملكة العربية السعودية.
- د. محمد حمّاس. المركز الجامعي أحمد زبّانة (غليزان) الجزائر.
- د. وهيبة جراح. المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف (ميلة) الجزائر.
- د. راضية بن عريية. جامعة حسية بن بوعلي (شلف) الجزائر.
- أ. طيب بوقرط. جامعة أحمد بن بلة (وهران 01) الجزائر.

الهيئة الاستشارية:

- د. محمد صالح ياسين الجبوري، جامعة ديالى، العراق.
- د. فطيمة براهيمى، جامعة الجيلالي ليابس (سيدي بلعباس) الجزائر.
- د. يونس بلحسن، جامعة ابن طفيل (القنيطرة) المغرب.
- د. سحنين علي، جامعة مصطفى اسطمبولي (معسكر) الجزائر.
- د. زكرياء سلمان، جامعة القاضي عياض (مراكش) المغرب.
- د. عبيدي فاطمة الزهراء، جامعة باجي مختار (عنابة) الجزائر.
- د. أمال كبير، جامعة العربي التبسي (تبسة) الجزائر.
- د. جميلة عاشور، أبو القاسم سعد الله (الجزائر 02) الجزائر.
- أ. سعيدة تومي، جامعة محمد البشير الإبراهيمي (برج بوعريرج) الجزائر.
- أ. سليمة دحيري، جامعة محمد خيضر (بسكرة) الجزائر.

هيئة التحرير:

- د. بوداود ابراهيمي، المركز الجامعي أحمد زبانة (غليزان) الجزائر..
- د. مهدي بن عيسى، وحدة البحث واقع اللسانيات وتطورها في البلدان العربية (تلمسان) الجزائر.
- أ.م.د. هدى صلاح رشيد، جامعة تكريت، العراق.
- د. فتيحة بلحاجي، المركز الجامعي (مغنية) (تلمسان) الجزائر.
- د. مختارية بن قبلية، جامعة عبد الحميد بن باديس (مستغانم) الجزائر.
- د. صليحة قصابي، جامعة محمد البشير الإبراهيمي (برج بوعريريج) الجزائر.
- د. حرايز العلجة، جامعة الحاج لخضر (باتنة 01)، الجزائر.
- أ. عبد الغاني بوجزة، جامعة محمد أمين دباغين (سطيف 02)، الجزائر.
- د. هارون لعبيدي، جامعة العربي بن مهيدي (أم البواقي) الجزائر.
- د. فيروز بن رمضان، جامعة الدكتور يحيى فارس (المدية)، الجزائر.
- أ. طيب بوقرط، جامعة أحمد بن بلة (وهران 01) الجزائر.
- المراجعة والتدقيق اللغوي:**
- أ.م.د. هدى صلاح رشيد، جامعة تكريت، العراق.
- د. مختارية بن قبلية، جامعة عبد الحميد بن باديس (مستغانم) الجزائر.
- د. صليحة قصابي، جامعة محمد البشير الإبراهيمي (برج بوعريريج) الجزائر.
- أ. طيب بوقرط، جامعة أحمد بن بلة (وهران 01) الجزائر.
- التدقيق في الشبكة:**
- د. قسول فاطمة، جامعة علي لونيسي بالعفرون، البليدة 02، الجزائر.

المحتويات

- 13 كلمة المختبر: أ. طيب بوقرط
- 15 • التقديم: د. بوداود براهيمى
- 19 • د. بوداود براهيمى: السكون العربية بين الحقيقية الفونيتكية والوظيفة
الفونولوجية.....
- 35 • د. محمود خلف البادي: الزحاف والعلّة (دراسة صوتية) البحر الكامل
أنموذجاً.....
- 75 • د. فرح ديدوح: دراسة كمية المصوتات لدى اللغويين العرب القدامى في
ضوء علم الأصوات الحديث.....
- 107 • د. خالد حسين أبوعمشة: الأنظار الصوتية عند إخوان الصفا وخلان
الوفا.....
- 147 • د. نصيرة غقاقلية: أثر دراسة هنري فليش في الدرس الصوتي العربي
الحديث.....
- 173 • أ. د. ليلى سهل: التماثل والتخالف الصوتي في اللغة العربية.....
- 197 • د. إسماعيل حيمور القوانين المورفوفونيمية ووظيفتها الدلالية في بنية
الخطاب القرآني.....
- 233 • أ. رميساء مزاهدية: جهود عبد الرحمان الحاج صالح في الصوتيات
وتكنولوجيا اللغة الحديثة.....
- 255 • د. راضية بن عريبة: التحليل الأكوستيكي المخبري للصوت اللغوي في
القرآن الكريم.....

كلمة المختبر:

يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) من أوائل العلماء العرب القدامى الذين عنوا بدراسة الأصوات اللغوية، إذ ألف معجمه العين الذي بث فيه شذرات آراءه الصوتية في مخارج الأصوات وصفاتها، وسمّاه (العين)؛ لأنه بدأه بصوت العين وهو أوضح الأصوات وأنصعها، أما مقدمته الموجزة فتحتوي مادة صوتية تدل على أصالة علمه وتفرّده في بعض المصطلحات الصوتية، فهو صاحب أول دراسة صوتية منهجية في تاريخ الفكر الصوتي العربي. وقد تنوعت الآراء الصوتية بعده، فظهرت في فكر تلميذه سيويه (ت 180 هـ)، الذي استلهم أفكار أستاذه وصاغها على نحو يتسم بالشمول والدقة فكان دقيقا في تحليلاته وتقسيماته لمخارج الأصوات وصفاتها.

و سجّل التراث الصوتي في القرن الرابع هجري (ق4هـ) خروجاً منهجياً على المؤلف وهذا على يد ابن جني (ت 392 هـ) الذي صنّف كتاباً خاصاً بالدراسة الصوتية سمّاه سر صناعة الإعراب، تناول فيه دراسة الصوت اللغوي من جانبيه الصوتي والتشكيلي وأطلق على هذه الدراسة علم الأصوات فتكلم عن جهاز النطق ووصف الأصوات وصفا صوتياً دقيقاً بأسلوب علمي له مصطلحاته المحددة. ومن الثابت أنّ العلماء النحاة واللغويين خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى؛ لم يعالجوا ظواهر التشكيل الصوتي مجتمعةً محتضنها عنوان واحد شامل لها، بل تناولوها متفرقةً متفرقة في كتبهم ضمن أبحاث علمي النحو والصرف المختلفة كالإبدال الصرفي والإعلال والإدغام والحذف والإمالة وغيرها من المسائل التي كانت تندرج ضمن علم الصرف ويتدخل علم الأصوات في تعليل سبب حدوثها،

كما تناول المعجميون عرض الأصوات اللغوية ودراستها ضمن أعمالهم المعجمية. ويكفي مثالا على ذلك مقدمة الخليل المهمة ومقدمة ابن دريد (ت 321 هـ) في الجوهرة.

من هذا المنطلق يقوم مشروع رسالة الباحث باقتراح موضوع هذا المؤلف: (الصوتيات / قضايا ودراسات) إشراف: د. بوداود ابراهيمي / المركز الجامعي أحمد زبانة / غليزان لرصد مختلف الظواهر الصوتية عبر دراستها دراسة تتواشج مع الطرح الواعي الغائر في صميم تلك الظواهر وأبعادها الصوتية بغية الإدراك العميق لأسبابها ضمن ما يقع من تصورات ورؤى تأثت في توقيعاتها فعاليات الدرس الصوتي بين بعديه النظري والتطبيقي.

والله نسأل أن تكون هذه الدراسات البحثية مدعاة للتفاؤل لا شيء يحدوها إلا طلب العلم.

والله من وراء القصد.

أ. طيب بوقرط

المشرف العام

تقديم:



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

شهدت الدراسة الصوتية تحولات منهجية وإجرائية ارتقائية، تشكلت معالمها تساوفا وبواكير انبثاق معالم الدرس الصوتي التراثي، وصولاً إلى تلك المرحلة الفصيلية التي انخرطت ضمن مشروع لساني اخترق مجال الذكاء الاصطناعي؛ حيث لم يعد الدرس الصوتي يركن إلى الفاعلية الفذة التي ينتجها الذكاء الطبيعي، والقراءات التأملية لهيئات الأداء التلفظي.

وضمن هذا التوجه التقني العالي، فقد تجاوز الدرس الصوتي العربي، حدود الذاكرة المعرفية التراثية، وانعطف إلى مطاولة الإغراءات التي أتاحها الزمن التقني، مما دفع بالمقاربات الصوتية إلى امتلاك مكانة جوهرية ضمن حقول المعرفة اللغوية، غدا على إثرها المكون الصوت جزءاً صميمياً ضمن نماذج التنظير والتحليل اللساني.

وعليه، فقد انبرت أوراق العدد -صوتيات- لتقدم مقروئية علمية تعكس ذلك الزخم المعرفي للدرس الصوتي العربي بمختلف نماذجه وصيغته؛ حيث وردت مجمل المقاربات المعرفية ضمن مسعاها التحليلي لتراود فضاء الأسئلة العلمية

الخرجة، وتعرض إلى جملة التصورات التخمينية، انطلاقا من مخرجات الحقائق العلمية التي امتاحت من التوصيف الدقيق لأبعاد المكون الصوتي.

- الدكتور: ابراهيمي بوداود

المركز الجامعي أحمد زبانة (غليزان) الجزائر.

السكون العربية بين الحقيقية الفونيتكية والوظيفة الفونولوجية

السكون العربية بين الحقيقية الفونيتكية

والوظيفة الفونولوجية

د. ٥. ابراهيمي بوداود

المركز الجامعي أحمد زبانه غليزان - الجزائر.

تصدير:

على الرغم من تعدد الدراسات التي عنت بموضوع منطوق اللغة العربية وبدقائق مكونها الصوتي. وعلى الرغم من الوثبات العلمية الهائلة التي عرفها هذا المجال المعرفي بوصفه حقلا إجرائيا يستمد شرعيته العلمية من النتائج اليقينية التي تفرزها الدراسات التجريبية والمخبرية، إلا أن الغموض الذي اكتنف بعض مفاصل هذا المبحث، واللبس الذي أحاط بالكثير من قضاياها ما زال قائما إلى يومنا.

وبالنظر إلى الطبيعة الوصفية التي وسمت خاصية الدرس الصوتي العربي، التي اعتدت في بواكيرها الأولى بالمدونة القرآنية باعتبارها منطلقا مطلقا وأنموذجا ثابتا، فقد اجتهدت في ترسيم الهيئات الأدائية لمنطوق الخطاب القرآني كما تلفظ به سيد الخلق. ومن هنا، فإن البراهين النحوية والصرفية التي عنت بموضوع اللغة في باقي المستويات التي استند أغلبها إلى مُسلمة السماع، قد تحررت من حدود المنطق الصوري ومن ضبطية القاعدة المعيارية، وانفتحت على كل الممكنات القولية المسوغة وغير المسوغة.

وعبر هذا التراوح، كان من البديهي أن تُحمّل الدراسات اللغوية العربية بجملة من الاختلافات والفوارق خلال سعيها إلى التأسيس لجهازها النحوي، وذلك باختلاف الأقطاب والمدارس النحوية التي انبرى كل منها إلى إرساء مبادئ

فلسفته في وضع القاعدة النحوية، وتكريس مشروعه اللغوي وفق الخلفيات والمنطلقات التي امتاحت من مرجعيته.

ومقابل التجاذب الفكري الحاصل، عمد أكثر اللغويين إلى تأكيد التوافق في الكليات النحوية والصرفية الهامة، وغلبوا رأيَ تجنب تلك الاختلافات التي لحقت بدقائق الظواهر اللغوية، وعدوها فروعاً وشواذ ومسائل تابعة. بخاصة ما استند منها إلى السليقة وإلى سلطة السياق، أو المشكلات الصوتية التي استعصى عليهم تسويغ حدوثها وتفسير تجلياتها ضمن الأنساق الخطابية والكلامية، ومرد ذلك إلى عسر كشف كنهها الفونيتيكي اعتماداً على الملاحظة العينية والتخمينات الحسية.

ولئن كانت الإكراهات التي امتدت إلى الدراسات الصوتية قديماً، قد شكلت حائلاً وعائقاً حقيقياً في الفصل في بعض القضايا، فالمثير للجدل أن هذه الإشكالات بقيت تتوسل حلالها حتى في زمن الآلة والتقنية العالية؛ حيث ترنحت المقترحات الجديدة بين اللاموضوعية وبين عدم التأسيس، ولم تحدد أكثر البدائل المقدمة عن القنوات التي عرض لها بعض المستشرقين من قبيل جون كانتينو وأوهنري فليش بالرغم من أن ما عرض إليه هؤلاء ارتكز على قراءات وتأملات مقارنة وتطورية.

وعبر هذا المأخذ، لا غرو في أن ما قدمته الدراسات الصوتية الحداثية اتسم أغلبها بعدم الجرأة، وركن جلها إلى اجترار ما عرضت إليه البحوث الوصفية عند المستشرقين، عدا بعض المحاولات الجادة التي باشرت الحقل الفونيتيكي والفونولوجي العربي بعلمية فذة، مراعية في ذلك خصوصية اللغة العربية؛ حيث وفقت إلى حد بعيد في ملامسة مكامن الخلل الحاصلة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: أعمال كمال بشر، ومصطفى حركات، ومنصور الغامدي، الذين توقفوا عند الإشكالات التي لا يمكن أن يُغض عنها الطرف، من منطلق تأثيرها على النظام

الصوتي العربي، في نحو الظواهر التي لازمت الصائت (voyelle) العربي، بوصفه نواة المقطع التلفظي وسببا مباشرا في إظهاره وحدوثه، وأي تغيير أو تبدل في هيئته قد يؤثر حتما في تكشف قيمته اللسانية أو وظيفته الفونولوجية.

وقد ألحق العرب قديما الصوائت بمصطلحات عديدة منها: علامات البناء، وعلامات الإعراب والحركات، ونقط الإعراب والمصوتات، وقد شكل هذا التداخل في الاصطلاح تداخلا في المفاهيم وفي الوظيفة اللغوية، وهو الحال الذي جرت عليه السكون العربية؛ حيث وقع الخلط بين مؤدى اللفظ وصفا ومؤداه وظيفة.

السكون وحدود المصطلح:

السكون في اللغة مقابل الثبوت وضد للحركة، وجاء في معجم العين في مادة: سُكِنَ السُّكُونُ: ذهاب الحركة، والإسكان عند الأشموني عدم الحركة، ويُحدث التوحيدي الفارق في الحركة والسكون أيهما أقدم؟ فيقول: سئل أبو محمد العروضي مرة عن الحركة والسكون أيهما أقدم؟ فقال: أما عند الحسن فالحركة أقدم، وأما عند العقل فالسكون أقدم. وبعد فالسكون عدم الحركة، وكل حس فقوامه بالحركة، وكل عقل فصورته بالسكون، ونظامه بالهدوء، وأثره بالقرار.¹

وقد لُزَّ المصطلح بمؤداه المعنوي إلى منظومة الحركات العربية ليحدث المخالفة والمعارضة مقابل حركات الفتح والضم والكسر التي تلحق بالصامت المصوت له. إلا أن المخالفة لم تشمل كل الخصائص الصوتية للسكون. فإذا كان التمايز والمعارضة قد تحقق على المستوى الفيزيولوجي بوصف السكون وفقا تاما

¹ أبو حيان التوحيدي (ت400هـ)، المقابسات، حققه وشرحه: حسن السندوبي، دار سعد الصباح،

للتصويت وخلوا منه، فإنها بالمقابل أكدت حضور وظيفتها النحوية والصرفية -
الفونولوجية- ويليق بنا أن نصنفها بأنها: حركة سالبة نطقا إيجابية قيمة، ووظيفة، إنه
يتبادل المواقع والوظائف مع الحركات المعروفة، وله دور في بناء الصيغ، وله دور
مهم في الإعراب¹.

وها هنا، يتبدى موطن الخلل واللبس الذي لحق بحال السكون العربية؛
حيث يصعب التوفيق والانسجام بين ماهية السكون في الحقول الثلاث
(الفيزيولوجي، والأكوستيكي، والفونولوجي)؛ حيث إن الأثر السمعي الذي تؤديه
كمياتها الواصفة فيزيائيا (الزمن، والاهتزاز، والشدة، ودرجة الصوت) لا يترك
مجالا للريب، من حيث هي حركة مستقلة بذاتها، وقد ندلل لهذا الرأي بالتساؤل
الذي أبداه محيي الدين رمضان في قوله فهل بقي شك بعد هذا أن السكون حركة
وليس تركا لنطق الصوت واللفظ، وكيف يكون كذلك ونحن في واقع الحال نسمع
صوت المحركات بالسكون؟² وفي ذلك إشارة إلى أن الناطق لا يجد صعوبة في
النطق بالصامت الساكن ضمن خطية الوحدات الصوتية المجاورة، عدا في مستهل
التلفظ، حتى وإن تعلق الأمر بأصعب الصوامت نطقا وهي حروف القلقة؛ حيث
يُدفع الناطق إلى إحداث نبر زائد عند النطق بالسكون، وذلك بإلحاق صويتهم إلى
حرف القلقة الذي يأتي شديدا مجهورا. يقول ابن يعيش أن هذه الأصوات سميت
"حروف قلقة" لأنك لا تستطيع أن تقف عليها إلا بصوت هو هذا الصامت المركزي
الضعيف، وذلك بسبب شدة الحصر والضغط في نطقها كما في الحق واذهب،

(¹)-كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 2001م، ص: 456.
(²)-علي عبد الله علي القرني، أثر الحركات في اللغة العربية، دراسة في الصوت والبنية، رسالة مقدمة
لنيل شهادة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2004م، ص: 07.

واخلط¹ واخرج¹؛ حيث يتجلى بوضوح بروز صوت الساكن المقلقل في "ل" الفعل، ولا يمكن بأي حال إنكار وظيفة السكون في التصويت للصامت الأخير. وهنا، نجد أن بعضهم قد ذهب إلى الدعوة بضم السكون إلى مجموعة الصوائت القصيرة، يتقدمهم في ذلك كمال بشر في قوله "لقد كان ابن هشام على صواب حين حسب السكون حركة رابعة، تنضم إلى الفتحة والكسرة والضمة، لله دره".²

ومقابل هذا التوجه الفونولوجي، فإن أصحاب الرأي المعاكس يسندون على توصيف حال اللسان وهيئته التي تلتزم الثبات أثناء النطق بالسكون عكس باقي الحركات، ويؤكدون على أن السكون هي حالة من الركون إلى الوقف في التشكل الصوتي، وليست عزوفا عن التصويت مثلما يُدعى، كما أن هذه الحالة ليس بمقدورها أن تحرك الصامت إلا إذا كان حرفا احتكاكيا؛ حيث يسمح الممر الضيق لحدوث الصامت بصدور شيء من الصوت، وهي حقيقة أكدها ابن جني قائلا: «فقد نجد من الحروف ما يتبعه في الوقف صوت، وهو مع ذلك ساكن، وهو الفاء والشاء والسين والصاد ونحو ذلك، اف، اث اس اص»³، وهي حروف احتكاكية مائعة، عكس حروف القلقلة مثلا، التي يصعب تحريكها ساكنة، بخاصة إذا ما كانت في مستهل الكلم، ومؤداه في هذا الرأي أن الصفة المكتسبة لبعض الصوائت العربية، ويعني بها الحروف الرخوة التي تسمح بنشوء صوت إضافي يساهم في التصويت لصامت؛ حيث يؤكد في مقام آخر أن «هذا الصوت اللاحق للفاء والسين ونحوهما إنما هو بمنزلة الإطباق في الطاء، والتكرير في الراء، والتفشي

(1)-محمود السمران، علم اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص: 162.

(2)-كمال بشر، علم الأصوات، ص: 457.

(3)-أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ج2، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة،

مصر، ص: 337.

في الشين، وقوة الاعتماد الذي في اللام»⁽¹⁾، غير أن المتمحص في الرأي قد لا يتفكر معه؛ لأن الطبيعة الفيزيولوجية والمخرجية لهذه الحروف لم تكن البتة سببا مباشرا في التصويت، وإنما هي صفة لاحقة، فحتى ذلك الصوت أو الألفون الذي يساهم في إبراز الصامت المسكن، هو صوت من ذات مصدر الحركة، لم يعمل اللسان والشفتان على تشكيله.

وظيفة السكون اللغوية:

عرضنا سلفا إلى جملة من التناقضات التي لحقت بمفهوم السكون من حيث كينونته الفيزيولوجية وتجلياته الوظيفية، فالسكون في جانبه العضوي، تصويت لا تتحرك فيه الأعضاء المؤدية لباقي الحركات من ضم وكسر وفتح؛ حيث تلتزم هذه الأعضاء سكونا وثباتا ملحوظا، عدا منطقة الضغط الحاصلة عند منطقة اللهاة في القناة الصوتية.

أما في المجال الوظيفي الفونولوجي، فلا يختلف اثنان على أن السكون يؤدي دورا مماثلا للحركات العربية من حيث البناء، وإحداث العلامة الإعرابية، والمعجمية، والدلالية، « فمن زاوية القيمة والوظيفة، لا النطق، يمكن أن نحسب السكون حركة، إن السكون نطقا لا شيء **phonetically nothing**، ولكن له وظائفه الخاصة به التي تعدل وظائف الحركات المعهودة، إنه حركة سالبة نطقا إيجابية قيمة ووظيفة»⁽²⁾، والمقصود بالسلب النطقي هنا هو العدمية التي تأخذها أعضاء النطق بالحركات العادية ليس إلا.

(1) - أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ج 2، ص: 337.

(2) - كمال بشر، علم الأصوات، ص: 456.

أما الإيجابية الفونولوجية فتكمن في جملة الوظائف التي يؤديها السكون في النسق اللغوي على غرار الحركات العربية-القيمة اللسانية-، وقد أشار سيوييه إلى هذا الحضور في تصنيفه لمجاري أواخر الكلام من العربية التي أجملها في قوله: «وهي تجري على ثمانية مجارٍ: على النُصب والجر، والرُّفع والجزم، والفتح والضم، والكسر والوقف»⁽¹⁾، فالجزم والوقف هما هيتان وظيفتان يؤديهما السكون، الأولى إعرابية والثانية صوتية نطقية.

وقد تواضع النظام الصوتي العربي على اعتبار السكون هيئة نطقية في حالة كمون، تلحق بالحرف الذي يخلو من الحركات الثلاث، والسكون أو الوقف هو عكس الحركة؛ حيث يوجد الحرف الساكن في نهاية المقطع أو السلسلة ومع ذلك يمكن أن نجده في حركة متتالية، وفي هذا يقول ابن جني: «أن الحرف لا يأخذ نفس النمط عندما ننطقه أثناء التوقف أو في حركة تسلسلية»⁽²⁾، وفي القول إشارة ضمنية إلى أن الوقف هو أعلى حالات الخلو من الحركة، أو أدناها سماعاً، بمعنى أن الحرف الساكن داخل الكلم قد يستند إلى سلسلة من الألفونات السابقة واللاحقة تمنحه قوة للتصويت، عكس الحرف الأخير الذي يقع فيه الوقف. ونستشف من هذا القول أن السكون بهذا المفهوم خلو من الصوت والتصويت، وهو رأي ينشد التعليل والبرهنة.

(1) -أبو بشر عمرو بن عثمان سيوييه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، علم الكتب بيروت، 1966م، ج 01، ص: 13.

(2) -عبد الرحمن حاج صالح، استعمال جهاز الرسم البياني اللفظي AG/100 في الدراسة الصوتية اللفظية للحركة والسكون، مجلة اللغة العربية في تكنولوجيا المعلومات، منشورات، المجلس الأعلى للغة العربية، طبعة مارس 2007م، ص: 230.

إن التحليل الأكوستيكي لظاهرة السكون والوقف التصويتي، يقوم على إثبات مادية السكون من عدمها. من خلال البحث عن الدلائل الفيزيائية للوجود الكمي لحركة السكون، ومن ثم، الولوج إلى المقارنة في التبدلات التي تلحق بتلك الكميات مقارنة بالحركة اعتبارا من أن الفرق الجوهرى بينهما مؤداه « أن الحركة هي النقلة من مكان إلى مكان في زمان ثان، وضدها السكون وهو الوقوف والثبات في مكان واحد بين زمانين »⁽¹⁾؛ حيث يؤدي الزمن هنا، دليلا كميًا وبعدا فيزيائيا يمكن أن نستند إليه في إثبات حقيقة السكون الأكوستيكة.

واستنادا إلى هذا الطرح الذي ينبثق من إوالية التكون المادي والطاقوي للصوت، فإن المظهر الفيزيائي الذي ينتهي إليه، هو قراءة مباشرة لكيونته، و« يشير درامل *Dramel* إلى أن المظهر الفيزيائي يشكل مظهرا من المظهرين الأساسيين لتحديد الوقف، وهكذا فإن عتبة الوقف تعد متغيرا يتوقف على الأقل على توتر الصوت الذي يصير صفرا (اختزال مطلق للطاقة)»⁽²⁾، وبتعبير آخر فإذا عُذَّ السكون عند السيوطي خلوا من الحركة، فإنه بالضرورة خلوا من الكم الدال على كنه الحركة، أي أننا هنا أمام فعل قياسي لبعد الطاقة، والطاقة كما أشرنا هي الشدة التي يحدثها كم الصوت، والتي يعبر لها ببعد سعة الموجة الحاصلة، كما يتسنى لنا قراءتها قراءة مباشرة عبر التسجيل الطيفي.

وعند هذا المأخذ، نستطيع الإقرار بأن الاستنتاج القيمي للأبعاد الفيزيائية لإشارة صوت السكون، قد تحيلنا حتما إلى نتيجة فيصلية في ماهيته والفرق القائم بينه وبين الحركة، إلا أنه لا يجب أن نحصر مفهوم السكون في القرينة الضدية للدلول

(1)- إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، وزارة الثقافة، الجزائر 2007م، ج 03،

ص: 320

(2)- مبارك حنون، في الصوارة الزمنية الوقف في اللسانيات الكلاميكية، 2003م، الرباط، ص: 76.

الحركة الوظيفي، فقد أشرنا سابقا، إلى أن العلاقة الضدية القائمة في الدلالة عند النحاة العرب هي علاقة وسمت لحركة أعضاء النطق لا الحركة الوظيفية. إلا أننا هنا، بصدد مناقشة مسألة الخلو السمعي المادي لحركة للسكون.

ومجمل هذا التوصيف يدل على أن إطلاقية الحكم على مسألة السكون في العربية، صعبة المنال؛ وذلك لأن البرهنة الفيزيائية وإن احتكمت إلى عوامل القياس المخبري وشروطه التي تستدعي فعل عزل الصامت عن الصائت، فإن السكون الذي تعاملنا معه لغتنا هو ألفون نسقي «للقوف علاقات متنوعة، وربما علاقات اقتران مع عدد من الظواهر التطريزية»⁽¹⁾، وهذه العلاقات التطريزية تحتكم بدورها إلى علاقات وترابطات منطقية في مقامها الأول.

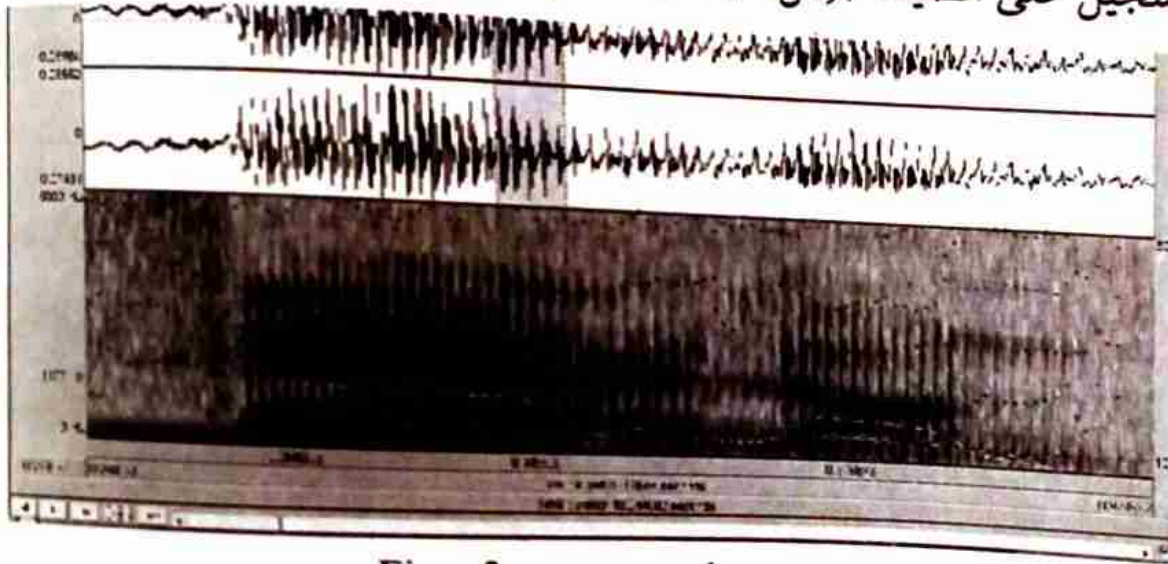
وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن الحالة الوظيفية للسكون، تنأى عن الخصوصية النطقية التي تلحق بالصامت، فليس لنا أن نتغافل عن الخصائص الوصفية للصامت ذاته، بين همس، وجهر، وشدة، ورخاوة، وإطباق، وانفتاح، وصغير، وانتشار « فإذا اعتبرنا أن الهواء ينحصر في وسط الفم عند نطق اللام، وأن الهواء يتسرب من الجانبين، فاللام صوت صامت، وإذا اعتبرنا مرور الهواء بحرية دون اعتراض من الجانبين فاللام حركة»⁽²⁾، وهنا نقف على خاصية اللام التي تقترب من الصائت ذاته، وهو ما يدعو إلى حتمية مراعاة طبيعة الصامت المسكن. ضمن هذا المعطي الذي يتجه صوب تتبع السكون داخل النسق اللغوي، يبدو أن مراعاة أحوال التبديل الموقعي في الكلمة كفيلة بأن تزيل بعض اللبس، ولئن

(1) -مبارك حنون، في الصواتة الزمنية الوقف في اللسانيات الكلاسيكية، ص: 95.
2-L.Brosnshann et Malmberg.Introduction to phonetics ; Cambridge W
hefler et sons 1970 ; p84 .

عن: شريف استيتية، الأصوات اللغوية، ص: 201.

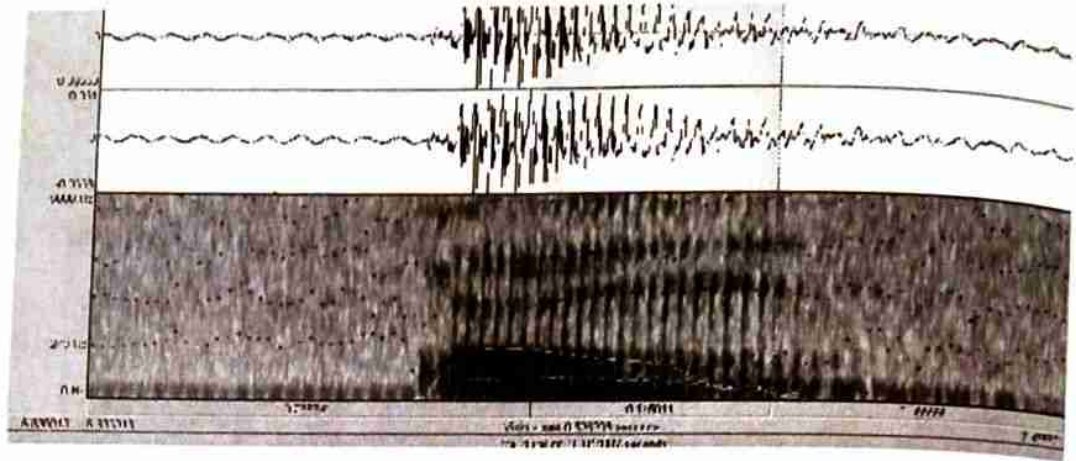
اُتُفِّق سلفاً على أن اللغة العربية لا تبدأ بساكن و« ليس في العربية من هذا النوع سوى اثني عشرة كلمة، عشرة منها من فصيلة الأسماء، واثنتان من فصيلة الحروف، فأما الأسماء فهي: بُنْ - بُنَّة¹، إلا أن هذه الصيغ لقت تسويغاً لها، مؤداه أنها صيغ مسبوقه بهمزة وصل.

وعليه فإننا في قراءتنا الطيفية سعينا إلى التجريب على جملة من الصيغ التي يتخذ فيها السكون موقعا متقلبا بين بداية ووسط ونهاية، ضمن هيئة تعالقية تتعالق فيها مجموعة من الصوامت بمختلف صفاتها الأساسية، والثانوية؛ حيث طبقنا التسجيل على الصيغة / فِعلْ / والصيغة / قُمْ / والصيغة / بحر /



أظهر التمثيل الطيفي لمنطوق السكون في صيغة فعل أن الإشارة الصوتية للسكون جاءت بقيمة شدة (50.9 دسبل) وبعد زمني (0.05 ثانية)، كما أنها حافظت على الحزمة الصوتية F0 الأساسية بقيمة دينا بلغت (512 هرتز).

(1) - محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار المشرق العربي، ط3، بيروت، ص: 56.



/Ku m/

أظهر التمثيل الطيفي لمنطوق السكون في صيغة / قم/ أن الإشارة الصوتية للسكون جاءت بقيمة شدة دنيا بلغت (29 دسبل) وبعد زمني أعلى (0.14 ثانية)، كما أنها حافظت على الحزمة الصوتية F0 الأساسية بقيمة دنيا بلغت (420 هرتز)¹.

ويتضح من خلال القراءات السابقة أن السكون ألفون مكتسب للأبعاد الكمية ذاتها التي تسم الحركة العادية، ونستدل على ذلك بمحافظته على قيم متوسطة في تردد الحزمة الصوتية F0 غير أن هذه القيم تتناسب طردياً مع الصامت الموظف معها، فإذا كان الصامت رنينياً على نحو صوت العين كانت القيمة عليها، كما أن عامل الزمن المحدد للتصويت بالسكون هو عامل تحدده البنية المقطعية التي يجيء فيها السكون، فإذا كان السكون في منتهى الكلم مثلاً أخذ حيزاً زمنياً أطول. أما عن قيم الطاقة أو الشدة المكتسبة لألفون السكون، والتي هي قيم مدللة على حقيقة وجوده الأكوستيكي والفيزيائي، فقد جاءت متفاوتة، ولعل السكون

¹ - مجمل النتائج الحوسبية هي متابعة لبحث مخبري، قدمنا له في بحث الدكتوراه الموسوم بـ فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامى وقياسات المحدثين، جامعة وهران، 2012.

الذي يتموضع في وسط الكلمة، هو السكون الأعلى شدة، وذلك بفعل التسلسل التصويتي التي تمنحه إمكانية طاغوية من المقطع الأول وأخرى دافعة إلى المقطع اللاحق.

نتيجة البحث

انتهى البحث الموجز في طبيعة السكون العربية إلى خاتمة تستعرض أهم النتائج المتوصل إليها:

- إن الفصل في ظاهرة السكون أمر شاق يستدعي بحثا مستفيضا يربط بين النتائج المحصل عليها في حقول الدراسة الصوتية الثلاث، فضلاً عن استنطاق آراء النحاة، ويمكن أيضاً أن ندعم البحث في حقيقتها اعتماداً على ما تفضيه الدراسات المقارنة لما تؤديه السكون في اللغات السامية.
- إن الأهمية التي اكتسبها السكون في سياق أطروحات الدرس الصوتي تنبعث من حضوره المهيمن في صلب البنية التخطيطية لنسقية النظام اللغوي، ولذا لا بد لهذه الظاهرة أن تدرس دراسة معمقة تتوافق مع عمق تأثيره في النسق اللغوي على نحو ما قدمته الدراسات العربية القديمة، وما تهيأت المؤسسة الصوتية الحداثية لاحتوائه.
- إن مصطلح السكون هو اصطلاح الحق بوضعية اللسان أثناء النطق بالصامت، عكس الحركات الأخرى التي يتحرك معها اللسان رفعا وخفضا ونصبا.
- بالارتداد إلى الإثبات الفونولوجي والفيزيائي فإن السكون حركة قائمة بذاتها ولا يمكن عدها باعتبارها خلوا من التصويت.¹

- 1- إبراهيمي بوداود، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه المسوم بـ فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامى وقياسات المحدثين، جامعة وهران، 2012م.
- 2- إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، وزارة الثقافة، ج3، الجزائر 2007م.
- 3- أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، علم الكتب بيرون، 1966م.
- 4- عبد الرحمن حاج صالح، استعمال جهاز الرسم البياني اللفظي AG/100 في الدراسة الصوتية اللفظية للحركة والسكون، مجلة اللغة العربية في تكنولوجيا المعلومات، منشورات، المجلس الأعلى للغة العربية، طبعة مارس 2007م.
- 5- سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية، رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل، للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003م.
- 6- علي عبد الله علي القرني، أثر الحركات في اللغة العربية، دراسة في الصوت والبنية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2004م.
- 7- أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ج2.
- 8- كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 2001م.

9- مبارك حنون، في الصوتية الزمنية الوقف في اللسانيات الكلاسيكية، الرباط، 2003م.

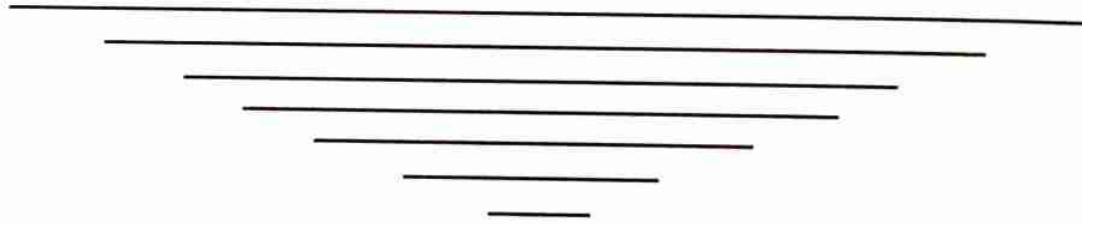
10- محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار المشرق العربي، ط3، بيروت.

11- محمود السعران، علم اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

12-L.Brosnshann et Malmberg.Introduction to phonetics ; Cambridge W hefler et sons, 1970.

الزحاف والعلّة

(دراسة صوتية) البحر الكامل أنموذجاً





الزحاف والعلة (دراسة صوتية)

البحر الكامل أنموذجاً

د. د. محمد خلف البادي (1)

جامعة الجوف/المملكة العربية السعودية

مقدمة:

أيها الشعراء المنشدون... انشروا شراع الحب، سنبحر معاً في بحور
لازوردية، لم يعرف شواطئ موسيقاها قبطان من قبل.

يا علماء العروض ودارسيه ومتقنيه، هاتوا موازينكم لنضبط مؤشراتنا
سويًا، فنحن لأول مرة في تاريخ العرب نسبق الشعراء خطوة.

بجئنا هذا سبر عمق الموسيقى التي أطربت الأذن العربية الجاهلية، ومن
بعدها الأذن في العصور التالية، وإلى ما قبل اكتشاف الخليل بن أحمد الفراهيدي
علم العروض.

لقد كان علم العروض باباً موارباً، ونحن بتواضع نفتحه ليشرب كل آفاق
المشرق، فمن الخيمة الجاهلية خرج نور جديد لوزن جديد، ولحن راقص مطرب.

ليس قبول هذا البحث ليوضع في الأدراج، أو على رفوف المكتبات، وهو
ليس شحنات كهربائية على قرص حاسوب مدمج في النهاية؛ إنما هو جيل من
الشعراء القادرين على تطويع الأوزان الشعرية الجديدة للمكاتهم الشعرية، وأنا ما
زلت أتوق لأسمع الأغنية اللازوردية.

(1) استاذ أدب الدول المتابعة المساعد في قسم اللغة العربية جامعة الجوف في المملكة العربية السعودية.

لقد بدأت بحثي في القسم الأول بالحديث عن فيزياء الشعر، وما يرتبط به من الصوت والسكون الصوتي، وارتباط ذلك الصوت باللغة المتمثلة بالأصوات المنظوقة المسموعة، وبالأفكار والمشاعر، وصور الأشياء المخزونة في الدماغ، ثم تناولت المقطع اللغوي وما يرتبط به من حركة وحرف صائت أو صامت، وأثر تلك الحروف والحركات في الإيقاع الشعري، ومن بعد ذلك تحدثت عن المقطع العروضي، وأثر الزحاف والعلّة فيه.

والقسم الثاني: هو القسم التطبيقي، فبدأت حديثي عن المقطع اللغوي وما إذا كانت الأذن تقبله أساساً للنغم الموسيقي في شعرنا، وطبقت ذلك من خلال أشعار النابغة، ومن البحر الكامل تحديدًا، ثم واصلت الكلام وصولاً إلى المقطع العروضي الذي يمثل الإيقاع الموسيقي، الذي تُعرف من خلاله الحركات والسكنات، ثم وقفت عند الدُّنات، والساكن والمتحرك، ثم عرضت مفهوم الزحاف الذي يعد وجوده في بيت الشعر بعيداً عن الدّم، والرّخصة والمفاجأة، وكسرًا للرّتبة الموسيقية في نغم البيت. وقد قابلتُ نغمة المقطع اللغوي مع نغمة المقطع العروضي، أو النظام اللازوردي مع زحافاتهما وعللها، وتوصلت إلى أن المقطع اللغوي لا يصلح أساساً للنغم الموسيقي في الشعر العربي. وأدرجت مختارات شعرية من البحر الكامل، ومن ديوان النابغة؛ ذلك أن تفعيلات هذا البحر من الفروع التي تبدأ بسبب، بغض النظر عن صيغته طويلة كانت أم بطيئة، وقد بيّنت كل ذلك من خلال الجداول المثبت في متن البحث.

موضوع البحث:

يتحدث موضوع البحث عن الزحاف والعلّة (دراسة صوتية) البحر الكامل أنموذجاً وبيان دور المقطع اللغوي والمقطع العروضي في صياغة النغمة الموسيقية الشعرية.

تتناول مشكلة البحث موضوع الزحاف والعلّة في البحر الكامل (دراسة صوتية)، نظرا لأهمية الزحاف والعلّة في المقطع العروضي والنغمة الموسيقية المتولدة عنه.

وبعد اطلاع الباحث على عدد من الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع، يمكن صياغة المشكلة في السؤال الآتي: ما دور الزحاف والعلّة في إبراز أهمية الظاهرة الموسيقية التي تعنى بعلم العروض؟

حدود البحث:

يشتمل البحث على النقاط الآتية: مقدمة، ودراسة تأصيلية نظرية تضمنت فيزياء الشعر، واللغة والصوت، والحرف الصائت والصامت، والمقطع اللغوي والمقطع العروضي ودراسة تطبيقية تناولت التطبيقات الشعرية على المقطع اللغوي والمقطع العروضي من البحر الكامل، وبيان إن كان هذان المقطعان يصلحان قيمة موسيقية في الميزان الشعري.

أهداف البحث:

تندرج أهمية البحث من خلال الأسئلة الآتية:

- هل المقطع اللغوي في الشعر يصلح أن يكون أنموذجا للقيمة الموسيقية والصوتية في لغة الشعر؟
- هل المقطع العروضي يصلح أيضا أن يكون أنموذجا للقيمة الموسيقية والصوتية في لغة الشعر؟
- هل البحر الكامل يمكن أن يمثل تلك النغمة المنشودة (النغمة الموسيقية)؟

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التطبيقي في دراسته (الزحاف والعلة) دراسة صوتية.

إجراءات البحث:

- تم جمع المادة النظرية المتعلقة بموضوع البحث وهي تعريف المقطع اللغوي والمقطع العروضي، وتوضيح مفهوم هذين المقطعين من خلال الأمثلة الشعرية.
- تمت التطبيقات الشعرية على ما سبق من ديوان النابغة تحديداً، وعلى البحر الكامل أنموذجاً.
- بعد الموازنة بين المقطعين اللغوي والعروضي من الناحية الصوتية والموسيقية؛ توصلت إلى النتيجة المطلوبة ومفادها: إن المقطع العروضي يصلح أن يكون أساساً للنغمة الموسيقية الشعرية، بينما المقطع اللغوي لا يصلح لذلك.
- اطلع الباحث على الدراسات السابقة لبيان إن كانت تتقاطع مع موضوع البحث، وانتهى الباحث بخاتمة اشتملت النتائج التي توصل إليها الباحث.

خطة البحث:

تكونت الخطة من مقدمة وقسمين رئيسيين، هما: القسم الأول: الدراسة التأصيلية النظرية، والقسم الثاني: الدراسة التطبيقية، وانتهى البحث بخاتمة لموضوع البحث.

من الأبحاث التي تناولت الزحافات والعلل بحث بعنوان: (الزحاف والعلل وما يجري مجراهما ومتعلقاتهما) لـ: كريم مرزة الأسدي، ونشر في مجلة الأخبار الأحد 18 يناير/ كانون الثاني 2015م، ورابطه الإلكتروني:

<http://www.akhbaar.org/home/2015/1/183786.html>

وتناول فيه صاحبه: الزحافات وأنواعها مفردة ومركبة، وبيان أهمية الزحافات وأثرها في التعدد الفني لأعاريض البحور وأضرِبها في الشعر العربي، فضلا عن كسرِها الرتابة في النوع نفسه.

كما بيّن الباحث مفهوم الزحاف لغة وقال عنه: إنه الإسراع، ودلّل على ذلك بأمثلة من القرآن الكريم، وأقوال علماء اللغة. ثم بيّن مفهوم الزحاف اصطلاحاً، وأتى بأمثلة عليها من خلال التفعيلات مع أبيات من الشعر، ثم عرّج على عرض بعض المصطلحات، كالمعاقبة والمراقبة والمكافئة بين الحرفين، مع تدليله بالأمثلة من الشعر على أقواله.

وقد أطنب صاحب المقال في بيان الزحافات المفردة والمركبة، من خلال الأمثلة الشعرية من دون دراسة صوتية، أو دراسة مقطعية لغوية، وإلّا ما كانت الدراسة تقليدية فحسب.

وكتب الدكتور صالح عبد العظيم شاكر بحثاً بعنوان: الزحاف والعلّة في شعر التفعيلة، نشر في مجلة كلية دار العلوم / جامعة الفيوم بمصر في العدد 27 عام 2012م، ونشر أيضاً على شبكة الإنترنت في شبكة الألوكة وهذا رابطته:

[/http://www.alukah.net/literature_language/0/77114](http://www.alukah.net/literature_language/0/77114)

تناول البحث الزحاف والعلّة من جهة كونهما قيمتان عروضيتان لازمتان للشعر، اختلف في عدة قضايا تخصّهما، كارتباطهما بالتفعيلة أو البحر، كما أنّهما لم

يرصدا بشكل كامل في إطار شعر التفعيلة مع ما يتبعهما من خروج على العروض وتوسّع في الوزن، وقد وقف الباحث على القول الأقرب إلى الصواب في كل قضية منه، ودعمه بالأدلة والشواهد بعد رصد الظاهرتين ووصفهما، ومحاولة إظهار الأسباب والعلل.

وجاء البحث بتمهيد عن مفهوم الزحاف والعلة وما يتعلق بهما من شعر التفعيلة، ثم تناول الموضوع الأساس وهو: موسيقى شعر التفعيلة، والزحاف بين التفعيلة والبحر، مع ذكر صور الزحاف في شعر التفعيلة وأشكاله، ثم تجاوز ذلك إلى قضية خروج الدائرة العروضية من البحر إلى التفعيلة. والملاحظ على هذه الدراسة أنها لم تتطرق إلى الجانب الموسيقي من خلال وحدة المقطع العروضي أو اللغوي.

والبحث الثالث للأستاذ الدكتور محمد عبد الدايم عبد الله بعنوان: البحور الشعرية المهملة، ونشر في مجلة الألوكة على الشبكة العنكبوتية بتاريخ 2011/10/10م، وقد ركّز الباحث في بحثه على البحور الشعرية المهملة التي استخرجها من الدوائر العروضية التي أوجدها الخليل بن أحمد، وقد زاد الباحث على البحور الست التي استخرجها الخليل واحداً وعشرين بحراً مهملاً، وأورد لكل بحر شواهد، وقد شاركه في رأيه هذا ابن القطّاع، والملاحظ على دراسته هو العناية بالبحور المهملة فقط، أما الدراسة الصوتية والزحاف والعلل المتعلقة بالبحر الكامل -موضوع بحثنا- لم يتطرق إليه الباحث.

ومن الكتب التي اطلعت عليها ولها ارتباط بموضوع بحثنا كتاب: الزحاف والعلة للدكتور أحمد كشك، نشر في مكتبة النهضة المصرية سنة 1995م، والكتاب مقسم إلى ثلاثة أبواب: تحدّث عن الزحاف والعلل من خلال الإيقاع الشعري وضوابطها. فالكتاب جامع شامل بيد أنه يختلف عن بحثنا بالشواهد التي جاء بها

ولم تكن من البحر الكامل، وليست من ديوان النابغة كما ارتأينا، فضلاً عن مرور الكاتب على البحر الكامل مروراً عابراً وليس عميقاً من ناحية التطبيق الشعري.

والكتاب الثاني بعنوان المرشد إلى فهم أشعار العرب للدكتور عبد الله الطيب، وهو في خمسة أجزاء تناول في الجزء الأول: العيوب المتعلقة بالقافية الشعرية، وتناول محور الشعر وصنّفها، بما فيها البحر الكامل الذي صنّفه من ضمن البحور الشهوانية، ثم تحدّث عن أوزان الشعر وموسيقاها.

وفي الجزء الرابع من الكتاب تكلم المؤلف عن البحور والقوافي والإيقاع الداخلي والخارجي، ومرّ مروراً سريعاً على المقاطع اللغوية.

إن تلك الأبحاث والكتب التي ذكرناها تتقاطع مع بحثنا في الحديث عن الزحاف والعلة ومتعلقاتهما لكنها دراسات خلت من الدراسة الصوتية المقطعية اللغوية والعروضية، ولم يكن الحديث مفصّلاً عن البحر الكامل من خلال المقطع اللغوي، والمقطع العروضي، فضلاً عن الشواهد التي مرّت لم تكن من الديوان الذي اعتمدته في دراستي (البحر الكامل) وهذا يقودني إلى بيان أسباب اختيار البحث، لذا وجدت أن بحثنا ينفرد عن تلك الأبحاث بسمة التوسع في الحديث عن المقطع اللغوي والعروضي مع أمثلة شعرية تدعم ذلك، والموازنة بين كل مقطع وآخر، الأمر الذي يجعل بحثنا ينفرد عنها بهذه السمات التي تجعل منه بحثاً جديراً بالاهتمام.

أسباب اختيار البحث:

بعد الاطلاع على الدراسات السابقة والكتب المؤلفة في هذا الموضوع وجدت أن بحثنا ينفرد عما سبق ذكره بسمة التوسع في الحديث عن المقطع اللغوي

والعروضي، وذلك بكثرة الأمثلة الشعرية التي أوردتها من البحر الكامل ومن ديوان النابغة تحديداً.

والأمر الآخر أن اختياري في التطبيقات الشعرية من البحر الكامل راجع لكون هذا البحر من أكثر البحور الشعرية جلجلة وحركات وفيه باب من أبواب اللين والرقّة ما يجعله حلواً مع صلصلة كصلصلة الأجراس، ونوعاً من الأبهة يمنعه أن يكون نزقاً خفيفاً شهوانياً (1).

والأمر الثالث: إن تفعيلات البحر الكامل هي من الفروع التي تبدأ بسبب، بغض النظر عن هذه الصيغة طويلة كانت أم بطيئة، مع بقاء الخيار الموسيقي (الزحاف) على أنه إنقاص من هذه الصيغة، وليس زيادة فيها.

والأمر الرابع في اختياري ديوان النابغة، أني وجدت فيه عشر مقطوعات من البحر الكامل، يتراوح عدد أبياتها من اثنين إلى ست وثلاثين بيتاً، وإحدى تلك المقطوعات جاءت مجزوءة، وكان مجموع عدد الأبيات واحداً وتسعين بيتاً، وعدد التفعيلات مئتين وتسع وسبعين تفعيلة، من نوع "متفاعلن"، ومئتين وتسع وأربعين تفعيلة من نوع "مستفعلن"، وكانت الزيادة ثلاثين تفعيلة لصالح "متفاعلن"، وهذا التنوع بين "متفاعلن" و"مستفعلن" هو من صفاء البيت بنوع واحد إلى أي احتمال بين النوعين، وهل نقول: إن النابغة أتت بمئتين وتسعة وأربعين بيتاً، وأصلح في مئتين وتسع وسبعين مرة؟ أم أنه استخدم الرخصة بعدد من المرات يقارب استخدام القاعدة الأصل؟، وأين المفاجأة في أن يذهب موقع التفعيلة في أحد اتجاهين كلاهما معروف مسبقاً؟ ربما نقول: إن أصل التفعيلة هو "متفاعلن" لزيادتها الإحصائية متان

(1) الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب، دار الآثار الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى.

1410هـ / 1990م، ج 1، ص: 108.

وتسع وسبعون تفعيلة مُستفعلن^١ في مقابل ميتين وتسع وأربعين تفعيلة من نوع مُتفاعِلن، فلو أخذنا مطلع قصيدة زهير بن أبي سلمى (1).

لَمَنْ الدِّيارُ بِقُتَّةِ الحِجرِ * أقوينَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ شَهَرٍ

وهي تقع في واحد وعشرين بيتًا من الكامل (المحذ)، وجاءت عروضها فعلن^٢ وضربها فالن، فإذا حذفنا تفعيلتي العروض والضرب، وأخذنا تفعيلات الحشو-وهي أربع في كل بيت- وجدنا أن عدد مستفعلن هو سبع وأربعون تفعيلة، وعدد متفاعِلن سبع وثلاثون تفعيلة فهل يكون الأصل في هذه القصيدة من الكامل مُستفعلن؟ لم يكن الإحصاء مرجحًا للوزن الأصلي، إنما عدم إمكانية قبول مُتفاعِلن كوحدة أصلية.

نعم لو استطاع الشعر العربي أن يقبل أربعة أسباب متتالية أو خمسة كوحدة؛ عندها يصبح لدينا نوع جديد من الشعر، ولأصبح الوزن عريضًا جدًا، ولزادت التفعيلات الأصلية والفرعية ازديادًا هائلًا، ولخُضنا بحورًا جديدة لم تدخلها سفينة شاعر، ولم يرَ نوارس شواطئها خيال قبطان.

القسم الأول: الدراسة النظرية

أ- فيزياء الشعر-الصوت والسكون الصوتي:

تعج الحياة اليومية بوجود الأصوات المختلفة، ولا نحكم بوجود صوت إلا عندما نسمعه، أي عندما تهتز طبلة الأذن مستجيبة لاهتزاز جزيئات الهواء الملامسة لها، وتحدث هذه الظاهرة نتيجة لاهتزاز جسم من الأجسام على نحو يؤثر على العلاقات بين جزيئات الهواء المحيطة بهذا الجسم⁽²⁾، وتنتقل تلك الاهتزازات

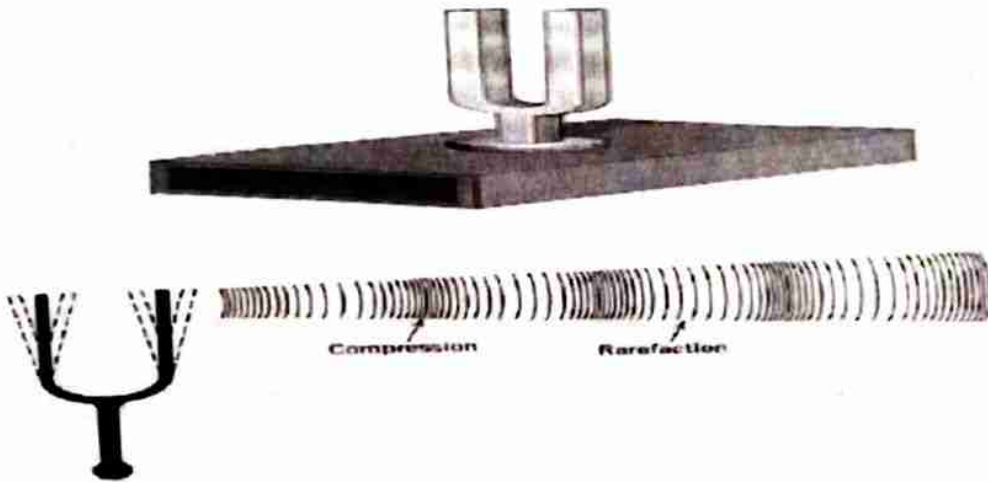
(1) ابن أبي سلمى، زهير، ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3،

1400هـ/1980م، ص: 114.

(2) مصلوح، سعد، السمع والكلام، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1400هـ/1980م، ص: 25.

الواردة إليه من خلال سلسلة العظيمات الثلاث إلى الأذن الداخلية، ثم عبر العصب السمعي، ثم إلى المخ، وهناك يتم تفسيرها⁽¹⁾، فالصوت إذن: الطاقة التي تصل إلى الأذن من الخارج، والتي يستمر انتشارها في حالة عدم وجود أذن لتمييزها⁽²⁾.

ومن خلال التعريفات السابقة أخلص إلى نتيجة هي: أن الصوت نوع من الطاقة ينتج عن اهتزاز مناسب لجسم مادي، والمثال التالي يوضح ما سبق: إذا كان لدينا رنانة وضربنا إحدى شعبتيها بمطرقة سمعنا صوتاً، ويصبح هذا الصوت أكثر وضوحاً عند وضع الرنانة على علبة خشبية أي (علبة تجارب الرنانة)، كما هو واضح في الشكل (1).



هذا الصوت الصادر عن ضرب إحدى شعبتي الرنانة يتكون من أمواج صوتية، تنتشر في منطقة الهواء المجاور، والأمواج الصوتية تنتشر أيضاً بصورة طولية بشكل سلسلة من الانضغاطات والتخلخلات المتلاحقة.

(1) مصلوح، سعد، السمع والكلام، ص: 25.

(2) أفرون، الكسندر، الصوت، ترجمة: محمد عز الدين فؤاد، دار الكرنك للنشر والطباعة، القاهرة، 1962م، ص: 13.

ويمكن إيضاح ذلك بوصل نابض إلى شعبة رنانة كهربائية مهتزة، وتكون الرنانة هي منبع الصوت، لها حركة تتم على جانبي وضع توازنها، وتكرر متماثلة في فواصل زمنية متساوية. (انظر: الشكل 2).



تنتشر هذه الحركة إلى الهواء المجاور حتى تصل إلى أذن السامع، فتولد تغيرات الضغط اهتزازًا في غشاء الطبلة، ينتقل إلى بقية جهاز السمع، فيُسمع الصوت⁽¹⁾.

إن تلك الأصوات التي تأتينا يختلف بعضها عن بعض بعد اهتزاز النقطة المادية حول وضع توازنها في الثانية (التواتر)، وسعة هذه الحركة بعيدًا عن وضع التوازن (الشدة)، وتراكب مضاعفات هذا التواتر فوق الاهتزاز الأصلي (الطابع). فلكل صوت تواتره، وشدته، وطابعه، الأمر الذي يجعله وحدة مميزة عن غيره ومثال ذلك: (شلال مياه، نقيق الضفادع، صوت سيارة الإسعاف)، أما السكون الصوتي، فهو انعدام الاهتزازات الصوتية في الوسط⁽²⁾.

(1) للمزيد انظر: ليدفوجد، بيتر، مبادئ علم الأصوات الأكوستيكي، ترجمة: جلال شمس الدين ومراجعة: سعد مصلوح، د ن، الإسكندرية، 1992م، ص: 73 وما بعدها.

(2) أفرون، الكسندر، الصوت، ترجمة: محمد عز الدين فؤاد، دار الكرنك للنشر والطباعة، القاهرة، 1962م، ص: 14-16.

ب- اللغة والصوت:

تعدّ اللغة أهم نظام رمزي يمكن للبشر أن يتواصلوا من خلاله، ويتبادلون من خلالها المعلومات والخبرات فيما بينهم، وتتكون اللغة من جانبين.

الأول: الأصوات المنطوقة المسموعة، وثانيهما: الأفكار والمشاعر وصور الأشياء المخزونة في المخ، أو ما يمكن تسميته بالمعاني⁽¹⁾.

والأصوات المنطوقة المسموعة، والأفكار والمشاعر كلاهما يرتبط بعملية الاستدعاء (process of association) بمعنى: أن الصوت يستدعي المقابل له، والأفكار والصور تستدعي ما يقابلها من أصوات، فكل نظام من التداخل لا بدّ له من وجود شيفرة (code) وهي نظام محدد من العلامات (signs) أو الرموز (symbols) متفق عليه⁽²⁾. إذن: اللغة هي: نظام محدد متفق عليه، يتألف من رموز صوتية منطوقة، وهذه الرموز أو العلامات قابلة للتشكيل، طبقاً لقواعد متفق عليها بين أهل اللغة⁽³⁾.

فالحروف مثلاً: (ج-ع-ل) مع حركاتها الفتحة؛ هي رموز بالنسبة لمستخدمي الشيفرة اللغوية، التي من خلالها يمكن أن نحري عددًا من التشكيلات اللغوية (جعل، عجل، عالج)، وبالتالي تختلف المعاني باختلاف التكوينات، وليست هذه الأجزاء في جوهرها إلا نتيجة من التداخلات التي تقوم بها أعضاء النطق في مجرى هواء الزفير، وهي تختلف كمًا وكيفًا ومكانًا.

هذه الأجزاء بتشكيلاتها المختلفة؛ ترتبط باختلاف فهمنا لمعنى الرسالة المنطوقة، فضلًا عن كونها أحد العناصر في نظام لغتنا العربية.

(1) مصلوح، سعد، السمع والكلام، ص: 18.

(2) المرجع نفسه، ص: 18/19.

(3) المرجع نفسه، ص: 19.

أما اللغة غير المنطوقة - وهي من الظواهر الصوتية غير اللغوية - فإنها تُضفي على هذه الرموز الصوتية، لوًا انفعاليًا خاصًا معبرًا عن موقف المتكلم أكثر من كونها ناقلة لأفكاره.

ج- المقطع اللغوي: (الحركة - الحرف الصائت والحرف الصامت)

بذل علماء العربية جهدًا كبيرًا غير منكور في تعرّف الحركات في اللغة العربية، سواء أكانت الحركات الطوال وسموها (حروف المدّ)، وهي: الألف في قال، والياء في قيل، والواو في يقول، أو الحركات القصار، (الفتحة والضمة والكسرة)⁽¹⁾.

وكانت بداية الجهود في ذلك مع أبي الأسود الدؤلي، والخليل بن أحمد الفراهيدي، ثم من بعدهم سيويوه، وابن جني الذي قال: (اعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، وهي: الألف والواو والياء فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث وهي: الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو)⁽²⁾.

ويبقى للحركات دورها في بناء الكلمة وموضعها، وما اختصّت به دون غيرها من الأصوات، وهو كونها علامات إعراب من ناحية دورها الحاسم في ضبط أهمّ خاصّة من خواص العربية، ونعني بها الإعراب، الذي هو دليل صحة الكلام أو خطئه⁽³⁾.

(1) بشر، كمال، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص: 420-422.

(2) ابن جني، أبو الفتح عثمان (392هـ)، سرّ صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م، ص: 19.

(3) بشر، كمال، علم الأصوات، ص: 429.

أما الحديث عن الحرفين الصائت والصامت، فإن هذا من ضمن المقاطع اللغوية التي تشمل الحركة كذلك، والتي تبنى عليها الأوزان الشعرية، وهذه المقاطع نوعان:

متحرك (open)، وساكن (closed)⁽¹⁾، أي قصير أو طويل، والمقطع المتحرك ينتهي بحرف لين، والمقطع الساكن ينتهي بصوت ساكن، فالمقطع اللغوي هو: مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة⁽²⁾، فكلمة: مَن مقطع، قمته الحركة، وقاعدتاها: الميم والنون. والمقاطع في لغتنا قمة تشتمل الحروف الصائمت، وهي حروف العربية، عدا حروف المد إن لم تأت متحركة، إذن المقطع اللغوي هو وحدة لغوية تمثلها قمة بين صوتين⁽³⁾.

د- المقطع العروضي:

يُعرف المقطع العروضي بأنه: وحدة صوتية قد تكون من حرفين أو أكثر⁽⁴⁾، يقول الزغشري: إنَّ أساس بناء الشعر شيثان: أحدهما مركب من حرفين، والثاني مركب من ثلاثة أحرف⁽⁵⁾، ومعنى ذلك أن المقطع العروضي يتألف من حرفين على الأقل، أو من ثلاثة أحرف، أو من أربعة، أو من خمسة أحرف. وهذه المقاطع ثلاثة أنواع:

(1) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1992م، ص: 159-160.

(2) أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، مكتبة الشباب، مصر، الطبعة الثانية، 1968م، ص: 139.

(3) للمزيد: انظر: أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، مكتبة الشباب، مصر، الطبعة الثانية، 1968م، ص: 166-169.

(4) جدوع، عزة محمد، موسيقا الشعر بين القديم والجديد، مكتبة الرشد، الرياض، ط4، 2008م، ص: 21.

(5) الزغشري، محمود بن عمر، القسطاس في علم العروض، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثانية، 1410هـ-1986م، ص: 26.

الأول: السبب الخفيف، والسبب الثقيل، والثاني: الوند المجموع والوند المفروق، والثالث: الفاصلة الكبرى والفاصلة الصغرى، ولا أجد مسوغاً لتفصيل الحديث عنها؛ لكونها معروفة عند دارسي علم العروض. وفي هذه المقاطع العروضية تتوالى الحروف المتحركة والساكنة في الكلام من دون انتظام، ولكنها في الشعر تأتي في نظام يعتمد على أمرين:

أ- علاقة ترتيب داخلية ضمن المقطع.

ب- تكرار المقطع نفسه في كل شطرين من أبيات القصيدة.

ومن هنا فإن المقطع العروضي قد يختلف قليلاً عند نهايته فيعطي للقافية ألواناً تزيد من روعة التلقي، وهو ما يحدث للضرب من زحاف وعلل، الأمر الذي يدعونا إلى تعريف علم العروض اصطلاحاً بأنه: العلم الذي يدرس موازين الشعر المعروفة: موزونه من مكسوره، والتميز بين أوزانه المختلفة⁽¹⁾، ومما سبق يتبين لنا أن الشعر يعرض على علم العروض، فما وافقه يكون شعراً، وما خالفه لا يكون شعراً عربياً، إذن العروض هو البحث الذي يحيط بصفات المقطع العروضي ومميزاته وشروطه، والطوارئ التي تخرجه من الشعر إلى النثر، فالزحاف الذي يأتي في المقطع العروضي (فعولن) أو (مفاعيلن) -على سبيل المثال- هو أن تقبله تلك الوحدة البنائية للشعر، (فعولن مفاعيلن...) بمعنى أن يكون في شطر البيت الشعري أنواع من التسارعات في ذات الموقع، وهو خيار موسيقي له أحكامه وقواعده، كأن تقبل تعدد ألوان ربطة العنق مرة بلون السترة، ومرة بلون القميص، وثالثة بلون البنطال. فإذا صار المقطع ثابتاً على نوع واحد وتكرر عادت التسارعات منتظمة، وأصبحت متشابهة السرعة، وعادت بالشعر رغم صيغته التكرارية ليصبح نثراً.

(1) التبريزي، الخطيب أبو زكريا يحيى بن علي، الوافي في العروض والقوافي، تحقيق: فخر الدين قباوة،

دار الفكر، دمشق، ط4، 1407هـ - 1986م، ص: 17.

إن تكرار الأسباب، أو الأوتاد، أو الفواصل ليس وزناً شعرياً، وقد قبلت في أجزاء من المقطع العروضي (التفعيلة) على أنها لون جزئي، فإذا عم صار كلاماً مكروراً موزوناً وليس شعراً، ومن هنا تدخل هذه الألوان في المقطع العروضي على أنها تغير في أنماط التسارعات ضمن نظام غلاف لا يكسر وهو التفعيلة.

فالزحاف هو عدم انتظام جزئي في التسارع ضمن النظام العام للتسارعات، وهو ما يجعل الأذن تزداد التصاقاً بالشعر؛ لأنها وجدت التصاقاً بين علم العروض والموسيقى، فإذا كان البيت الشعري يُقسّم إلى مقاطع صوتية تُعرف بالتفاعيل، وكذلك الشأن في الموسيقى؛ فإنها تقوم على تقسيم الجُمْل إلى مقاطع صوتية تختلف من حيث الطول أو القصر.

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية

أ- المقاطع اللغوية:

وقع اختياري في بحثي هذا على البحر الكامل؛ لكونه من أكثر البحور جلجلة وحركات، وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله فخماً جليلاً، إن أريد به الجلجلة، وفيه باب من أبواب اللين والرقّة ما يجعله حلواً مع صلصلة كصلصلة الأجراس، ونوع الأبهة الذي يمنعه أن يكون نزقاً خفيفاً شهوانياً⁽¹⁾، فكان هذا البحر وُجِدَ للتغني سواء أريد به جدّ أم هزل.

وبناء على ما قدّمنا في القسم الأول نقول: هل تُقبَل المقاطع اللغوية أساساً للنغم الموسيقي في شعرنا؟ إن قبولها أمر يخصّ اللغة، لكن أن يكون النغم الشعري

(1) الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب، دار الآثار الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1990م، ج 1 ص: 108.

عندنا حصيلة لهذه المقاطع فتلك صعوبة؛ لأن المقاطع بكيفياتها لا تصلح قيمة موسيقية في الميزان⁽¹⁾.

لو أفردنا كل مقطع في الميزان؛ لوجدنا تعدد النسب اللغوية التي تقابله حين النطق، أي حين الفاعلية الشعرية. لنحاول تقطيع بيتين من قصيدة واحدة للنابغة الذبياني على أساس مقطعي، لنرى كيف تكون الموازنة وهما من البحر الكامل⁽²⁾:

أَفِدَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنْ رِكَابَنَا * لَمَّا نَزَلْ بِرَحَالِنَا وَكَانَ قَدِ

صدر البيت:

أَفِدَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنْ رِكَابَنَا														
15	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
نا	ب	كا	ر	ن	لن	ر	هي	ل	خ	رخ	ث	ث	ف	أ
مرج	مرج	مرج	مرج	مرج	مرج	مرج	مرج	مرج	مرج	مرج	مرج	مرج	مرج	مرج

عجز البيت:

نَدَاؤُنْ بِرَحَالِنَا وَكَانَ قَدِ												
13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
كا	لن	ه	ر	نا	ل	حا	ر	ب	ز	ت	م	نم
مرج	مرج	مرج	مرج	مرج	مرج	مرج	مرج	مرج	مرج	مرج	مرج	مرج

(1) كشك، أحمد، الزحاف والعلّة، مكتبة النهضة المصرية، 1995م، ص: 17.
 (2) الذبياني، النابغة، ديوان النابغة، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، 1976م، ص: 93.

ما الذي نلاحظه في البيت السابق: لو اخذنا التفعيلتين الأخيرتين من الشطر الأول وهما صحيحتان وقابلناهما بالتفعيلتين الأخيرتين من عجز البيت وهما صحيحتان أيضًا لمجد:

في صدر البيت المقطع: (أن) وهو يوازي (ص ح ص) يقابله المقطع (نا) (ص م). إذن هناك تغير في المقطع المقابل أي: (ص ح ص) تغير إلى (ص م). وكذلك المقطع (كا) (ص م) قد تغير إلى (ص ح ص) في (أن)

لنتقل إلى البيت الثاني:

وزن الغلاف بين رطشاً عد														
15	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
نا	غ	لا	ت	ل	رح	ب	و	ب	ف	ب	غ	مل	غ	ل
ص م	ص ح	ص م	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص م	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح

عجز البيت:

وبذلك خُتِمَ الغراب الأملؤد														
14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	
د	و	ن	ن	را	غ	ن	و	ب	خب	له	لا	ب	و	
ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص م	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص م	ص ح	ص ح	

ماذا نلاحظ في هذا البيت من التغير الذي جرى؟

أ- المقطع (مل) = (ص ح ص) قد تغير في المقطع (ذا) إلى (ص م).

ب- المقطع (رح) = (ص ح ص) قد تغير إلى (ص م) في المقطع (را)

ومن خلال الموازنة بين البيتين نجد أن المقطع (رح) = (صر ح ص) في البيت الأول قد تغير.

المقطع المقابل له في البيت الثاني (را) إلى (ص م).

المقطع المقابل له في البيت الثاني (را) إلى (ص م).

والمقطع (ما) = (ص م) قد تغير إلى (ص ح ص) في المقطع (نل).

والمقطع (و) = (ص ح) قد تغير إلى (ص ح ص) في المقطع (بل).

والمقطع (ك) = (ص ح) قد تغير إلى (ص ح ص) في المقطع (أس).

والمقطع (أن) = (ص ح) قد تغير إلى (ص ح ص) في المقطع (أس).

وكذلك نجد ثباتاً مكان المقطع القصير في بعض الأحيان، الأمر الذي

يبدعونا إلى السؤال: هل يمكن أن نأخذ الثبات قيمة كمية تحمل ظاهرة التردد

والتكرار، ونغفل أمر المقطع الذي توارد في مكانه بصورتين مختلفتين؟ - لكن الإيقاع لا يقبل ذلك -، وكيف يقبل وهذا المقطع القصير مكان للتغير بالمزاحفة.

لنأت بيت مُزاحف لنعلم أنه لا ضابط لتوالي المقاطع اللغوية بصورة

معينة، سواء أكان البيت في صورته المثالية من دون زحاف أو بصورته المزاحفة. قال
النايغة (1):

كان ابن أشفة طبيباً أثوابه عفا شمائله غزير النائل

کاتب ن اشفه طیباً اثوابه وعففن شمائله وغزي رنائلی

[illegible]

(1)الذبياني، النابغة، ديوان النابغة، ص: 211.

اخترت التفعيلة الأولى والثالثة من صدر البيت، والأولى والثالثة من عجز البيت، لكونهما مزاحفتين، واتضح لنا ما يلي:

أ- المقطع الأول (كا) = (ص م) تحول إلى (ص ح ص) في المقطع الذي يقابله (عف).

ب- المقطع الأول (اشر) = (ص ح ص) تحول إلى (ص م) في المقطع الذي يقابله (ما).

ونوازن بين المقاطع غير المزاحفة في صدر البيت وهي التفعيلة الثانية في صدر البيت وعجزه فنجد أن المقطع (طي) = (ص ح ص) قد تحول إلى (ص م) في المقطع الذي يقابله (هو).

والمقطع (بن) = (ص ح ص) قد تحول إلى (ص م) في المقطع (زي) إذن: أي مقابل أية مراعاة للنسب إن أطلقنا الكم على أساس من تصور المقطع اللغوي، وبالتالي وقع الخلط بينهما في المقاطع، الأمر الذي يجعل المقطع اللغوي غير متماش بشكل كامل في الوزن الشعري، حيث جاء الخلط بينهما، أما المقطع الذي ورد في القافية (لي) = (ص م) يمكن أن يتطابق مع مقطع آخر مشابه له في القافية؛ لأنه قريب له.

والواقع أن القافية تفرق أو تحاول أن تفرق بين المقطعين على أساس من التردد القافوي حين التزام أحرف المدّ (لي) مدّت الكسرة فصارت ياءً. لنأخذ البيت التالي المزاحف أيضاً، لنعلم أنه لا ضابط لتوالي المقاطع اللغوية بصورة معينة، سواء أكان هذا البيت في صورته الكاملة، أو في صورته المزاحفة، قال النابغة⁽¹⁾:

(1) الذبياني، النابغة، ديوان النابغة، ص: 73.

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31	32	33	34	35	36	37	38	39	40	41	42	43	44	45	46	47	48	49	50	51	52	53	54	55	56	57	58	59	60	61	62	63	64	65	66	67	68	69	70	71	72	73	74	75	76	77	78	79	80	81	82	83	84	85	86	87	88	89	90	91	92	93	94	95	96	97	98	99	100
1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31	32	33	34	35	36	37	38	39	40	41	42	43	44	45	46	47	48	49	50	51	52	53	54	55	56	57	58	59	60	61	62	63	64	65	66	67	68	69	70	71	72	73	74	75	76	77	78	79	80	81	82	83	84	85	86	87	88	89	90	91	92	93	94	95	96	97	98	99	100

لو أخذنا المقطع الأول من صدر البيت (واهجروهم) وهو مُتفاعِلُنْ، وأخذنا المقطع المقابل له (حتى تلا) مُتفاعِلُنْ ثم وازنا بين المقاطع اللغوية فيهما، فإننا لا نجد توافقاً مقطوعياً لغوياً، إذ نجد في التفعيلة الأولى المقطع اللغوي (جر) = (ص ح ص) يقابل المقطع (تي) = (ص م) في التفعيلة الأولى من عجزه (ص ح) في أكثر من مكان، ونجد المقطع (دي) = (ص م) يقابل المقطع (شر) = (ص ح) في أكثر من مكان أيضاً، والمقطع (ق) = (ص ح) يقابل المقطع (حا) = (ص م) وقد توافقت مع باقي المقاطع.

إذا أطلقنا الكم على أساس من تصور المقطع اللغوي؛ فإننا لا نجد أي مقابل وأي مراعاة للنسب، مع أنني مثلت بمقطعين يختلف وجود أحدهما عن الآخر، هذا الوجود لم يتماشَ كاملاً كما جاء في الوزن إذ جاء الخلط بينهما ويبقى المقطعان اللذان حكما بورودهما قافية؛ لأنهما قرينا الوقف هنا (هو) = (ص م) مقابل (حا) = (و. ص م) في شحاحا.

ماذا نستنتج؟ نقول: إن الوحدة المقطعية أنموذج جامع، أما المقطع اللغوي - كما ورد من أمثلة سابقة فلن يكون جامعاً، وهنا أطرح السؤال الآتي: هل موسيقى الشعر في بنيانها اعتمدت على أساس من ترتيب المقاطع اللغوية ترتيباً خاصاً؟

الجواب: لا، ذلك لعدم اطراد المقطع وعدم ثباته.

فالمقاطع اللغوية وحدها لا تمثل إيقاع الشعر؛ لأننا لا نستطيع أن نحول المقاطع اللغوية إلى كم موسيقي، مع إمكانية رصد التفعيلة الموجودة على أساس مقطعي على سبيل التجوز، ونستطيع أن نسجلها مقطعيًا كنوع من تحليلها، أوروثتها من منظور واحد، مع أن رؤيتها تحتاج إلى عديد من المنظورات⁽¹⁾

والجدول التالي رصد للمقاطع مزاحفة وغير مزاحفة من البحر الكامل، لنلاحظ كم التفعيلات (تامة ومزاحفة) على أن ندرك العدد المقطعي يراعي كم المقاطع لا كيفها.

جدول المثال والزحاف للبحر الكامل وقد استرشدته من كتاب الزحاف والعلّة للدكتور أحمد كشك⁽²⁾

الجدول الأول: المثال والزحاف:

رقم المقطع	رصد المقطع				الزحاف	عدد التفعيلات	رصد التفعيلة				
	أ	ب	ج	د			أ	ب	ج	د	هـ
1	م	م	م	م	إشباع	5	م	م	م	م	م
2	م	م	م	م	م	5					
3	م	م	م	م	م	5					
4	م	م	م	م	م	5					

الجدول الثاني: المثال والعلّة:

رقم المقطع	رصد المقطع				الزحاف	عدد التفعيلات	رصد التفعيلة				
	أ	ب	ج	د			أ	ب	ج	د	هـ
1	م	م	م	م	إشباع	5	م	م	م	م	م
2	م	م	م	م	م	5					
3	م	م	م	م	م	5					
4	م	م	م	م	م	5					

(1) كشك، أحمد، الزحاف والعلّة، ص: 173.

(2) المرجع نفسه، ص: 175.

من الحصر المقطعي السابق في الجدولين: (المثال والزحاف)، و(المثال والعلّة) نجد أن الإضممار والوقص والخزل قد غيّر العدد المقطعي من خمسة مقاطع إلى أربعة، وفي جدول (المثال والعلّة) نجد أن عدد المقاطع قد تغيّر من خمسة مقاطع إلى أربعة وبقي العدد على حاله في حالة التذييل.

هذه الزحافات والعلل في واقعها صوّرت التفعيلات، إذ ينقص المقطع مع تغيّر صورته، كما هو واضح في الجدولين السابقين، وهذا ما يدعونا إلى استغراب استخدام المقطع، إذ الحذف لا يغيّر من كمّ المقاطع، بينما الإسكان يقلّل من كمّها، فإهمال المقطع باعتباره تصوّرًا للكمّ في موسيقى الشعرلها يسوّغه من عدم إمكانته على قطر الدائرة، حينما نفكّ بحرًا من البحور، وهذا يعطي قيمة لما يسمّى بالوحدات اللغوية التي تكوّن التفعيلة⁽¹⁾ وهذه قضية اختلفت فيها الآراء.

وبناء على ذلك نقول: إنّ حمل أعاريض العربية على طريقة المقاطع اللغوية غير دقيق، ذلك أن كل عروض إنّما هو شكل موسيقي تام ذو أبعاد زمانية ثابتة النسبة بعضها إلى بعض، وليس مجرد مقاطع طوال وقصائد تدلّ على كمّ كلامي، وهذه الأبعاد الزمانية بمنزلة القوالب من المقاطع اللفظية⁽²⁾. كل ذلك يدحض القول أن يكون المقطع اللغوي مصدر كينونة الشعر

العربي.

ب - المقاطع العروضية:

بعد دراستنا المقاطع اللغوية؛ لا بدّ لنا من التعرّيج على الوحدات التي تمثل الإيقاع الموسيقي، ألا وهي المقاطع العروضية، التي يُعرف من خلالها الحركات

(1) كشك، أحمد، الزحاف والعلّة، ص: 182/183.

(2) المرجع نفسه، ص: 180.

والسكنات والمعتمدة الرّثة (الدّثة)، أو النقرة التي تحققها الوحدات الصغرى في المقاطع العروضية، ولا تحققها استقلالية المقاطع، أو المتحرّكات والسواكن، ومن هذه الوحدات فإن الإيقاع يصير عرضة للتوالي المكروه لغويًا وموسيقياً، وهذا يجعلنا نقول: إن أساس موسيقا الشعر هو الدّثة أو (الرّثة). فالسبب الخفيف مثلاً هو تصوّر للدّثة (تن/ه) وهذه الدّثة يقابلها ما لا حصر له من الأصوات التي تماثلها، فالتساوي حاصل بين (ها/د) و(لا/ه) و(تف/ه) و(مس/ه) ... وغيرها.

وهنا نطرح السؤال الآتي: هل السبب الخفيف وحدة مستقلة؟

والجواب: لا؛ لأننا لو اكتفينا به لوقعنا في التوالي: (تن/ه/تن/ه-تن/ه)،

وهذا ما تأباه اللغة، فكيف بقبولها في مستوى موسيقاها؟

وتأتينا دّثة ثانية هي (ددن//ه) أو (تتن) وهي وحدة الوتد المجموع، ومقابلاتها اللغوية كثيرة لا تحصى، والأمر عينه مع الوتد المفروق (تن ت/ه/) وهي نوع آخر من التوزيع النغمي لكسر الرتابة، وهي دّثة تحمل إيقاعاً في إطاره الموسيقي له ما يسوّغه.

وتأتي الفاصلة بنوعها (ددن///ه) الصغرى، وهي تشكيل يمنع الرتابة، وكل ما ذكرناه آنفاً يعطي تصوّراً موسيقياً خاصاً لتخفيف الكتلة وخاصة الفاصلة، وذلك بإيجاد سكتة يتقبّلها إطار الوزن الشعري.

سنحاول باختصار شديد أن نبين دور الدّثة وإظهار ما يسمى (بالظاهرة المترددة)، التي يحافظ من خلالها على نسب معينة من المقادير، وذلك بمقارنتها بالمقطع:

- تصوير الدّثة على أساس مقطعي، وناخذ تفعيلة من البحر الكامل (موضوع بحثنا): متفاعلن: مثالية، ومتفاعلن: مضمّر.

مُتَّ	فَا	عِلَن	مَتَّ	فَا	عِلَن
دَدَّ	دَن	دَدَن	دَن	دَن	دَدَن

وكذلك فاعلاتن:

فَا	ع	لَا	تَن
دَن	د	دَن	دَن

ومستعملن:

مَس	تَف	عِلَن	مَس	تَفَع	لَن
دَن	دَن	دَدَن	دَن	دَن د	دَن

إن الناطق لهذه الوحدات لا يحسّ بأي توازن موسيقي على أساس هذا

النطق المقطعي.

لنأخذ بيتًا غير مزاحف في صدره من البحر الكامل، ونحن نعلم أنه قلما يأتي البحر الكامل خاليًا من الزحاف؛ لنستخرج منه نظامًا محددًا للنقرة، قال النابغة (1):

يَهْبُ الجَوَادُ بِسَرْجِهِ وَلِجَامِهِ			وَالْعَنَسُ تَخْطُرُ فِي الْيَمَانِي الْكَامِلِ		
يَهْبِلُ جَوَا		دِيسَرْجَهِي		وَنَجَامَهِي	
// 0 //		5 // 0 //		0 // 0 //	

(1) الذبياني، النابغة، ديوان النابغة، ص: 211.

ومقاطع هذا البيت مقابلها بالنقرة:

يه	بل	ج	وا	دب	سر	ج	هي	و	ل	جا	م	هي
دد	دن	د	دن	دد	دن	د	دن	د	د	دن	د	دن

العجز:

إن علق نبح			نمر قريبا			ثلاثا مري		
0 0 0			0 0 0			0 0 0		
نبح	نبح	نبح	نمر	نمر	نمر	ثلاثا	ثلاثا	ثلاثا
نبح	نبح	نبح	نمر	نمر	نمر	ثلاثا	ثلاثا	ثلاثا

وأعلق على صدر البيت لكونه خالياً من الزحاف وأقول: هل يمكن قبول الدتة هنا وحدها إيقاعاً على أساس من التصور المقطعي حين الإنشاد؟ وهل في إطلاقها ما يوحي بأي نغم؟ أو أن كم شملها في إيقاع تفعيلي هو الذي يخلق منها سمة موسيقية أساسها وحده السبب والوتد؟

كان ذلك لصدر بيت من الكامل لم يدخله الزحاف، لناخذ بيتاً مزاحفاً من البحر الكامل أيضاً، قال النابغة⁽¹⁾:

واستيق ذلك للصدق ولا تكن		
وس تب في ود	ذلك نصر مر دي	في ولا تكن
0 0 0	0 0 0	0 0 0
قبتا بعض بغرب ملهاها		
قبتين بعض	فب بغارين	من ملهاها
0 0 0	0 0 0	0 0 0

(1) الذبياني، النابغة، ديوان النابغة، ص: 73.

وس	تب	ق	ود	دك	لص	ص	دي	ق	و	لا	تكن
دن	دن	د	دن	دد	دن	د	دن	د	د	دن	ددن

ليس غريباً أن تكون الصورة المزاحفة في تواليها أدق توازناً على ذلك الأساس المقطعي من الصورة المثالية.

فالدّة إذن لها سكتة معينة، وإذا مثلنا المقطع بدئته؛ فإن دّة الحرف المتحرك لا نحس من خلالها نقرة توحى بالإيقاع إلا باتصالها مع ما بعدها، أي بالتحاقها مع مقطع يتلوها. فلتتمثل البيت التالي من قول النابغة⁽¹⁾

بمخضّب رخص كان بنائه		عنم يكاد من اللطافة يعقّد
بمخضّب رخص كان بنائه		
بم خضض بن	رخصن كان	ن ب نا نهنو
0/0/0/	0/0/0/	0/0/0/
عنم يكاد من اللطافة يعقّد		عنم يكاد من اللطافة يعقّد
عن من يكا	د منل لطا	فه بع قدو
0/0/0/	0/0/0/	0/0/0/

لقد أطلق الساكن والمتحرك، فهل من الممكن تكوين دّة على هذا الأساس؟ والجواب: لا، والسبب: هذا العدّ على أساس من المتحرك والساكن لا يقيم من خلاله تواليه أي إمكانية موسيقية، ولا يمكن جعلهما أساساً لرؤية الإيقاع؛ إلا إذا كان المقصود هو التدليل على المتحرك والساكن في إطار وحدته الصغرى، أو في إطار تفعيلته؛ لأنه استقلال لكيانه، بل هو مفهوم في إيقاع كتلته، فهو ضابط لها ومقيّد لإطلاق حركتها.

(1) الدياني، النابغة، ديوان النابغة، ص: 97.

لقد رأينا كيف ضاع التصور المقطعي للدنة، ويرجع ذلك لإطلاق د/دن/ ددن/ من دون اعتماده على كتلة تضبط بالساكن.

إذن الوحدة الصغيرة هي أساس الإيقاع، وهي جزء صغير من وحدة أكبر هي: التفعيلة، والوحدات التي تكون أجزاء التفعيلة مشمولة في العبارة الآتية:

نم	أر	على	ظهر	جبل	سمكة
0	//	0/	/0	0//	0///
سب خفيف	سب ثقيل	وتد مجموع	وتد مفروق	فاصلة صغرى	فاصلة كبرى

ما ميزة هذه الوحدات؟ ميزتها أنها مسجل إيقاعي للدنة التي تصاغ منها التفعيلة، إنها كتلة أولى تمثل الجزئية الأصغر للإيقاع الموسيقي⁽¹⁾، التي تُعبر عنها بـ: (تن) للسبب الخفيف، و: (ت ت) للسبب الثقيل، مع العلم أننا لم نلمح عدم إيجائها باستقلالها العام داخل الدنة إلا من خلال سكتة ضعيفة وهو جزء من وحدة أكبر هي الفاصلة الصغرى (تتن // 0).

والوتد المجموع (تتن // 0)، والمفروق (تن ت) والفاصلة الكبرى (تتن // // 5) وهي جماع عدة مزاحفات في (مستعلن) عندما يدخلها الخبل: (مس تف علن = مُتعلن).

أما التذييل والترفيل؛ فإن وقعهما الموسيقي يترك في النهاية رحابة يقيمها المنشد أو المطرب حين ينهي أغنيته بتطويل آخر مقطع في الكلمة الأخيرة.

(1) كشك، أحمد، الزحاف والعلّة، ص: 195.

تلك الوحدة غير مستقلة تماماً في عروض الشعر العربي؛ لأنها جزء من وحدة أكبر هي الفاصلة الصغرى، وهذه الوحدات مدخل أساس لتكوين كم الإيقاع الشعري؛ التي من خلالها تتكون التفعيلات، مع الإشارة إلى أن المكونات الصغرى تجتبت نقصاً كثيراً عند الاعتبار المقطعي؛ لأنها أوجدت الأرضية للإيقاع في صورة منتظمة⁽¹⁾.

ونذكر الآن بعضاً من الإيقاعات الشعرية على أساس من الوحدات المقطعية أو الدنات، راصدين ما يطرأ عليها من تغير، والهدف من الرصد: الإحساس بأن الإيقاع في تكويناته الصغرى يأتي عن طريق هذه الوحدات التي تتردد من خلال نسب ومقادير ثابتة، ومن أجل الفاعلية الشعرية فقد تتغير تلك الوحدات، ولكن بمحدود الفارق بين المثال والسياق، أي التغير يخرج من نسبة ليراعي نسبة جديدة، قال النابغة⁽²⁾:

بنجاء مضطجع السرى موار			ونقد أسنى الهم حين ينوبني		
مولر	طلع سرى	بنجاء مض	ن ينوبني	لل هم م حي	ول قد أسل
0//0/0/	0//0///	0//0///	0//0///	0//0/0/	0//0///
دن دن دن	لندن لندن	لندن لندن	لندن لندن	دن دنندن	لندن لندن

نلاحظ أنه قد رُوِعت الدقة في صدر البيت بين التفعيلات: الأولى والثالثة، والتفعيلة الأولى والثانية في عجز البيت.

(1) كشك، أحمد، الزحاف والعلّة، ص: 95.

(2) الذبياني، النابغة، ديوان النابغة، ص: 104.

التفعيلة الأولى في صدر البيت هي: (ددنددن) قابلت تمامًا مثلتها في صدر البيت التفعيلة الأولى (ددنددن).

إذن هنا المسافة بين الدنات محسوبة ومعددة. وماذا لو كانت هذه الدنات مزاحفة. لناخذ البيت التالي مزاحفًا من قول النابغة⁽¹⁾:

فعل الخلية في الخنيج الجاري			يسن في ثنى الجديل ويتحى		
يسن ثنى في	ثنى ل جدى	ل وين تحى	فعل خلى	ية فل خلى	جل جارى
0//0/0/	0//0/0/	0//0//	0//0/0/	0//0//	0/0/0/
دن دن ثنى	دن دن ثنى	ثنى دن دن	دن دن ثنى	ثنى دن دن	دن دن دن

فنحن أمام (دن دن ددن) التفعيلة الأولى في صدر البيت مقابل (دن دن ددن) التفعيلة الأولى في عجز البيت بعد المزاحفة، وفي هذا التغير يفهم أن الزحاف قد أحدث تغييرًا ما لذلك الإيقاع، الأمر الذي حوّل نمطيته من تفعيلة غير مزاحفة (دددن ددن) إلى (دن دن ددن) بعد المزاحفة، إذن نحن أمام وحدة مكوّنة أصلاً من (دددن دن) وهي حصيلة إيقاع سابق مكوّن من (دن-دن-ددن) في المزاحفة.

ونلاحظ أيضاً أن البيت الثاني المزاحف؛ لوجاء كله مزاحفًا بتفعيلاته لكان صورة مثالية لبحر الرجز، ففاعلية الموزون قربت من مثالية الميزان من دون ارتباط بين الميزان وموزونه.

(1) الذبياني، النابغة، ديوان النابغة، ص: 104.

وعما يمكن التمثيل به على الزحاف في العروض والضرب فقط، ويعدّ مثالاً
أوفرياً منه قول النابغة⁽¹⁾.

نظرت إليك بحاجة لم تقضها			نظر السقيم إلى وجود الغود		
نظرت إلى	لم تقضها	نظرت على	م إلى وجود	هل غودي	
0//0//0//	0//0//0//	0//0//0//	0//0//0//	0//0//0//	0//0//0//
تت تن تن	تت تن تن	تت تن تن	تت تن تن	تت تن تن	تت تن تن

رُوعي هنا الدقة لهذه الدقة لوزوحت، وهذا ما نجده في البيت التالي الذي
يوضح ذلك ويؤكد، قال النابغة⁽²⁾:

دار تعفت لا أنيس بجوها			إلا بقايا دمنة وأواري		
دارن تعف	فت لا أني	س بجوها	إل لا بقا	يلام تن	وأواري
0//0//0//	0//0//0//	0//0//0//	0//0//0//	0//0//0//	0//0//0//
تن تن تن	تن تن تن	تن تن تن	تن تن تن	تن تن تن	تن تن تن

نجد (تن-تن) في صدر البيت في التفعيلة الأولى والثانية تقابلان (تن-تن)
في عجز البيت، وكذلك (تن) في صدر البيت تقابل (تن) في عجزه، أما في التفعيلة
الثالثة فنجد (تن) تقابل (تن) في عجزه لأنها مزاحفة في الثانية.

(1) الذبياني، النابغة، ديوان النابغة، ص: 97.

(2) المصدر نفسه، ص: 198.

إنّ رصد كل زحاف أو علة على أساس من تحويل الوحدات الصغرى في تكون التفعيلة إلى وحدات أخرى أمر سهل وميسور، لتصور ذلك من خلال التفعيلة في تفعيلات البحر الكامل - موضوع بحثنا.

هذا التحول عن طريق الزحاف عنصر الوند المسمى بـ (ددن) لا يتعرض إلى التغير أو التحول، وهذا يؤكد قوته وأهميته في الإيقاع الموسيقي، فضلاً عن رؤيتنا قيمة الحرف الساكن في كونه ضابطاً للإيقاع. فالتفعيلات صحيحة أو مزاحفة هي كم له مداه الذي يتفق وإيقاع اللغة المنطوقة، والكمية هي وحدات معينة تحدد أطوالها: متفاعلن (/ / 0 / 0) = (مت - فا - علن): سبب ثقيل وخفيف، ووند مجموع، وهذا الزحاف الذي تمّ في التفعيلات السابقة، وإن كان تغييراً فإنّ لدى الموزون والميزان قبولاً موسيقياً لتلك الزحافات التي لم يختل الإيقاع الموسيقي بوجودها، إنّما زادها رحابة وغنى. والزحاف عندما يحدث تغييراً محدداً لإيقاع هذا اللحن وهذا التغير يقبل، لأنه كسر لنمطية التكرار⁽¹⁾.

إنّ المزاحفة تحدث توازناً موسيقياً تميز به بجزاً عن آخر.

ففي الكامل - مثلاً موضوع بحثنا - هل بقاء الوند المجموع في حال التفعيلة لم تحذف يعدّ وسيلة يحافظ بها على موسيقية البحر؟ بمعنى آخر: إن كثرة الزحافات الواردة هي أساس الإيقاع الشعري وحده، وفي الوقت عينه هو تفسير يرى دور الكمية في الإيقاع الشعري إذا أخذ البحر (حذف الوند المجموع) فهذا أمر مقبول؛ لأن تفعيلته متكررة، بينما لا يكون هذا مقبولا في بحور أخرى.

(1) كشك، أحمد، الزحاف والعلة، ص: 210.

ولننظر إلى البحر الكامل من ناحية مجيئه نامًا وعجزوًا، والجزء له تصورات مختلفة باعتبار نهايته، وصورته المثلى: مُتفاعِلن-مُتفاعِلن، لكنني لم أجده في ديوان النابغة، فلم يخل بيت على البحر الكامل من الزحاف، قال النابغة (1)

ونلاحظ أيضاً - وهو معلوم - أنه من النادر أن يخلو بيت في الكامل من الملاحظة كما أنه من النادر أن يزاحف بيت كله مع ملاحظة ثبات العدد لما يسمى بالوتد المجموع، كما أن الزحاف وإن كان قد أحدث تغييراً في الدنات فإن لدى الميزان والموزون معاً ما يحقق قبولاً موسيقياً لتلك الزحافات التي لم يختل الإيقاع الموسيقي بوجودها، إنما زادها رحابة وغنى، وهو حين دخل على تفعيلات البحر الكامل، وأحدث تغييراً محدداً لإيقاع هذا اللحن، لكن هذا اللحن يظل مقبولاً؛ لأنه كسر لنمطية التكرار.

إنّ الحقل الذي دار حوله البحث صعب، والموضوع الذي اشتمله قاسٍ وشاق؛ لأنّ نظام الشعر ينبنى على التفسير الإيقاعي، بل على نظام اللغة عينها. وإنّ محاولة البحث عن القيم الموسيقية والصوتية في لغة من اللغات، والوصول إلى استخراج ذلك أشبه بغوّاص في عمق البحر السحيق الذي يبحث عن لآلئ نادرة. ومن هنا أحاول متواضعاً أن أصل إلى النتائج التي توصلت إليها في بحثنا هذا، مع اعترافي بصعوبة التأكد من سلامة تلك النتائج، وإن كان عملي يؤمن بصحتها؛ وذلك أن هذا الجهد في مثل هذا الموضوع يبقى متواضعاً؛ ذلك لأنّ الشعر في جانبه الإيقاعي يحتاج إلى جهد متواصل ومتتالٍ يترك السابق لِلآحق ضوءاً يهتدي به.

وها أنا أرصد ما توصلت إليه من نتائج بكل تواضع:

- 1- إنّ إيقاع الشعر يتمّ من خلال تكاتف الكمّ والثّبر والوحدات وتداخلها مع بعضها، والأمر الآخر إن تفسير الزحاف والعلّة لا يمكن أن يكون قرين ضابط واحد، ففهمهما يحتاج إلى اعتبارات صوتية وموسيقية ونظرية.
- 2- أبان البحث أن الإيقاع الموسيقي يتألف من جزأين هما: الزحاف والعلّة، بمعنى أن تفسير الزحاف هو تفسير للإيقاع الشعري.
- 3- حاولت أن أبين أن نظام الإيقاع الموسيقي في الشعر العربي نظام دقيق، وأن الأسباب والأوتاد التي هي مكونات الوحدات (التفعيلات) هي خير ما يصور إيقاع الشعر خير تصوير ولم يقبل البحث اعتبار المقطع اللغوي مصوراً للإيقاع لكونه لا يمثل كلّ ما ورد في إيقاع الشعر.
- 4- حاولت في البحث أن أبين أوزان الشعر العربي (أنموذجاً البحر الكامل) أنها حكم صالح يحوي كلّ ما يرد في إيقاع اللغة، ويصلح أن يمثل صورة

الإشاد لكون التفعيلات أنموذج كمية تحوي ضمنها عددًا من النسب الزمنية، حيث جاء (متفاعلين) بصور متعددة بحسبان الزمن وليست صورة واحدة.

5- إذا تصوّرنا إيقاعًا شاملًا للبيت والقصيدة؛ فلا يتم ذلك إلا من خلال الزحاف والعلّة غير منعزلة أو منفردة، أي أنها تفهم من خلال إيقاع البيت الشعري.

6- لم يتطرق البحث بشكل مفصل إلى آراء الباحثين عن المقطع اللغوي ودوره في الإيقاع وذلك لمساحته الواسعة والبحث لا يحتمل ذلك.

7- دّل البحث من خلال ما سبق وبشكل إيجائي أن الخليل بن أحمد الفراهيدي كان ذا عبقرية فريدة في اكتشافه علم العروض وكلّ ما يتعلّق به.

ذلك ما توصّلت إليه في بحثي من جزئيات وتصورات في ثنايا البحث، وهي مقتصرة في وجودها على المثال الموافق للقاعدة.

والبحث وما فيه من إيجابيات-حسب فهمي-مرّد ذلك إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، ومن بعده علماء العربية، وهؤلاء لغتنا العربية شعرها ونثرها لها نظامها المحكم في أذهان هؤلاء العلماء وعلى رأسهم مكتشف علم العروض.

وفي الختام أحسب أن الجهد الذي قدمته هو محاولة لتفسير إيقاع الشعر، فإن أصبت فلي أجزان وإن أخطأت فلي أجز، والله من وراء القصد.

- ابن أبي سلمى، زهير، ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1400هـ - 1980م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (392هـ)، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م.
- افرون، الكسندر، الصوت، ترجمة: محمد عز الدين فؤاد، دار الكرنك للنشر والطباعة، القاهرة، 1962م.
- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1992م.
- أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، مكتبة الشباب، مصر، الطبعة الثانية، 1968م.
- بشر، كمال، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000م.
- التبريزي، الخطيب أبوزكريا يحيى بن علي، الوافي في العروض والقوافي، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ط4، 1407هـ - 1986م.
- جدوع، عزة محمد، موسيقا الشعر بين القديم والجديد، مكتبة الرشد، الرياض، ط4، 2008.
- الذبياني، النابغة، ديوان النابغة، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، 1976م.
- الزمخشري، محمود بن عمر، القسطاس في علم العروض، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثانية، 1410هـ - 1986م.

- الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم اشعار العرب، دار الآثار الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، 1410هـ-1990م.
- كشك، أحمد، الزحاف والعلّة، مكتبة النهضة المصرية، 1995م.
- ليدفوجد، بيتر، مبادئ علم الأصوات الأكوستيكي، ترجمة: جلال شمس الدين؛ مراجعة سعد مصلوح، د ن، الاسكندرية، 1992، ص: 73 وما بعدها.
- مصلوح، سعد، السمع والكلام، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1400هـ-1980م.

دراسة كميّة المصوّتات لدى اللغويين

العرب القدامى

في ضوء علم الأصوات الحديث.





دراسة كمية المصوتات لدى اللغويين العرب القدامى في ضوء علم الأصوات الحديث

ك- د. فرح ديدوح
جامعة أبي بكر بلقايد - (تلمسان) - الجزائر -

تمهيد:

درس اللغويون العرب - قداماء ومحدثون - الخصائص الصوتية أو الأصواتية للمصوتات طولها وقصيرها، بأن وصفوا مخارجها بعد أن أحصوها، كما لم يهتموا الحديث عن علاقة المصوتات القصيرة بالطويلة مخرجا وكما، فمعظم النصوص التي أثرت عنهم تنصّ على أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللين؛ لذا سنحاول في هذا البحث إستقراء بعض النصوص والأقوال التي أقرّها علماؤنا القداماء عن كمية المصوتات وموازنتها بما أقرّه علم الأصوات الحديث.

أورد النحاة واللغويون القداماء بعض الإشارات في مؤلفاتهم تنصّ على العلاقة الكمية بين مختلف المصوتات، منها أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، أو أنها جزءا منها⁽¹⁾، وقد أشار ابن جني (ت392هـ) إلى هذه العلاقة صراحة

(1) أبو العباس المبرد، المقتضب، تحقيق: حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1999م، 1/237، والزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: زكي المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط6، 1996م، ص: 123، وابن جني، أبو الفتح عثمان (ت392هـ)، المصنف، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م، ص: 273-274، 394، وابن جني أبو الفتح عثمان (ت392هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت - لبنان، دط، 2006م، ص: 515، والقرطبي، أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد الأنصاري المغربي، الموضح في التجويد، ضبط: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006م، ص: 24 / 25.

بقوله: أعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو. فكما أن هذه الحروف ثلاثة؛ فكذلك الحركات ثلاث، وهي: الفتحة والكسرة والضمة. فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان المتقدمون من النحويين يسمون الفتحة: الألف الصغيرة، والكسرة: الياء الصغيرة، والضمة: الواو الصغيرة⁽¹⁾ وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة، إلا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هن حروف توائم كوامل، قد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتم منهن في بعض، وذلك قولك: يخاف وينام، ويسير ويطير، ويقوم ويسوم، فتجد فيهن امتدادا واستطالة ما، فإذا وقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولاً وامتداداً، وذلك نحو: يشاء ويداء، ويسوء ويهوء، ويحيى ويفي، وتقول مع الإدغام: شابة ودابة، ويطيب بكر، ويسير راشد، وثمود الثوب، وقد قوص زيد بما عليه، أفلا ترى إلى زيادة المد فيهن بوقوع الهمزة والمدغم بعدهن، وهن في كلا موضعهن يسمين حروفاً كوامل؛ فإذا جاز ذلك فليس تسمية الحركات حروفاً صغاراً بأبعد في القياس منه. ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه⁽²⁾.

تنبه بن جني إلى أن الفرق بين المصوتات القصيرة أو الحركات كما يسميها، وبين المصوتات الطويلة أو حروف المد واللين لا يعدو أن يكون فرقاً في الكمية؛

(1) أورد هذه التسمية-أي الحروف الصغيرة-في باب مضارعة الحرف للحركات والحركات للحرف، ابن جني، أبو الفتح عثمان (392هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 2006م، ص: 514.

(2) ابن جني، أبو الفتح عثمان (392هـ)، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 2007م، 1/ 33، 34، والموضح في التجويد، ص: 24 / 25.

فالألف فتحة مع زيادة في الكمية، وكذلك الياء هي كسرة مع زيادة في كميتها،
والكلام نفسه يُقال عن الواو.

وقد عبّر بن جني عن الفارق في الكمية بين المصوتات الطويلة والقصيرة بهـ
بعض، ومعلوم أنّ بعض في اللغة يُقال لهما لم يُعرف مقداره، فقد أجمع أهل النحو
على أنّ بعض شيء من أشياء، أو شيء من شيء⁽¹⁾، وقال الليث: وبعض كل
شيء طائفة منه⁽²⁾، ولعلّ بن جني قصد التعبير عن هذا الفارق بهـ بعض؛ لأن
كمية المصوتات الطويلة لم تكن محلّ إتفاق بين النحاة؛ خاصة بين القراء، فقد أشار
بن الجزري أنّ مقدار الألف حركتين، والحركة بمقدار حركة الإصبع⁽³⁾، أمّا تصور
العيني (ت 855هـ) لهذا المقدار فمختلف، يقول: والمراد بالبعض: الحركات الثلاث،
وذلك لأن الألف مركّبة من فتحات ثلاث، والواو من ضمات ثلاث، والياء من
كسرات ثلاث⁽⁴⁾.

(1) الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، تحقيق: أحمد عبد الرحمن غنيم،
دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2004م، 1/ 433.
(2) المصدر نفسه، ص: 1/ 434.

(3) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تقديم وتعليق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة
للتراث، طنطا، الطبعة الأولى، 2002م، 1/ 319، وابن عبد ربه، أبو عمرو أحمد بن محمد الأندلسي،
العقد الفريد في فن التجويد، شرح: أحمد أمين وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي،
بيروت - لبنان، دون طبعة، 1983م، ص: 103.

(4) العيني، بدر الدين محمود أحمد، شرح المراح في التصريف، تحقيق: عبد الستار جواد، مؤسسة المختار،
القاهرة، 2007م، ص: 85.

كما ذكر بن جني أن الألف أقعد المصوتات في المد⁽¹⁾؛ أي أكثرها مدًا وذكر بن الدهان (ت569هـ)⁽²⁾ أيضا أن الألف أكثر مدًا من الواو والياء، وذلك عند حديثه عن حروف القافية، يقول: وإنما كان التأسيس بالألف دون الواو والياء؛ لأنهما يقصران في المد عنها⁽³⁾. فعلى هذا تكون الفتحة حسب رأي المتقدمين أطول المصوتات وأكبرها كمية.

إن كان بن الجزري (ت833هـ) قد أشار إلى مقدار الحركة بالإصبع، فإن بدر الدين العيني لم يشر إلى مقدار الحركة. وهذا يعني أن مقدارها يختلف بحسب الناطقين وسرعتهم في النطق. والواضح أن مقدار المصوتات القصيرة والطويلة يضبطه السماع والمشافهة؛ فكتب التجويد التي عنت بالقصر والمد لم تضبط هذه المقادير، وإنما اكتفت بالتنبيه إلى وجوب إعطائها حقها في النطق من غير انتقاص ولا إسراف، يقول أبو عمرو الداني (ت444هـ): فأما المحرك من الحروف بالحركات الثلاث: الفتحة والكسرة والضمة فحقه أن يلفظ به مشبعًا، ويؤتى بالحركات الثلاث كوامل من غير اختلاس ولا توهين يؤولان إلى تضعيف الصوت

(1) ابن جني، الخصائص، ص: 517.

(2) هو أبو سعيد بن المبارك بن علي بن الدهان البغدادي أبو محمد، له كتب كثيرة في النحو والأدب، منها: كتاب شرح الإيضاح، كتاب شرح اللمع، كتاب العروض، كتاب الدروس في النحو، ولد في رجب سنة 494هـ وتوفي سنة 569هـ، يراجع: القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت624هـ)، إنباء الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المطبعة العصرية، صيدا - بيروت، دط، دت. 47/2، 51.

(3) ابن الدهان، أبو محمد سعيد بن المبارك (ت569هـ)، الفصول في القوافي، تحقيق: محمد عبد المجيد الطويل، دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005م، ص: 44.

بهن، ولا إشباع زائد، ولا تمطيط بالغ يوحيان الإتيان بعدهن بألف وياء وواو غير
ممكّنات فضلا عن الإتيان بهن ممكّنات⁽¹⁾.

جعل بن الطحان الأندلسي (ت560هـ) مقدار المصوّت الطويل نصف
مقدار المصوّت القصير، يقول: الأصل في الحركات الثلاث: الفتحة والضمة
والكسرة إكمال أوزانها بإجماع من الأئمة، ولا سبيل إلى نقص أوزانها إلا بإدإ
موصول ولفظ منقول، وذلك مقتضى حكمة الترتيل المأمور به في التنزيل. والحركة
الكاملة هي المهيأة؛ لو مُطّت لتولد عنها حرف من نوعها، فعن إشباع الفتحة تتولد
الألف، وعن إشباع الضمة تتولد الواو، وعن إشباع الكسرة تتولد الياء. ووزن
الحركة في التحقيق نصف الحرف المتولد عنها؛ ولذلك سمّوا الفتحة الألف
الصغرى، والضمة الواو الصغرى⁽²⁾.

لقد أدرك علماء التجويد القدماء أنّ الفرق بين أصوات المدّ والحركات
فرق في الكمية فقط؛ أي: في مقدار الزمن لكل نوع، وأنّه متى قصر صوت المدّ
صار حركة، ومتى طالت الحركة صارت صوت مدّ، وإذا لم توفّ الألف حقها من
المدّ صارت ضمة، ومتى بالغ القارئ في إطالة الصوت بالحركات صارت حروفا؛
أي أصوات مدّ، فالفرق بين الحركات وأصوات المدّ فرقا في الزمن⁽³⁾.

(1) الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان، التحديد في صنعة الإتيان والتجويد، تحقيق: فرغلي
سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الطبعة الأولى، 2003م، ص: 173.

(2) ابن الطحان، عبد العزيز الإشبيلي السماتي المقرئ، شرح كتاب الإنشاء في تجويد القرآن، تحقيق:
فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الطبعة الأولى، 2009م، ص: 74 / 75.

(3) فرغلي سيد عرباوي، تجويد الحركات الثلاث: الفتحة والكسرة والضمة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث،
الطبعة الأولى، 2008م، ص: 149.

وواضح من قول ابن جني: (وقد كان متقدمو النحويين) أن هذه الاصطلاحات وهذا التصور للمصوتات كان متداولاً عند من سلفه، مع أنه لم يصرح باسمائهم.

كما ذكر ابن جني، فإن كمية المصوتات الطويلة؛ التي هي الألف والواو والياء ليست ثابتة في جميع الأحوال، بل تزيد وتنقص متأثرة بما يجاورها من أصوات، من ذلك أن كميتها ومقدارها يزيد إذا تلتها همزة، نحو: يشاء، أو صوت مدغم، نحو: دابة، والعلة التي أوجبت زيادة المد، قوله: وإنما تمكن المد فيهن مع الهمز أن الهمزة حرف نأى منشؤه وتراخى مخرجه؛ فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله ثم تماديت بهن نحوه طُلُن وشِغْن في الصوت فوفين له، وزِدْن في بيانه ومكانه، وليس كذلك إذا وقع بعدهن غيرها، وغير المشدد⁽¹⁾. معنى ذلك أنه زيد في مد المصوتات تهيؤاً للنطق بالهمزة التي هي أقصى الأصوات مخرجا؛ إذ تخرج من الحنجرة.

واعتنى علماء التجويد بذكر العلة التي أوجبت زيادة المد، وكانت غير التي ذكرها ابن جني، يقول مكّي بن أبي طالب (ت 437هـ): هذه الحروف حروف خفية، والهمزة حرف جلد؛ بعيد المخرج؛ صعب في اللفظ، فلما لاصقت خفياً خيف عليه أن يزداد بملاصقة الهمزة له خفاءً، فبيّن بالمد ليظهر، وكان بيانه بالمد أولى؛ لأنه يخرج من مخرجه بمدّ، فبيّن بما هو منه⁽²⁾. معنى هذا أنه زيد في مد المصوتات الطويلة لخفائها، ولناي مخرج الهمزة، فضلاً عن أن المصوتات الطويلة تزداد خفاءً إذا ارتبطت مع أصوات أخرى كالهمزة. ويسمى هذا النوع من المدّ بـ:

(1) ابن جني، الخصائص، ص: 716، وابن عبد ربه، العقد الفريد في فن التجويد، ص: 103.

(2) مكّي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، دار الحديث، القاهرة، 2007م، 1/ 130، 131، وابن عبد ربه، العقد الفريد في فن التجويد، ص: 103.

المدة العرضي أو الفرعي⁽¹⁾، فإن كان صوت المدّ والهمزة في كلمة واحدة، سمي متصلا، ويسمي: منفصلا إذا كانا في كلمتين منفصلتين⁽²⁾.

وقدّر أبو القاسم الهذلي (ت465هـ)⁽³⁾ المدّ مع الهمزة بمقدار ثلاث ألفات⁽⁴⁾، غير أن ابن الجزري أورد اختلاف القراء في مقاديرها، فمنهم من قدّرها بالفين، ومنهم بالفين ونصف، ومنهم من جعلها بمقدار ثلاث ألفات⁽⁵⁾. وهذا بالنسبة إلى المدّ المتوسط؛ الذي يكون فوق القصر ودون الإشباع؛ الذي يقدر بخمس ألفات⁽⁶⁾.

أما لماذا زيد في مدّ المصوّنات الطويلة مع الصوت المشدّد ف: لأنهم سواكن، وأول المثليين مع التشديد ساكن، فيجفّو عليهم أن يلتقي الساكنان حشوا في كلامهم، فحيثما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها، فيجعلون طولها ووفاء

(1) ينظر: ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (ت833هـ)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تحقيق: عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، دار البلاغ، الجزائر، الطبعة الأولى، 2003 م، ص: 93، والعقد الفريد في فن التجويد، ص: 102.

(2) ينظر: الداني، أبو عمرو (ت444هـ)، جامع البيان في القراءات السبع، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني ويحيى مراد، دار الحديث، مصر، دون طبعة، 2006 م، 1/ 289، وابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، خدمة: عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، دار البلاغ، الجزائر، 2003 م، ص: 94، وينظر: ابن الجزري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، شرح: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2000 م، ص: 72.

(3) هو أبو القاسم الهذلي، يوسف بن علي بن جبارة المغربي، المقرئ المتكلم النحوي، كان ضريرا، قرره نظام الملك مقرنا سنة 458هـ فاستمر إلى أن توفي، له كتاب: الكامل في القراءات، الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، بروت - لبنان، ط7، 1986 م، 8/ 242.

(4) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ص: 95.

(5) ابن الجزري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، 1/ 317 وما بعدها.

(6) ابن الجزري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، شرح: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 2000 م، ص: 72.

الصوت بها عوضاً مما كان يجب لالتقاء الساكنين من تحريكها؛ إذ لم يجدوا عليه تطرقاً، ولا بالاستراحة إليه تعلّقاً⁽¹⁾. فعلة المدّ الزائد هو التخلص من التقاء الساكنين؛ ذلك أنه لا يُبتدأ بساكن؛ فزيد في مدّ المصوّتات لتقوم المدّة مقام الحركة؛ فيتوصّل بذلك إلى اللفظ بالمشدد⁽²⁾.

إنّ المبالغة في زيادة المدّ مع هذه الأخيرة جعلت بعض العرب يهزونها؛ لذلك حدّر بن جني من المبالغة في المدّ، وذلك في قوله: "وربّما لم يكتف من تقوى لغته، ويتعالى تمكينه وجهارته بما تجشّمه من مدّ الألف في هذا الموضع دون أن يطنى به طبعه، ويتخطّى به اعتماده ووطؤه إلى أن يدل من هذه الألف همزة، فيحملها الحركة التي كان كلّها بها، ومصانعا بطول المدّة عنها، فيقول: شابة ودابة"⁽³⁾.

مقدار المدّ مع الساكن كما حدّده الواسطي لا يتعدّى قدر ألفين، سواء كان ما بعدها مشدداً أو غير مشدد⁽⁴⁾.

إلى الآن، تحدثنا فقط عن العلاقة الكمية بين المصوّتات القصيرة: الفتحة والكسرة والضمّة والمصوّتات الطويلة: الألف والواو والياء، وفيما يأتي سنحاول أن نتحدّث عن العلاقة الكمية بين المصوّتات القصيرة وما يتفرّع عنها من مصوّتات أقصر، وهي: الاختلاس والإشمام والرّوم.

(1) ابن جني، الخصائص، ص: 716.

(2) مكّي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، دار الحديث، القاهرة، دط، 2007، 1/ 142.

(3) المصدر نفسه، 1/ 142، وابن جني، الخصائص، ص: 716 / 717.

(4) الواسطي، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه، الكنز في القراءات العشر، تحقيق: هناء الحمصي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1998م، ص: 81.

يُعَدُّ الاختلاس أول أجزاء المصَوِّت الأصلي وأصغره، يليه الإشمام ثم الروم؛ الذي يقترَب من تمام المصَوِّت في كميته⁽¹⁾، وسنبداً حديثنا بمصطلح الاختلاس.

الاختلاس هو الإتيان بثلاثي الحركة، أو بأكثرها عند بعضهم، أو هو النطق بالحركة بسرعة⁽²⁾.

ذكره سيويه (ت180هـ) في باب الإشباع في الجر والرفع، وغير الإشباع والحركة كما هي⁽³⁾. فمن عنوان الباب نلاحظ أنَّ سيويه عبَّر عن الاختلاس بعدم الإشباع؛ أي عدم إتمام المصَوِّت، رغم أنه ثابت في الوزن، كما عرّفه بأنه الإسراع باللفظ، ويكون في غير الفتحة؛ لخفتها⁽⁴⁾، وفي هذا الكلام إشارة إلى قصر المدة الزمنية لمصَوِّت الاختلاس، وهو ما عبَّر عنه بالإسراع.

أما بن جني، فوصف الاختلاس بـ: الحركة الضعيفة المخفية، ومع ذلك فهي كغيرها من سائر المتحرّكات في ميزان العروض؛ الذي هو حاكم وعيار على الساكن والمتحرك⁽⁵⁾. بمعنى الكلام، أنَّ المصَوِّت المختلس لقلّة كميته يكاد يخفى؛ وهذا ما يجعله ضعيفاً، ويتأتى ذلك بإضعاف النفس المندفع من الرئتين نحو

(1) ينظر، سميرة رفاص، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، رسالة تقدمت بها الطالبة لنيل شهادة الدكتوراه في الصوتيات، جامعة سيدي بلعباس، 2007، 2008م، ص: 113، وصبري المتولي، دراسات في علم الأصوات، دار الثقافة، الفجالة، القاهرة، 2004م، ص: 118.
(2) ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، دار سعد الدين للطباعة والنشر، القاهرة، دت، ص: 45 / 11.

(3) سيويه عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تعليق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م، 4 / 317.

(4) سيويه، الكتاب، 4 / 317.

(5) ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1 / 70، 71.

الخنجرة⁽¹⁾، هذا الضعف في نطق المصوت المختلس دعا البعض إلى الظن بأنه ساكن، ولم نجد إشارات في كتب النحاة أو علماء التجويد - فيما استقرأناه - تحدّد لنا مقداره بالنسبة إلى المصوتات القصيرة، كما ليس له رمز يضبطه رسماً. ومن أشكال الاختلاس، ألف الوصل التي يؤتى بها للتهيؤ بالنطق بالساكن في بداية الكلمة⁽²⁾.

وفيما يخص الإشمام، فقد تحدّث عنه النحاة كما القراء، وحدّدوا مواضعه وعلاماته، فالإشمام هو ضمّ الشفتين بعد سكون الحرف من غير صوت خارج إلى اللفظ، وإنما هو تهيئة العضو فقط، لا يفهمه الأعمى بحسّه؛ لأنه لرأي العين⁽³⁾.

علل سيوييه اختصاص الإشمام بالضمّة دون الفتحة والكسرة بقوله: وإنما كان ذا في الرفع؛ لأن الضمة من الواو، فانت تقدر أن تضع لسانك في أي موضع من الحروف شئت ثم تضم شفّتيك؛ لأن ضمك شفّتيك كتحرّيكك بعض جسدك، وإشمامك في الرفع للرؤية وليس بصوت للأذن. ألا ترى أنك لو قلت: 'هذا مَعْرُ فاشممت كانت عند الأعمى بمنزلتها إذا لم تشمم، فانت قد تقدّر على أن تضع لسانك موضع الحرف قبل تزجية الصوت، ثم تضم شفّتيك، ولا تقدر على أن تفعل ذلك، ثم تحرك موضع الألف والياء⁽⁴⁾'.

(1) سميرة رفاص، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، ص: 117.

(2) يُنظر: محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م، ص: 47. ومكي درار، الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، السانبا، جامعة وهران، 2002 / 2003م، ص: 183.

(3) مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، 1 / 194، والداني، جامع البيان في القراءات السبع، 2 / 24، وابن الطحان، شرح كتاب الإنباء في تجويد القرآن، ص: 102 / 103.

(4) سيوييه، الكتاب، 4 / 285.

الصوتيات فصحيا وفراسا
إختص الإشمام بالضمة دون اختيها؛ لأن مع الضمة تنضم الشفتان
وتستديران، فيتمكّن المستمع من معرفة نوع المصوّت، في حين لا يتأثّر ذلك مع
الفتحة والكسرة.

إنّ الإشمام مصوّت مرثي غير مسموع، مع أنّ بن جني أورد كلاما يفيد أنّ
فيه قليلا من الصوت يتضح هذا من قوله: إنّ الإشمام دون روم الحركة⁽¹⁾. ومن
قوله أيضا: "حركة الإشمام لضعفها غير معتدّ بها، والحرف الذي هي فيه ساكن أو
كالساكن"⁽²⁾. ففي كلام بن جني إشارة واضحة إلى أنّ الإشمام مصوّت يحتلّ زمنا
في النطق أقلّ من زمن أو كمية مصوّت الرّوم؛ لذلك قيّد في الرسم بنقطة⁽³⁾.

مما تقدم، نلاحظ إضطراب العلماء في مصوّت الإشمام فيما إذا كان ساكنا
أم لا، غير أنّ المتتبّع للشواهد التي أوردها النحاة دليلا على الإشمام يجده غير
ساكن، فهو مصوّت يقصّر في كميته عن مصوّت الضمة، لذلك يمكن القول إنّ
للإشمام شقين: شق مرثي؛ عندما يومئ المتكلم بالعضو إليه في حالة الوقف على
أواخر الكلم، وشقّ مسموع؛ ويكون ذلك في الكلام المتصل، كما في إشمام قيل
وبيع.

وفيما يلي، سننتقل إلى الحديث عن الرّوم؛ الذي هو أتمّ من مصوّتي
الاختلاس والإشمام.

(1) ابن جني أبو الفتح عثمان (ت392هـ)، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن محمد حسن

اسماعيل، أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 2007م، 1/ 74.

(2) المصدر نفسه، 1/ 74.

(3) سيويه، الكتاب، 4/ 282.

الروم هو الوقف على الحركة بعد تقصيرها إلى صوت قصير جدًا لا يكاد يسمع إلا عن قرب، ويكون مع الفتحة والضمّة والكسرة⁽¹⁾. أو هو إضعاف الصوت بالحركة حتى يذهب بالتضعيف معظم صوته، فيسمع لها صوت خفي يدركه الأعمى بحاسة سمعه⁽²⁾. وعرفه ابن الطحان بأنه أخذ بعض الحركة، والذاهب منها أكثر من الباقي⁽³⁾.

فهم من ذلك أن الروم هو إنقاص من المدة الزمنية للمصوت القصير، فقد ذكر سيبويه أن الروم إنتقال من السكون إلى الحركة، يقول: وأما الذين راموا الحركة، فإنهم دعاهم إلى ذلك الحرص على أن يخرجوها من حال ما لزمه إسكان على كل حال، وأن يعلموا أن حالها عندهم ليس كحال ما سكن على كل حال⁽⁴⁾. وشبه بهذا الكلام ما ذكره ابن جني من أن الروم كالإهابة بالسكون نحو الحركة⁽⁵⁾؛ أي: إن الروم لا ينقل السكون إلى تمام الحركة وإنما إلى جزء منها. وبما أن الروم يحتل جزءا معتبرا من المصوت، فقد رمزوا له بخط بين يدي الحرف⁽⁶⁾. وكان هذا تعليل السيرافي: وأما النقطة للإشمام، فلأن الإشمام أضعف من الروم، فجعل للإشمام نقطة؛ لأن النقطة أنقص من الخط⁽⁷⁾.

(1) محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، ص: 76، والسيرافي، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2008م، 40/5.

(2) الداني، جامع البيان في القراءات السبع، 2/ 24.

(3) ابن الطحان، شرح كتاب الإنباء في تجويد القرآن، ص: 103.

(4) سيبويه، الكتاب، 4/ 282.

(5) ابن جني، الخصائص، ص: 300.

(6) سيبويه، الكتاب، 4/ 282.

(7) السيرافي (ت368هـ)، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2008، 41/5.

ما مخلص إليه، هو أنّ الفرق بين المصوّتات الطويلة والقصيرة هو فرق في الكمية فقط، مع أنّ النحاة القدماء لم يحدّدوا مقدار هذا الكمّ، لأنّه محكوم إلى المشافهة والسمع، كما أنّه يختلف من متكلّم إلى آخر، خاصّة وأنّ النحاة اعتمدوا في ملاحظاتهم وتقعيدهم على اللهجات العربية.

ولنحّن إن استقرّنا ما خلفه فلاسفتنا المسلمون وجدناهم مدركين للعلاقة الصوتية بين المصوّتات القصيرة والطويلة، يقول جابر بن حيان (ت815هـ) ألفتحة الف صغيرة، والألف نفسها ألف كبيرة، والضمّة واو صغيرة، والواو نفسها واو كبيرة، والكسرة ياء صغيرة، والياء نفسها ياء كبيرة⁽¹⁾. يقصد جابر بن حيان بالكبيرة: المصوّتات الطويلة، وبصغارها: المصوّتات القصيرة، وهذه إلتفاتة مهمّة منه توافق ما إنتهى إليه الدرس الصوتي الحديث.

كما تحدّث الخوارزمي (ت387هـ) أيضاً عن العلاقة بين مختلف المصوّتات بما في ذلك مصوّت الإشمام ومصوّت الرّوم، يقول: الرّفع عند أصحاب المنطق من اليونانيين واو ناقصة، وكذلك الضم وأخواته المذكورة، والكسر وأخواته عندهم ياء ناقصة، والفتح وأخواته عندهم ألف ناقصة، وإن شئت قلت: الواو الممدودة اللينة ضمّة مشبعة، والياء الممدودة اللينة كسرة مشبعة، والألف الممدودة فتحة مشبعة، وعلى هذا القياس الروم والإشمام؛ نسبتهما إلى هذه الحركات كنسبة الحركات إلى حروف المذّ واللّين، أعني الألف والواو والياء⁽²⁾.

(1) ابن عربي، الرسائل، وضع حواشيه: محمد عبد الكريم الثمري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2008م، ص: 297.

(2) الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب، مفاتيح العلوم، مراجعة وتعليق: محمد كمال الدين الأدهمي، الطبعة الأولى، 1930م، ص: 30 / 31.

ما تقدم بيّن لنا أنّ الخوارزمي كان مدركاً أنّ المصوتات الطويلة تقع في أضعاف المصوتات القصيرة، وكذلك القصيرة بالنسبة للإشمام وللرّوم.

والإشمام كما عرّفه البطليوسي (ت 521هـ): أنّ تشير إلى حركة الحرف لتخرجها، ولا يمكن ذلك إلا في الضمة⁽¹⁾، وعرّفه الجرجاني (ت 816هـ) بقوله: نهية الشفتين للتلفظ بالضم، ولكن لا يتلفظ به تنبيهاً على ضم ما قبلها، أو على ضمة الحرف الموقوف عليه، ولا يشعر به الأعمى⁽²⁾.

معنى هذا أنّ الإشمام هو الإشارة إلى مصوت الضم المراد التلفظ به من غير تصويت، وهو يختص بمصوت الضمة فقط؛ لأنّ مخرجها من الشفتين، فيمكن الناطق أن يضم شفّتيه؛ فيرى المخاطب ذلك، وأمّا الكسرة والفتحة فإنّ مخرجهما لا يراه المخاطب؛ لأنّ مخرج الكسرة من وسط الفم، ومخرج الفتحة من الحلق⁽³⁾. علّل البطليوسي اختصاص الضمة بالإشمام دون بقية المصوتات؛ كون المستمع يمكنه رؤية وتبيين العضو المسؤول عن النطق بها، فيعرف أنّ مراد المتكلم من هذا الإيماء هو مصوت الضمة، وفي مقابل ذلك لا يمكن إشمام مصوت الفتحة ولا الكسرة؛ كون العضو المسؤول عن النطق بكل واحد منهما غير بارز أو ظاهر للسمع، ويتضح ذلك من خلال قوله: إنّ مخرج الفتحة من الحلق صحيح؛ لأنّه لا يحدث إغساساً للصوت معها، فالهواء مذ يندفع من التجويف الحلقوي يستمر دونما انقطاع.

(1) البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن السيد، الحلل في إصلاح الخلل الواقع من كتاب الجمل، تحقيق: سعيد عبد الكريم سعود، دار الطليعة، بيروت - لبنان، دون طبعة، دت، ص: 334.

(2) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، دون طبعة، دت، ص: 31.

(3) البطليوسي، الحلل في إصلاح الخلل الواقع من كتاب الجمل، ص: 334.

الصوتيات فصلها وهو اسناد

ويكون الرّوم في المضموم والمجرور والمنصوب غير المنوّن على خلاف؛ لأنّه إضعاف الحركة لا سلبها بالجملة، ويمكن للأعمى أن يسمعه⁽¹⁾، بمعنى أنّ الرّوم هو إضعاف المصوّت، وهذا الإضعاف يكون بالإنقاص من مدّته الزّمنية.

فيما يرى بن رشد (ت595هـ) أنّ المصوّتات الطويلة متولّدة عن القصيرة، فمتى زدنا في كمّيّتها بأن مددناها حدثت المصوّتات الطويلة، يقول: فالمدّة الحادثة عن الضمة سميت واوا، وجعل شكلها شكل الواو في الخط؛ لأنها واو منطوق بها، وكذلك الأمر في المدّة الحادثة عن الفتحة، جعل شكلها في الخط شكل الألف، وليست الألف المنطوق بها التي هي حرف بالحقيقة، والمدّة الحادثة عن الكسرة جعل شكلها ياء؛ ولكونها مدّات سموها: حروف مدّ ولين⁽²⁾. وهذا المدّ والزيادة جعلهما السكاكي (ت626هـ) دليلاً على أنّ المصوّتات الطويلة من جنس القصيرة، يقول: الحركات أبعاض حروف المد واللين، بدليل أنّ حروف المدّ قابلة للزيادة والنقصان في باب الامتداد⁽³⁾.

لم يختلف كلام فخر الدين الرازي (ت604هـ) عن سابقه، بل نجده يردّد الفكرة ذاتها، من ذلك قوله: الحركات أبعاض المصوّتات، والدليل عليه أنّ هذه المصوّتات قابلة للزيادة والنقصان، ولا طرف في جانب النقصان إلا هذه الحركات، ولأنّ هذه الحركات إذا مدّت حدثت المصوّتات، وذلك يدلّ على قولنا⁽⁴⁾.

(1) البطلوسي، الحلل في إصلاح الخلل الواقع من كتاب الجمل، ص: 334.

(2) ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، تحقيق: منصور علي عبد السميع، تقديم: محمد إبراهيم عبادة، دار الفكر العربي، 2008م، ص: 56.

(3) السكاكي، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي (ت626هـ)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون طبعة، دت، ص: 61.

(4) الرازي، فخر الدين محمد بن عمرو بن الحسن بن الحسن ابن علي التميمي البكري، التفسير الكبير، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، مصر دون طبعة، دت، 1/ 41.

وعبر ابن عربي (ت 638هـ) أيضا عن التفاوت في كمية المصوتات بر: الصغر والكبر، يقول: أعلم أن المراد بالحروف الصغار: الحركات الثلاثة، وهي: الضمة والفتحة والكسرة، وهذه الحروف حالان: حال إشباع، وحال غير إشباع⁽¹⁾. وذكر في موضع سابق: الحروف الصغار بإشباعها تكون الحروف الثلاثة، التي هي حروف العلة، وهي حروف المد واللين⁽²⁾.

إن تسمية ابن عربي المصوتات القصيرة بالحروف دليلا على أنها لا تقل أهمية عن الصوامت، أو المصوتات الطويلة؛ التي هي بمثابة الحروف، والتي نتجت في الأصل من إشباع هذه القصيرة.

وفيما يخص قضية الأصل والفرع في المصوتات العربية، فإننا نجد ابن عربي يذكر كلاما مفاده أن المصوتات القصيرة هي الأصل والطويلة فرع لها، يظهر هذا من قوله: فلنبين أولا ما المراد بالحروف الصغار، وما مراتب أولادها، وهي حروف العلة⁽³⁾. فابن عربي شبه المصوتات الطويلة بأبناء المصوتات القصيرة، وهذا دليل على أنها نشأت منها، وأنها هي الأصل.

(1) ابن عربي، الفتوحات المكية، تحقيق: عثمان يحيى، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالتعاون مع معهد الدراسات العليا في السوربون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م، 313 / 13.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، 310 / 13.

فضلا عما تقدّم أشار محيي الدين بن عربي إلى أنّ المصوّتات الطويلة تكون أكثر مذا إذا وليها صوت الهمزة، نحو: آمن، وكداء، أو وليها مشدد، مثل: الطامة، والصاخّة، والدابة⁽¹⁾.

وعلّل إبراهيم أنيس إطالة المصوّتات في مثل هذه الحالات بالحرص على إبقاء طولها؛ لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة والإدغام؛ لأنّ المصوّت يستلزم أن يكون مجرى الهواء معه حرّاً، في حين أنّ النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقاً محكماً، فإطالة المصوّت مع الهمزة يعطي الناطق فرصة للاستعداد للنطق بالهمزة التي تكلف جهداً عضوياً مقارنة بالمصوّت⁽²⁾. فهي عبارة عن وقفة حنجريّة ناتجة عن إقفال الوترين الصوتيين إقفالاً تاماً.

أما بالنسبة للمدغم، فإنّ المصوّت الطويل يقصر إذا وليه صوتان ساكنان، فحرصاً على إبقاء ما فيه من الطول يعتمد المتكلم إلى المبالغة في طوله⁽³⁾.

وبما أن ابن تيمية (ت728هـ) أظهر عناية بالقرآن الكريم وقراءاته، فقد أشار إلى أنّ مقادير المدّات غير منضبطة⁽⁴⁾.

من النصوص التي تقدمت نلاحظ أنّ الفلاسفة المسلمين وظفّوا ألفاظاً عدّة للتعبير عن الفارق في كمية المصوّتات، من ذلك: الصغار مقابل الكبار، وبالزيادة مقابل النقصان، وبالإشباع مقابل غير الإشباع، فضلاً عن أبعاض وأولاد ومع كل هذه الإفادات والمعلومات المتعلقة بكمية المصوّتات؛ إلّا أنّهم لم يحدّدوا بدقّة المقدار

(1) ابن عربي، الفتوحات المكية، 11/ 211، 212.

(2) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1971م، ص: 159.

(3) المرجع نفسه، ص: 160.

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع: عبد الرحمن بن محمد قاسم، المكتب التعليمي السعودي، المغرب،

مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، دون طبعة، دت، 13/ 412.

الذي تتفاوت به فيما بينها. فقد ذكر النحاة القدماء أن كمية المصوتات الطويلة بالنسبة للقصيرة تقدر بمصوتين إثنين، وذهب آخرون إلى أنها بمقدار ثلاثة مصوتات، في حين ترك بعضهم المجال مفتوحاً، وأشار إلى هذا المقدار بكلمة بعض: ويد: ضعف أو أضعاف.

بعد أن فرغنا من الحديث عن تقدير كل من النحاة والفلاسفة المسلمين لكمية المصوتات سنحاول أن نقارب ما توصلوا إليه بما استقر عليه الدرس الصوتي الحديث.

تقسم المصوتات في الدراسات الصوتية المعاصرة بحسب الطول إلى قصيرة، وهي: الفتحة والضمة والكسرة، وإلى متوسطة، وتكون أطول من القصيرة وأقصر من الطويلة، وإلى طويلة، وهي: الألف والياء والواو⁽¹⁾. وعُبر عن الفرق في كميتها بمصطلحات عدة، منها: الطول والكمية والاستمرارية والمدى، وكلها مترادفات تفيد الوقت الذي يستغرقه نطق الأصوات بما في ذلك المصوتات⁽²⁾.

وقد حاول علماء الأصوات حديثاً تقدير هذه الكمية بالاستعانة بالأجهزة الحديثة التي تمكنهم من هذا، وكانت لهم في ذلك آراء مختلفة، يقول سعد عبد العزيز مصلوح: أما الكم فلدينا أكثر من دليل على أنه كان ولا يزال مقولة فاعلة في

(1) شريف استييه، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2005م، ص: 128.

(2) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1985م، ص: 197 وسلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ترجمة: ياسر الملاح، مترجمة: محمد محمود غاني، النادي الأدبي الثقافي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1983م، ص: 115.

النظام الصوتي العربي، وأول هذه الأدلة التقرير الذي صاغ به بن جني العلاقة بين
طوال الحركات وقصارها صياغة علمية دقيقة من الوجهة النظامية⁽¹⁾.

ذهب إبراهيم أنيس إلى أن كمية المصوتات الطويلة تساوي ضعف
القصيرة، يقول: واللغويون عادة يقسمون أصوات اللين إلى نوعين فقط، قصير
وطويل، فالفتحة مطلقة صوت لين قصير، فإذا أصبحت ما يسمى بالألف الممدودة
فهي صوت لين طويل، والفرق عادة بين الفتحة الطويلة والقصيرة هو أن الزمن
الذي تستغرقه الأولى ضعف الذي تستغرقه الثانية⁽²⁾. وهذا ما ذهب إليه معظم
الدارسين المحدثين⁽³⁾.

وعبر بعضهم الآخر، عن كمية المصوت الطويل بمصوتين، وهذا ما نلاحظه
عند تمام حسان؛ الذي عبر عن المقطع المشكّل من صامت ومصوت طويل بالرمز
الآتي: ص ع ع⁽⁴⁾ أي إنّ المصوت الطويل مكوّن من مصوتين قصيرين كذلك فعل
محمود السعران عبر في التمثيل المقطعي عن الفتحة الطويلة بمصوتين قصيرين aa،

(1) سعد عبد العزيز مصلوح، في النقد اللساني دراسات ومثقفات في مسائل الخلاف عالم الكتب،
القاهرة، الطبعة الأولى، 2004م، ص: 126.

(2) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 155.

(3) جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، نقله إلى العربية: صالح القرمادي، مركز الدراسات
والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ص: 151، والطيب بكوش، التصريف العربي من خلال
علم الأصوات الحديث، تقديم: صالح القرمادي، المطبعة العربية، تونس، ص: 51، وعبد الغفار حامد
هلال، تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى،
2007م، ص: 142، وينظر: منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، ط 2001،
ص: 126.

(4) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986م، ص: 1170.

وعن الضمة الطويلة بـ: uu، وعن الكسرة الطويلة بـ: ii⁽¹⁾ وفي هذا التعبير إشارة واضحة منهم إلى أن المصوت الطويل بمقدار مصوتين قصيرين.

ويرى شريف استيتية أن المصوتات الطويلة بمقدار مصوتين قصيرين، فالفتحة الطويلة بمقدار فتحتين قصيرتين، والكسرة الطويلة بمقدار كسرتين قصيرتين، والضمة الطويلة بمقدار ضمتين قصيرتين⁽²⁾. أي إن الطويلة ضعف القصيرة.

مما نلاحظ مما تقدم، أن كلام بن جني وابن سينا كان أكثر دقة مما قدمه بعض الدارسين المحدثين؛ ذلك أن بن جني وابن سينا لم يجزما باستقرار كمية المصوتات الطويلة؛ فقد راعوا في تحديدهم الطول الفونولوجي؛ إذ يزيد مقدار هذه الأخيرة عندما يليها همزة أو ساكن وهذا ما أشار إليه بعض الدارسين المحدثين، يقول سلمان حسن العاني: العامل الزمني لمدى أي صوت ليس مطلقاً بل إنه نسبي، والمدى النسبي لصوت ما يعتمد على الوسط الذي يكون فيه الصوت، كالسرعة التي يتكلم بها الفرد وعوامل أخرى⁽³⁾. كذلك ذكر كانتنو أن كمية المصوتات غير ثابتة، وتتوقف على جملة من العوامل يحددها المتكلم وطبيعة تركيب الكلمة، يقول: ولقد أبان الاختبار الآلي لتنوعات مدة الوحدات الأصواتية عن فروق مثيرة، فعلينا أولاً ملاحظة أن كمية كل وحدة إنما تتوقف على سرعة المعدل، فكلما كان الكلام أسرع اختزل كل صوت، والعكس أيضاً صحيح، ثم إن مدة الوحدات

(1) تراجع: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة، بيروت - لبنان، دط، دت، ص: 124.

(2) شريف استيتية، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية منهج لساني معاصر، عالم الكتب الحديث، الأردن، دط، 2005 م، ص: 191.

(3) سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، ترجمة: ياسر الملاح، مراجعة: محمد محمود غاني، النادي الأدبي الثقافي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1983 م، ص: 115.

الأصواتية تتوقف على طول المجموعة المنطوقة، فكلما كانت هذه المجموعة طويلة اختزلت كل وحدة، غير أن هذه الوحدات تتوقف أيضا على صفاتها الأصواتية الخاصة⁽¹⁾.

معنى ذلك أنه لا يمكن تحديد كمية المصوتات، أو القول بثباتها، فأمرها محكوم إلى المتكلم والسياق، فكلما كانت السلسلة الكلامية طويلة عمل المتكلم على الاختزال منها، ويكون في المصوتات بالانتقاص من طولها وزمنها، فكمية المصوتات مسألة سماعية ذوقية، تتجدد وتستقيم بكثرة السماع وجودة التلقي من القراء المجودين، والنطق والرياضة والتمرين⁽²⁾.

كما أن الذي يحدد الطول والقصر في المصوتات - كما يقول عبد الكريم الرديني - هو العرف عند أصحاب اللغة⁽³⁾.

إن طول المصوت أو قصره ليس محددًا بزمن معين في أي لغة، وإنما يتعلق بسرعة الأداء وبطئه، فالصوت الطويل هو الذي يكون أطول من غيره؛ ولو كان هذا الصوت الطويل يُنطق أقصر منه أحيانا⁽⁴⁾.

وقد سُجِّلَت بعض الدراسات القياسات الحاسوبية لكمية المصوتات، وقُدِّرَت بـ: 0,102 ثانية بالنسبة للفتحة، وذلك في كلمة مثل: كَتَبَ، وبما أنه يتعدّر نطق المصوت منعزلا فقد قام الباحث بعزل المقطع الصوتي من التسجيلات، ومن

(1) كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص: 176.

(2) خير الدين سيب، الأسلوب والأداء في القراءات القرآنية دراسة صوتية تباينية، دار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى، 2007م، ص: 240، نقلا عن حسني شيخ عثمان، حق التلاوة، ص: 156.

(3) محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، عين ميله، الجزائر، دون طبعة، دت، ص: 196.

(4) رمضان عبد الله، أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2006م، ص: 56.

ثم عزل المصوت، وقُدِّرَت كمية مصوَّت الضمة بـ: 0,07 ثانية، وهي قيمة أقل مقارنة بزمان نطق الفتحة القصيرة، أما الكسرة، فقُدِّرَت كميتها بـ: 0,05 ثانية، وهي تمثل نصف زمن النطق بالفتحة القصيرة⁽¹⁾.

أما قياس الفتحة الطويلة في مثل قال، فقُدِّرَ بـ: 0,314 ثانية، وقُدِّرَ مع الضمة الطويلة في كلمة مثل: خور بـ: 0,227 ثانية، وفي الكسرة الطويلة قُدِّرَ بـ: 0,118 ثانية⁽²⁾، أي إن مقدار المصوَّات الطويلة هو ثلاثة أضعاف المصوَّات القصيرة، وقياس المصوَّات في المدِّ الزائد مثل: شابة، فهو: 0,358 ثانية⁽³⁾. وذلك باعتماد متوسط حساب مجموعة من القراء.

واعتمد خليل الفرالة — فضلاً عن التجارب المخبرية — التجاور بين الأصوات في تحديد كمية المصوَّات الطويلة، وأجرى تجاربه على عينة تتكون من عشرة أشخاص من طلاب الجامعة الأردنية، وخلص إلى نتائج، أهمها:

1 - لا تنحصر كمية المصوَّات الطويلة في ضعف كمية القصيرة، بل تقع في ضعفها في مواطن، وتتجاوز ضعفها في مواطن أخرى، ونسبة زيادة كمية المصوَّات الطويلة عن ضعف كمية المصوَّات القصيرة أغلب وأشمل من نسبة حصرها في الضعف.

(1) ينظر: بوداود إبراهيمي، القياسات الحاسوبية للكميات الصوتية في التراث، رسالة تقدّم بها الطالب لنيل شهادة الماجستير في اللغة، جامعة وهران، السانبا، 2006 / 2007 م، ص: 103، 105، 108، 111.

(2) المرجع نفسه، ص: 122 / 123.

(3) المرجع نفسه، ص: 114، 116.

2 - تتفاوت المصوتات تبعاً للملامح المصوتات المجاورة، وخاصة الصوامت اللاحقة، وذلك من حيث الجهر والمهمس، والاستمرار والوقف، والتضعيف وعدمه (1).

وقد راعى الباحث في تقدير الكمية، المتوسط الحسابي لعينة الدراسة بوصفه الزمن الذي يمثل كمية المصوت المراد تحديد كميته (2)، وقد أثبتت الدراسة أن المصوت المتبوع بصامت مجهول أطول منه عندما يكون متبوعاً بصامت مهموس؛ لأنه في الحالة الأولى تتداخل عملية الجهر؛ فيحصل إمتداد لنطق المجهول الأول؛ الذي هو المصوت الطويل، فالانتقال من مجهول إلى مجهول لا يستدعي تغيير وضعية الأوتار الصوتية، فيبقى الجهر مستمراً. أما الانتقال من مصوت إلى صامت مهموس؛ ففيه تحول للأوتار الصوتية من وضعية إلى أخرى، مما يؤدي إلى وجود زمن مفقود تستغرقه الأوتار في عملية التحول (3)، إضافة إلى أن المصوت المتبوع بصامت رخو مجهول أطول من المصوت المتبوع بصامت شديد مجهول (4)، وهذا قريب مما يحصل في الجزم؛ إذ يؤدي هذا الأخير إلى سرعة في أداء نطق الكلمة كاملة، وهذه السرعة تؤثر في زمن أصوات الكلمة كلها. 5 وهذه النتيجة توافق ما توصل إليه كانتنو.

(1) سعيد محمد شواهنة، القواعد الصرف الصوتية بين القدماء والمحدثين، مكتبة الوراق، الطبعة الثانية، دت، ص: 47، والحركات في اللغة العربية، ص: 41.

(2) زيد خليل الفرالة، الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي، عالم الكتب الحديث، دون طبعة، 2004م، ص: 41.

(3) المرجع نفسه، ص: 42، 43.

(4) المرجع نفسه، ص: 43-44.

(5) المرجع نفسه، ص: 46.

خلاصة القول: إنَّ متوسط مقدار المصوَّت الطويل هو ثلاثة أضعاف المصوَّت القصير، وهذا ما قال به بعض العلماء العرب القدماء وأقرته التجارب المخبرية الحديثة، ومع ذلك تبقى مقادير المصوَّات غير ثابتة، ومحكومة إلى المتكلم وإلى السماع، فلا القدماء ولا المحدثون تمكَّنوا من تحديد مقدارها تحديدا دقيقا، وهذا أمر مقبول ما دامت اللغة نفسها خاضعة للاستعمال اللغوي.

- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1971م.
- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (ت 833 هـ):
- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، شرح: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2000م.
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تحقيق: عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، دار البلاغ، الجزائر، ط1، 2003م.
- النشر في القراءات العشر، تقديم وتعليق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 2002م.
- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع: عبد الرحمن بن محمد قاسم، المكتب التعليمي السعودي، المغرب، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، دط، دت.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (392 هـ):
- الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 2006م.
- سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 2007م.
- المنصف، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م.
- ابن الدّهان، أبو محمد سعيد بن المبارك (ت 569 هـ)، الفصول في القوافي، تحقيق: محمد عبد المجيد الطويل، دار غريب، القاهرة، ط1، 2005م.
- ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، تحقيق: منصور علي عبد السميع، تقديم: محمد إبراهيم عبادة، دار الفكر العربي، 2008م.

- ابن الطحان، عبد العزيز الإشبيلي السماتي المقرئ، شرح كتاب الإنشاء في تجويد القرآن، تحقيق: فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط1، 2009م.

- ابن عبد ربه، أبو عمرو أحمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد في فن التجويد، شرح: أحمد أمين وأحمد الزين، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط.

ابن عربي:

- الرسائل، وضع حواشيه: محمد عبد الكريم الثمري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.

- الفتوحات المكية، تحقيق: عثمان يحيى، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالتعاون مع معهد الدراسات العليا في السوربون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م.

- أبو العباس المبرد، المقتضب، تحقيق: حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1999م.

- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1985م.

- الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهر الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: أحمد عبد الرحمن نخيمر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2004م.

- البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن السيد، الحلل في إصلاح الخلل الواقع من كتاب الجمل، تحقيق: سعيد عبد الكريم سعودى، دار الطليعة، بيروت - لبنان، دط، دت.

الصوتيات قضايا ودراسات
- بوداود إبراهيمي، القياسات الحاسوبية للكميات الصوتية في التراث، رسالة
تقدم بها الطالب لنيل شهادة الماجستير في اللغة، جامعة وهران، السانبا،
2006 / 2007م.

- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986م.
- جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، نقله إلى العربية: صالح
القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار
الريان للتراث، دط، دت.

- الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب، مفاتيح العلوم،
مراجعة وتعليق: محمد كمال الدين الأدهمي، ط1، 1930م.

- خير الدين سيب، الأسلوب والأداء في القراءات القرآنية دراسة صوتية
تباينية، دار الكلم الطيب، دمشق، ط1، 2007م.

- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان (ت444هـ)

التحديد في صنعة الإتيقان والتجويد، تحقيق: فرغلي سيد عرباوي، مكتبة
أولاد الشيخ للتراث، ط1، 2003م.

- جامع البيان في القراءات السبع، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني ويحي
مراد، دار الحديث، مصر، دط، 2006م.

- الرازي، فخر الدين محمد بن عمرو بن الحسن بن الحسن ابن علي التميمي
البكري، التفسير الكبير، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية،
مصر دط، دت.

- رمضان عبد الله، أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات، مكتبة
بستان المعرفة، الإسكندرية، ط1، 2006م.

- الزجاجة أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: زكي المبارك، دار النفائس، بيروت - لبنان، ط6، 1996م.
- زيد خليل الفرالة، الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي، عالم الكتب الحديث، دط، 2004م.
- سعد عبد العزيز مصلوح، في النقد اللساني دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2004م.
- سعيد محمد شواهنة، القواعد الصرف الصوتية بين القدماء والمحدثين، مكتبة الوراق، ط2، دت.
- دوالحركات في اللغة العربية.
- السكاكي، أبويعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي (ت626هـ)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.
- سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ترجمة: ياسر الملاح، مرتبعة: محمد محمود غاني، النادي الأدبي الثقافي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1983م.
- سميرة رفاص، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، رسالة تقدمت بها الطالبة لنيل شهادة الدكتوراه في الصوتيات، جامعة سيدي بلعباس، 2007 / 2008م.
- سيويه عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تعليق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1999م.
- السيرافي، شرح كتاب سيويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.

الصوتيات قضايا ودراسات
- شريف استيتيه، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2005م.

- صبري المتولي، دراسات في علم الأصوات، دار الثقافة، الفجالة، القاهرة، 2004م.

- الطيب بكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، تقديم: صالح القرمادي، المطبعة العربية، تونس.

- عبد الغفار حامد هلال، تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007م.

- عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، دار سعد الدين للطباعة والنشر، القاهرة، دت.

- العيني، بدر الدين محمود أحمد، شرح المراح في التصريف، تحقيق: عبد الستار جواد، مؤسسة المختار، القاهرة، 2007م.

- فرغلي سيد عرباوي، تجويد الحركات الثلاث: الفتحة والكسرة والضمّة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط1، 2008م.

- القرطبي، أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد الأنصاري المغربي، الموضح في التجويد، ضبط: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006م.

- القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت624هـ)، إنباه الرواة على إنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المطبعة العصرية، صيدا - بيروت، دط، دت.

- كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000م.

- محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م.
- محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، دط، دت.
- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة، بيروت - لبنان، دط، دت.
- مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، دار الحديث، القاهرة، 2007م.
- مكي درار، الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، السانبا، جامعة وهران، 2002 / 2003م.
- منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، ط 2001.
- الواسطي، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه، الكنز في القراءات العشر، تحقيق: هناء الحمصي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1، 1998م.

الأنظار الصوتية

عند إخوان الصفا وخلان الوفا

مكتبة وملتقى علم الأصوات
phonetics-acoustics.blogspot.com

الأنظار الصوتية

عند إخوان الصفا وخلان الوفا

كـ-الدكتور: خالد حسين أبو عمشة

المدير الأكاديمي /معهد قاصد

المستشار الأكاديمي لبرامج اللغة العربية لـ Amideast

إخوان الصفا وفلسفتهم:

ساهم تطور الفلسفة والعلوم في الدولة الإسلامية إثر الانفتاح الفكري في إبراز مفكرين مسلمين عملوا على الاستفادة من الفلسفة اليونانية وإدماجها في الفكر الإسلامي، ومنهم بن سينا والكندي والفارابي، وتطورت هذه الجهود مع نشوء جماعة (إخوان الصفاء وخلان الوفاء)، التي اشتهرت بوضعها مجموعة من الرسائل في فروع الفلسفة المختلفة والعلوم الإنسانية المتعددة وقد لاقت هذه الرسائل انتشارا واسعا في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. يقول الطبيب العربي المسلم مسلم بن محمد الأندلسي الذي عاش في القرن الرابع الهجري: لقد كان لرسائل إخوان الصفا في الأندلس صدى ثقافي كبير خاصة في الأوساط العلمية، فقد أثرت يومذاك على المدرسة التعليمية لمعارف القرون الوسطى في أوروبا تأثيرا إيجابيا فكانت باعثة لنشر الثقافة العربية في ربوع تلك البلاد، فمنذ القرن الرابع الهجري كانت الصلات الثقافية بين بغداد مقر الخلافة العباسية والمراكز التعليمية في

اسبانيا العربية متواصلة سرا حيناً وعلانية أحياناً أخرى، ولا سيما أن معظم الخلفاء كانوا من المشجعين للعلوم والآداب غير مبالين بمصادرها⁽¹⁾.

يروم إخوان الصفا وخلان الوفا جمع حكمة كل الأمم والأديان في مذهبهم بحسب تعبيرهم في الرسالة الخامسة والأربعين من العلوم النموسية والشرعية⁽²⁾. "يستغرق المذاهب كلها، ويجمع العلوم جميعها، وذلك أن النظر في جميع الموجودات بأسرها، الحسية والعقلية، من أولها إلى آخرها، ظاهرها وباطنها، جليها وخفيها، بعين الحقيقة، من ناحية هي كلها من مبدأ واحد، وعلة واحدة، وعالم واحد"⁽³⁾. وتبرز هذه النظرة الانتقائية التوفيقية بشكل خاص في تحديد الإخوان لمزايا الإنسان الكامل، وقد وجدوه في العالم الخبير الفاضل، الذكي المستبصر، الفارسي النسبة، العربي الدين، الحنفي المذهب، العراقي الآداب، العبراني المخبر، المسيحي المنهج، الشامي النسك، اليوناني العلوم، الهندي البصيرة، الصوفي السيرة كما في الرسالة⁽⁴⁾.

وعلى الرغم من اختلاف العلماء والمؤرخين في إخوان الصفا وطبقاتهم، إلا أنهم أنفسهم قسموا العضوية في حركتهم إلى أربع مراتب⁽⁵⁾:

1 جبور عبد التور، 1961 إخوان الصفا، دار المعارف، مصر، ومحمد مهدي، 2002. إخوان الصفا وفلسفتهم الدينية. الطبعة العربية الحديثة، الطبعة الأولى، مصر.

2 إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا، تقديم: بطرس البستاني، طبعة، دار صادر، بيروت، 1969م. الرسائل، ص: 41.

3 إخوان الصفا، الرسائل: ج 4، ص: 42.

4 المرجع نفسه، ج 4، ص: 42.

5 انظر لمزيد من التفاصيل: جبور عبد التور، 1961 إخوان الصفا، دار المعارف، مصر، ومحمد مهدي، 2002. إخوان الصفا وفلسفتهم الدينية. الطبعة العربية الحديثة، مصر: الطبعة الأولى.

- مَنْ يملكون صفاء جوهر نفوسهم وجودة القبول وسرعة التصور. ولا يقل عمر العضو فيها عن خمسة عشر عاماً؛ ويُسمّون بالأبرار والرحماء، وينتمون إلى طبقة أرباب الصنائع.
- مَنْ يملكون الشفقة والرحمة على الإخوان. وأعضاؤها من عمر ثلاثين فما فوق؛ ويُسمّون بالأخيار الفضلاء، وطبقتهم ذوو السياسات.
- مَنْ يملكون القدرة على دفع العناد والخلاف بالرفق واللطف المؤدّي إلى إصلاحه. ويمثل هؤلاء القوة الناموسية الواردة بعد بلوغ الإنسان الأربعين من العمر، ويُسمّون بالفضلاء الكرام، وهم الملوك والسلاطين.
- المرتبة الأعلى هي التسليم وقبول التأييد ومشاهدة الحق عياناً. وهي قوة الملكية الواردة بعد بلوغ الخمسين من العمر، وهي الممهّدة للصعود إلى ملكوت السماء؛ وإليها ينتمي الأنبياء.

أهداف إخوان الصفا من خلال رسائلهم:

يهدف إخوان الصفا إلى التقريب بين الدين والفلسفة، في عصر ساد فيه القول (من تمنطق فقد تزندق)، والفيلسوف عندهم حكيم، وأن الفلسفة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة البشرية، وبالأستشهاد بأقوال الفلاسفة، كسقراط وأرسطو وطاليس وأفلاطون وفيثاغوراس وغيرهم، التي تصبّ في نهر الحكمة الواحد الدافق، بما يتوافق مع أقوال الأنبياء كافة، التي استهانت بأمر الجسد ودعت إلى خلاص النفس من أسر الطبيعة وبجر الهيولى بالعلوم وأولها علم الإنسان بنفسه، ثم علمه بحقائق الأشياء. وقد أكدوا أن علومهم التي طرحوها في الرسائل هي مفاتيح

الصوتيات قضايا ودراسات
للمعرفة، لا ينبغي التوقف عندها، بل الترقى في سلم الصعود إلى الحالة الأخيرة
الملكية⁽¹⁾.

رسائل إخوان الصفا:

صدرت رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء عبر مراحل تاريخية مختلفة،
وطبعات متعددة، أبرزها:

- في العام 1812 في كلاكوتا الهندية.
- ثم نشرها المستشرق فريدريك ديتيريشي في الفترة الممتدة بين 1861 و1872.
- وفي 1887 إلى 1889 في بومباي الهند صدرت النسخة المحققة والكاملة الأولى من رسائل إخوان الصفاء في أربعة مجلدات (مطبعة نخبة الأخبار)، تحقيق ولاية حسين.
- بعد ذلك نشرت طبعة القاهرة في العام 1928 عن طريق المطبعة العربية بمصر، وقد حققها خير الدين الزركلي وقدمها عميد الأدب العربي: طه حسين، بالإضافة لمقدمة من تأليف أحمد زكي باشا.
- أما الطبعة الأكثر تداولاً بين أصحاب الاختصاص في دراسة إرث إخوان الصفاء تعود إلى نصوص الرسائل التي حققها بطرس بستانى ونشرتها دار صادر في بيروت في العام 1957.
- وفي بيروت هنالك أيضاً طبعة حققها عارف تامر وأصدرتها منشورات عويدات في العام 1995.

(1) جبور عبد التّور، 1961 إخوان الصفا. دار المعارف، مصر، ومحمد مهدي، 2002. إخوان الصفا وفلسفتهم الدينية. الطبعة العربية الحديثة، مصر: الطبعة الأولى.

ويعمل الباحث نادر البزري على بلورة مشروع أكاديمي يضم فريق عمل من أساتذة متخصصين بالبحث في شؤون تاريخ العلوم والفلسفة عند العرب، وذلك لإصدار رسائل إخوان الصفاء في طبعة محققة نقديا وعلميا، وتستند إلى مجموعة من المخطوطات القديمة ومعظمها محفوظ في مكتبات ومتاحف إسطنبول، وتضاف إليها الترجمة الإنجليزية التامة والأولى لهذا الإرث العلمي. هذا المشروع تبنته دار النشر العريقة التابعة لجامعة أكسفورد (Oxford University Press) في بريطانيا بالتعاون مع معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن من خلال سلسلة علمية عنوانها Epistles of the Brethren of Purity، وقد صدر المجلد الأول من هذه السلسلة في العام 2008م من تحقيق بعنوانه:

The Ikhwan al-Safa' and their Rasa'il

- تنظيم رسائل إخوان الصفا:

- صنّف إخوان الصّفا العلوم إلى ثلاثة أنواع: العلوم الرياضية والعلوم الشرعية والوضعية والعلوم الفلسفية الحقانية. وقُسّمت هذه الأنواع بدورها إلى:
- أ. العلوم الأساسية: القراءة والكتابة والنحو والمعجمات والمحاسبة والمعاملات التجارية والعروض والقياس وعقائد طالع الخير وطالع الشر وعقائد السحر والتنجيم والتمائم والحيل وما شابهها والأعمال والحِرَف والتجارة والزراعة وما شاكلها والقصص والسير الذاتية.
 - ب. العلوم الدينية: علم التنزيل وعلم التفسير والحديث والقانون والتشريع والزهد والتصوف وتفسير الأحلام.
 - ج. العلوم الفلسفية: الرياضيات المكونة من الرباعيات أو المربعات والمنطق والعلوم الطبيعية؛ وهذه تُقسّم إلى سبعة أجزاء هي:

أ. علم المبادئ الجسمانية: ويهتم بالمبادئ التي تحكم الأجسام، ويتكون من معرفة الهيولى والصورة والزمان والمكان والحركة.

ب. علم السماء: ويتكون من علوم النجوم وحركة الكواكب وأسباب صفته استقرار الأرض وغيرها.

ج. علم الكون والفساد: ويتكون من معرفة الأركان الأربعة وتغيرها، والمعادن والنبات والحيوان التي منها تأتي إلى الوجود.

د. علم الحوادث الجوية: ويتكون من معرفة تغيرات الطقس بتأثير النجوم والرياح والرعد والبرق وغيرها.

هـ. علم المعادن

ح. علم النبات

ط. علم الحيوان

د- العلوم الإلهية: علم الروحانيات وعلم النفسانيات ومعرفة الله وصفاته وعلم السياسة: ويتكون من علم النبوة، والرياسة العامة والخاصة، والإنسان نفسه.

واعتمادًا على هذا التصنيف، نظم إخوان الصفاء رسائلهم تنظيمًا يضمن شمولها لجميع حقول المعرفة، بدءًا من العلوم الرياضية والمنطق، مرورًا بالعلوم الطبيعية والجسمانية، ومنها إلى العلوم النفسانية، وانتهاءً بالعلوم اللاهوتية. ومن خلال المحافظة على هذا الهدف في أذهانهم، فإنهم قسّموا الرسائل الاثنتين والخمسين، ما عدا الرسالة الجامعة، التي تأتي في النهاية كتلخيص عام، إلى كتب أربعة، وفق ما يلي:

وتشمل 14 رسالة، وهي على التوالي: خواص الأعداد؛ والهندسة؛ والنجوم؛ والجغرافية؛ والموسيقى؛ والقيمة التعليمية لهذه الموضوعات؛ والصناعات العلمية النظرية والعلمية والمهنية؛ وأفعال وأقوال الأنبياء والحكماء وأقوالهم؛ والمنطق (ويتضمن الإيساغوجي، الأقوال العشر، الباريمانياس، والأناطوطيقا الأولى والثانية).

ثانياً: العلوم الجسمانية الطبيعية:

وتشمل 17 رسالة، وهي على التوالي: الهيولي والصورة وماهيتهما وما الزمان والمكان والحركة وغيرها والسماء والعالم؛ والكون والفساد؛ والآثار العلوية؛ وتكوين المعادن؛ وماهية الطبيعة؛ وأجناس النبات؛ وأجناس الحيوان وغرائب تكوينها؛ وتركيب الجسد؛ والحاس والمحسوس والغرض منهما؛ ومسقط النطفة؛ والإنسان عالم صغير؛ وكيفية نشر الأنفس الجزئية في الأجساد البشرية؛ وبيان طاقة الإنسان في المعارف؛ وماهية الموت والحياة؛ وماهية اللذات والآلام الجسمانية والروحانية؛ وعلل اختلاف اللغات ورسوم الخطوط.

ثالثاً: العلوم النفسانية العقلية:

وتشمل على 10 رسائل، وهي على التوالي: المبادئ العقلية على رأي الفيثاغوريين والمبادئ العقلية على رأي إخوان الصفاء وأن العالم إنسان كبير والعقل والمعقول والأكوار والأدوار وماهية العشق وماهية البعث والنشور وكمية أجناس الحركات والعلل والمعلولات والحدود والرسوم.

رابعاً: العلوم الناموسية والإلهية:

وتتضمن 11 رسالة هي على التوالي: الآراء والمذاهب وماهية الطريق إلى الله عز وجل وبيان اعتقاد إخوان الصفاء وكيفية عشرة إخوان الصفاء وماهية الإيمان وخصال المؤمنين وماهية الناموس الإلهي وشرائط النبوة وكمية خصالم وكيفية الدعوة إلى الله عز وجل وكيفية أفعال الروحانيين وكمية أنواع السياسات وكيفية نضد العالم وماهية السحر والطلسمات.

- الأنظار الصوتية عند إخوان الصفا:

بحث إخوان الصفا الأصوات على مستويين، الصوت العام، والصوت اللغوي، وقد بحثوا هذا الموضوع بحثاً عميقاً فرأيناهم يبدؤون بالحديث عن ماهية الصوت ونشأته وانتقاله وعملية إنتاجه وسماعه وإدراكه، ولعل هذه الخطوات لا تزال متبعة إلى الآن في دراسة الصوت اللغوي، وفي الحقيقة لا أكاد ألمس فرقاً في مناقشة إخوان الصفا في التفريق بين دراسة الصوت العام ودراسة الصوت اللغوي وبين المناقشات والمثاقفات الحديثة حول علمي الفوناتيک والفنولوجيا واختلاف المذاهب والآراء حولهما، فالأول بحسب كمال بشر¹ يوجه اهتمامه للقضايا المذاهب والآراء حولهما، أما الفنولوجيا فهي بحث الأصوات من حيث وظائفها في الصوتية في عمومها، وهذا ما لمسناه تماماً في رسائل إخوان الصفا، وتجدر الإشارة بأننا سنعرض اللغة، وهذا ما لمسناه تماماً في رسائل إخوان الصفا، وتجدر الإشارة بأننا سنعرض أولاً دراسات إخوان الصفا في الصوت العام ومن ثم إدراج ما أضافوه في علم وظائف الأصوات أي الفنولوجيا.

(1) كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000 م، ص: 67 وما بعدها.

- الصوت عند إخوان الصفا:

تشير الدراسات الصوتية الحديثة إلى أن إنتاج الصوت يمر بمراحل أربع،

وهي ⁽¹⁾:

- مرحلة إحداث الصوت أو إصداره.
- مرحلة انتقال الصوت.
- مرحلة سماع الصوت.
- مرحلة إدراك الصوت وفهمه.

وتقوم هذه الدراسات والكتب عادة قبل معالجة الصوت اللغوي، وتفصيل القول فيه بتعريفه تعريفا عاما ومن ثمّ خاصا، وهذا ما قام به إخوان الصفا، تماما، من ناحية التعريف ومن ناحية التقسيم، وسأحاول في معالجاتي الصوتية أن أوازن بين ما آلت إليه الدراسات الصوتية وما قدمه إخوان الصفا من أنظار صوتية منذ مئات السنين، فقد قسموا الصوت على نوعين، صوت عام وصوت لغوي، وبدؤوا ببحث الصوت العام، الذي قسموه على نوعين: حيواني وغير حيواني، وقسموا الحيواني على ضربين: منطقي وغير منطقي. فغير المنطقي أصوات الحيوانات غير الناطقة، وهي نغمات تسمى أصواتا ولا تسمى منطقا لأنّ النطق لا يكون إلا في صوت يخرج من مخرج يمكن تقطيعه بالحروف التي إذا خرجت عن صفة الحروف، تمكن اللسان الصحيح نظمها وترتيبها ووزنها، فتخرج مفهومة باللغة المتعارفة بين أهلها، فيكون بذلك النطق الأمر والنهي والأخذ والإعطاء والبيع والشراء والتوكيل وما شاكل ذلك من الأمور المخصوصة بالإنسان دون الحيوان، فيما

(1) عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب الحديث، القاهرة، 1997م، ص: 19 وما بعدها. وكمال بشر في علم الأصوات، ص: 67 وما بعدها، النوري، محمد جواد. علم أصوات العربية. منشورات جامعة القدس المفتوحة، الأردن، 1997م.

قسموا الأصوات غير الحيوانية إلى نوعين أيضا طبيعية وآلية. فالطبيعية هي كصوت الحجر والحديد والخشب والرعد والريح وسائر الأجسام التي لا روح فيها من الجمادات، والآلية كصوت الطبل والبوق والزممر والأوتار وما شاكلها¹. هذا وقد جمع إخوان الصفا معالجة إنتاج الصوت اللغوي وتحديد ماهيته وتعريفه معا، لذلك فإننا سنجمع ما أسهم به إخوان الصفا في تعريفات الصوت العام واللغوي وكيفية إنتاجه معا لارتباطها الشديد معا.

- مرحلة إحداث الصوت العام أو إصداره:

لقد قدّم إخوان الصفا تعريفات عدة لكنها تقوم على فكرة واحدة، ومنها: يقول إخوان الصفا: كل هذه الأصوات مفهومها وغير مفهومها، حيوانها وغير حيوانها، إنما هي قرع يحدث في الهواء من تصادم الأجرام وعصر حلقوم الحيوان⁽²⁾. كما يقولون: اعلم أنّ أصل الأصوات هو ما حدث من تصادم الأجرام وحركات الأجسام، والصوت قرع يحدث من الهواء إذا صدمت الأجسام بعضها بعضا، فتحدث بين ذينك الجسمين حركة عرضية تسمى صوتا، بأي حركة تحركت، ولأي جسم صدمت، ومن أي شيء كانت³. ويقولون أيضا: إنّ كل جسمين تصادما برفق ولين لا تسمع لهما صوتا، لأنّ الهواء ينسلّ من بينهما قليلا قليلا فلا يحدث صوتا، وإنما يحدث الصوت من تصادم الأجسام، متى كان صدمها بشدة وسرعة، لأنّ الهواء عند ذلك يندفع مفاجأة، ويتموج بحركته إلى الجهات

(1) إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا، تقديم بطرس البستاني، طبعة دار صادر، بيروت، 1969: 95/3.

(2) إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا، 98/3.

(3) إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا، 95/3.

الست بسرعة، فيحدث الصوت ويسمع¹. وهو أيضا عندهم: هواء يتقلب بين جسمين متصادمين بعنف فيصكّ الهواء الراكد في آلة السمع⁽²⁾.

ولعل موازنة سريعة بين هذه التعريفات والتعريفات الحديثة للصوت اللغوي تبين وتظهر أصالة الأنظار الصوتية لإخوان الصفا. يعرف كمال بشر الصوت بأنه أثر سمعي يصدر طواعية واختيارا عن أعضاء النطق، ويظهر في صورة ذبذبات تتواءم وما يصاحبها من حركات أعضاء الفم وعضلاته، ويتطلب إنتاج الصوت اللغوي وضع أعضاء النطق في أوضاع معينة محددة أو تحريك هذه الأعضاء بطرق معينة محددة أيضا⁽³⁾، أما أحمد مختار عمر فيعرف الصوت العام مهما كان مصدره أو أصله بأنه اضطراب مادي في الهواء يتمثل في قوة أو ضعف سريعين للضغط المتحرك من المصدر في اتجاه الخارج، ثم ضعف تدريجي ينتهي إلى نقطة الزوال النهائي، وتعتقد عادة مقارنة هذا بما يحدث من تموجات نتيجة إلقاء حجر على سطح ماء أملس⁽⁴⁾. ويشرع بعد ذلك بتصنيفه إلى صوت لغوي وآخر غير لغوي.

أما الأجسام التي تحدث الصوت، فقد تحدّث عنها أيضا إخوان الصفا، فقد قسموها إلى ثلاثة أقسام: حية وميتة ولا حية ولا ميتة، يقولون: وكلام الإنسان وصوت الحيوان حي، ذو حركات نفسانية، وصوت الحجر والخشب والحديد والنحاس وما شاكلها ميت، والقسم الثالث: لا حي ولا ميت مثل صوت الهواء إذا تدافع وصدّم بعضه بعضا وحدث منه الصفير والزمير، وصوت تدافع الماء في

(1) إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا: 3/ 132

(2) إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا، 2/ 407

(3) كمال بشر، علم الأصوات: 117.

(4) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 21.

التلاليح، وأمواج البحار وجريان الأنهار، وصوت زفير النار، فإنّ هذه لا يقال لها حية كما يقال للإنسان والحيوان أنه حي ذو حركة يقصد لغرض يناله بحركته، ولا يقال إنّها ميتة كموت الحجر والخشب، لأنّها متحرّكة بالاتفاق لا بالقصد، ولأنّها تقوّي مرّة حركة الهواء، ومرّة تسكنها وكذلك الماء والنار¹ أما أصوات الأجسام الحية: إنّ الصوت الحادث بحركة نفسانية حيوانية فهو مخصوص به الحيوان. أما أصوات الأجسام غير الحية: هذه الأصوات مخصوصة بما يحدث من حركة الأجساد الصامتة التي لا يحدث صوت وحسّ عنها إلاّ بمحرك من غير جنسها يرفعها ويضعها وينقرها ويقرع بعضها ببعض، فالمحرك لها إمّا بعمد وقصد كالإنسان فيما يتخذه من هذه الآلات للتصويت بالحركة، أو كحيوان يحدث ذلك بغير قصد كاحتكاك الدابة بالباب ودفعها للإناء وغيره، فيحدث من تلك الحركة وذلك الدفع صوت، أو من حركة الرياح والهواء للأجسام والنبات، والأشجار وحفيف أوراقها، واحتكاك قضبانها، وسلوك الهواء بينها، وسريانه بين الحيطان والبنيان، وخرقه منافذ الجبال والغدران والكهوف، فيحدث منه أنواع الصفير والتصويت، وما يحدث من أصوات حوادث الجو مثل ما يحدث من حركات المياه إذا انحدرت وتدافعت من أعلى الجبال إلى بطون الأودية، مثل أصوات الدواليب والأرجحة والطواحين والمجاديف وجريان السفن في البحر وجري العجل في البر وكل ماء إذا تحرّك أو تصرف فيه المحرك ظهر منه الصوت وقرع الهواء². وقريب من هذا ما ناقشه أحمد مختار عمر في عملية إنتاج الصوت حين تحدث عن إنتاج الصوت اللغوي وإنتاج الصوت غير الإنساني⁽³⁾.

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 3/ 127.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 3/ 116 وما بعدها.

(3) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 30.

بل لقد حاول إخوان الصفا تصنيف هذه الأصوات الناجمة عن الأجسام الحية وغير الحية: قالوا: فما كان منها من أجسام الحيوان قيل: أصوات ونغمات، وما كان منها عن حركة الهواء قيل: صفير وزمير،... وما كان من المعدنيات والأحجار والخشب قيل: وقع وطنين ونقرة، وما شاكل ذلك، وما كان من جهة الإنسان قيل: كلام ولفظ ومنطق بالجملة⁽¹⁾. حتى الصدى عاجله إخوان الصفا: يقولون: فالصوت الذي يسمعه إنما هو صوته، والحركة التي بدت منه في الهواء، وذلك أنه صاح في سفح جبل وقعر بئر إلى جانب الحائط فخرج من جوف المتكلم شكل كروي ونقش عرضي يأخذه الهواء إلى أن يؤديه إلى ذلك الموضع، فيصادفهما يمنعه من النفوذ والانتشار فيتردد راجعا فيسمع منه ذلك الصوت وهو الصدى⁽²⁾.

ولإخوان الصفا كلام جميل حول حركة مصدر الصوت، وعملية اهتزاز الأعضاء لإنتاجه، قالوا: اعلم أنه لا توجد الأصوات إلا في الأجسام ولا تصوت الأجسام إلا بمركات، ثم إن الأصوات أعراض حادثة والجواهر أجسام حاملة لها⁽³⁾. وكأنهم يتحدثون عن اهتزاز أعضاء النطق لإنتاج الأصوات، ومن ثم ينبغي التساؤل كيف تهتز وكيف تنتقل؟

ويعلق العلامة كمال بشر على أعمال عمالقة المسلمين⁽⁴⁾ في المجال الصوتي قائلا: وفي آخر المطاف كان القدماء العظماء على خبرة ودراية بالجوانب الثلاثة لتشكيل أصوات اللغة، وإن بدرجات متفاوتة، حسب درجات الاهتمام وحسب آليات الدرس والتحليل المتاحة لهم آنذاك، فكان اهتمامهم الأكبر بالجانب

1 إخوان الصفا، الرسائل: 3/ 127.

2 إخوان الصفا، الرسائل: 3/ 98.

(3) إخوان الصفا، الرسائل: 3/ 98.

(4) حديث عن جهود العلماء القدامى كلهم؛ لغويين كالخليل وعبد القاهر، وابن جني... وغير اللغويين كالفرابي والكندي وإخوان الصفا... وغيرهم.

النطقي لأن آله ومصدر إصداره لهما وجود حقيقي ملموس عند كل الناس بلا فرق، وهو جهاز النطق، يليه في الاهتمام والوقوف على أبعاد الجانب السمعي لأن آله وجهازه المستقبل له يتمثل في الأذن بأعضائها الفاعلة، وأخيرا الجانب الأكوستيكي وهو غير مذكور عندهم لحرمانهم من آله وأجهزته الكاشفة في ذلك الوقت السحيق⁽¹⁾.

هذا بالنسبة للصوت العام أو ما يطلق عليه بحسب الدراسات الصوتية الحديثة بالفونيتكس، أما دراسة الصوت اللغوي ووظائفه أو ما يطلق عليه في الدراسات الصوتية الحديثة بالفنولوجيا، فقد جاء عند إخوان الصفا ما يلي:

مفهوم الصوت اللغوي عند إخوان الصفا:

الأصوات المنطقية هي أصوات الناس، وهي نوعان، دالة وغير دالة، وعرفوا الصوت غير الدال بأنه صوت لا هجاء له ولا يتقطع بحروف متميزة يفهم منها شيء مثل البكاء والضحك والسعال والأنين وما أشبه ذلك وأما الصوت الدال فهو كالكلام والأقاويل التي لها هجاء في أي لغة كانت وبأي لفظ قيلت². والنطق اللفظي إنما هو أصوات مسموعة لها هجاء، وهي تظهر من اللسان الذي هو عضو الجسد، وتمر إلى المسامع من الأذان التي هي أعضاء من أجساد أخرى⁽³⁾. وإن الحروف اللفظية وضعت سمات ليستدل بها على الحروف الفكرية التي هي الأصل. والدالة هي التي تلفظ بالحروف المعجمة وهي التي تدل على المعاني في أفكار النفوس⁽⁴⁾.

(1) كمال بشر، علم الأصوات، ص: 129.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 3/ 133.

(3) إخوان الصفا، الرسائل: 1/ 392.

(4) إخوان الصفا، الرسائل: 2/ 469.

ويذكر الدكتور أحمد مختار عمر في معرض حديثه عن تصنيف الأصوات: ومن الممكن تصنيف المادة الصوتية للغة إلى: أصوات موسيقية، وأصوات ضوضائية أو غير موسيقية⁽¹⁾، وهذا لا ريب يتطابق مع ما جاء به إخوان الصفا في حديثهم السابق.

إنتاج الصوت اللغوي:

عالج إخوان الصفا إنتاج الصوت اللغوي على مستويين، المستوى الأول: مقطعا على مستوى الأفراد، والمستوى الثاني: منتجاً على مستوى التأليف والتركيب. يقول إخوان الصفا عن المستوى الأول: وهي تقطيع الصياح بانضمام أجزاء القم فتحدث منه حروف، كما تضم الشفتين بنوع ما فتحدث الباء، وتضم بنوع آخر فتحدث الميم. أما إنتاج الصوت اللغوي على مستوى التأليف والتركيب، قال إخوان الصفا: النطق اللفظي هو ألفاظ مؤلفة من الحروف المعجمة. ويضيفون: إن الحروف إذا ألقت صارت ألفاظاً، والألفاظ إذا ضمت المعاني صارت أسماء، والأسماء إذا ترادفت صارت كلاماً، والكلمات إذا اتسقت صارت أقاويل، والأقاويل نوعان: موزون ونثر، فالموزون كالشعر والرجز والقوافي، والنثر نوعان: فمنه فصاحة وبلاغة، ومنه مخاطبات ومحاورات⁽²⁾. لذلك يعرف إخوان الصفا الكلام بقولهم: صوت بحروف مقطعة دالة على معانٍ مفهومة من مخارج مختلفة⁽³⁾. وهذا كلام مبكر جداً في الفونيمات والمقاطع الصوتية والكلمات والجمل.

(1) عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص: 38.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 1/ 393.

(3) إخوان الصفا، الرسائل: 3/ 114.

عملية إصدار الصوت اللغوي:

تحدث إخوان الصفا عن إنتاج الصوت اللغوي والأعضاء التي تشترك في إنتاجه، يقولون: والحروف اللفظية إنما هي أصوات تحدث في الحلقوم، والحنك، وبين اللسان والشفيتين، عند خروج النفس من الرئة، بعد ترويحها الحرارة الريزية التي في القلب. والرئة هي مستودع النفس أو الهواء الذي ينطلق منها إحداث الصوت (1).

والرئة بيت الريح يخدمها ويعينها في أفعالها أربعة أعضاء أخرى، وهي الصدر والحجاب والحلقوم والمنخران، وذلك أن المنخرين الهواء المستنشق إلى الحلقوم ويعتدل فيه مزاجه، ويصل إلى الرئتين ويتصفى فيها، ثم يدخل إلى القلب ويروح الحرارة الغريزية هناك، وينفذ من القلب إلى العروق الضوارب، ويبلغ سائر أطراف البدن الذي يسمى النبض، ويخرج من القلب الهواء المحترق إلى الرئة، ومن الرئة إلى الحلقوم، ومن الحلقوم إلى المنخرين أو إلى الفم، والصدر يخدم الرئة في فتحة لها عند استنشاق الهواء وضمه إياها عند خروج النفس، والحجاب تحفظ الرئة من الآفات العارضة لها عند الصدمات والدفعات واضطراب أحوال البدن (2).

ويقول الإخوان: اعلم أن هذه الأحرف لا تحدث إلا بإرسال النفس المستنشق من الهواء، وإرساله وقطع اللسان لها في مخرجها ومجاريها (3). وهذه مرحلة متقدمة في ذلك الوقت، حيث أثبت العلم مؤخرًا أن إنتاج الأصوات لا يكون إلا من خلال عملية الزفير. ولا يعلم المتخصصون إلى الآن لغة واحدة تعتمد على الشهيق في عملية إنتاج الأصوات اللغوية. يقول إخوان الصفا عن مخرج

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 1/ 330.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 2/ 190.

(3) إخوان الصفا، الرسائل: 3/ 330.

الحروف: اعلم يا أخي أن الكلام هو صوت بحروف مقطعة، دالة على معانٍ مفهومة من مخارج مختلفة، وأبعد هذه مخارج هذه الحروف أقصى الحلق، وهو ما يلي أعلى الصدر⁽¹⁾. وتحدد الدراسات الحديثة موقع الرتتين بالنسبة لجهاز النطق بقولهم: يبدأ جهاز النطق بالرتتين وينتهي بالشفيتين، والرتتان هما مخزن الهواء، والهواء المنبعث من الرتتين هو مصدر الصوت الذي تتعاون الأعضاء الأخرى على تشكيله وتلوينه وفق عمليات متعددة⁽²⁾.

ومن خلال موازنة بسيطة بين ما قدمه إخوان الصفا منذ ألف ونيّف من السنين فقد أجمالوا القول في آلة النطق الرئيسية، التي تضم الرئة والصدر والحجاب والحلقوم والمنخار والفم واللسان والشفيتين، وبين ما قدمه علم الأصوات النطقي الفسيولوجي يظهر لنا أهمية إسهامات إخوان الصفا في الدرس اللغوي يقول النوري: تنقسم أعضاء النطق التي يتألف من مجموعها الممر الصوتي من: جهاز آلية التنفس أي الرتتين التي يعتمد عليها في تدفق الهواء اللازم لإنتاج الأصوات الكلامية، والحنجرة بوصفها صماما ينظم تدفق الهواء، والممر بعدها المتكون من المزمار والشفيتين واللسان والأسنان⁽³⁾.

وقد ربط إخوان الصفا بين مخارج الحروف وأهميتها في نطق الحروف والأصوات نطقا صحيحا، يقول إخوان الصفا: وأصل الأصوات في الرئة هواء يصعد إلى أن يصير إلى الحلق، فيديره اللسان على حسب مخارجه، فإن خرج على

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 114/3.

(2) أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر: دمشق، ودار الفكر المعاصر: لبنان، الطبعة الأولى،

1996م، ص: 47.

(3) محمد جواد النوري وعلي خليل حمد، فصول في علم الأصوات، مطبعة النصر التجارية، نابلس،

فلسطين، (د. ت)، ص: 59.

حروف مقطعة مؤلفة عرف معناه وعلم خبره، وإن خرج على غير حروف لم يفهم كان كالنفاق والرغاء والسعال وما أشبه ذلك فإن رده اللسان إلى مخرجه المعلوم في حروف مفهومة يسمى كلاماً ونطقاً بأي لفظة كانت على حسب الموافقة ومساعدة الطبيعة، لكل قوم في اتساع حروفهم وسهولة تصرفهم في مخارج كلامهم وخفة لغاتهم بحسب مزاج طبائعهم وأهوية بلدانهم وأغذيتهم، وما أوجبت لهم دلائل موالدهم وما تولاهم من الكواكب في وضع أصل تلك اللغة في الابتداء الوضعي والمنهاج الشرعي، وما تفرع من ذلك الأصل وما ينقسم من ذلك النوع⁽¹⁾.

وهذه ملاحظة متقدمة من إخوان الصفا في دور البيئة وخصائص الأقاليم الطبيعية على إنتاج الأصوات اللغوية، وقام على أساس هذه الفكرة نظريات لغوية ولسانية تدفع بهذا الاتجاه. فضلاً عن اختلاف أجناس البشر في إنتاج الأصوات اللغوية في خواصهم اللغوية، وتؤدي الوراثة دوراً كبيراً في هذا الاتجاه.

يقول إخوان الصفا: اعلم أن اختلاف الناس في كلامهم ولغاتهم على حسب اختلافهم في أجسامهم وتركيباتهم، وأصل الاختلاف في اللغات هو اختلاف مخارج الحرف ونقصها عن تأدية ما يؤديه البليغ منها⁽²⁾.

ولقد تطرق إخوان الصفا إلى أثر العمليات النفسية في إنتاج الأصوات اللغوية، والسلوك الإنساني يقولون: اعلم أن أمزجة الأبدان كثيرة الفنون، وطبائع الحيوانات كثيرة الأنواع، ولكل مزاج وطبيعة نغمة مشاكلة، ولحن ملائم لها، لا يحصي عددها إلا الله تعالى، والدليل على ذلك أنك إذا تأملت وجدت لكل أمة من الناس ألحاناً ونغمات وأصواتاً يستلذون ويفرحون بها لا يستلذها غيرهم ولا يسر

(1) إخوان الصفا الرسائل: 3/114.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 3/118.

بها سواهم، وذلك لاختلاف لغاتهم وتباين أمزجتهم وطباعهم، وما جرت به العادات والأخلاق. وهكذا يجري في أصحاب لغة واحدة، أقوام يستلذون الحنا ونغمات وأصواتا لا يستلذها غيرهم من لغتهم، وهكذا ربما تجد إنسانا واحدا يستلذ وقتا لحنا ما، ويعافه آخر، وهكذا تجد حكمهم في مأكولاتهم ومشروباتهم ومسموعاتهم وسائر الأنواع من الملاذ والزينة، كل ذلك حسب تغيير أمزجتهم واختلاف طبائعهم وما جرت به عاداتهم وما تولاهم من الأسباب الفلكية، والأحكام السماوية في أوقات مواليدهم ومساقط نطقهم (1).

وقد تنبه إخوان الصفا إلى اضطرابات الكلام، والعيوب النطقية على الرغم من سلامة الجهاز النطقي، يقولون: وقد زعم بعضهم أن فساد الكلام من فساد التركيب وفساد المزاج، وليس هو كما زُعم، وإنما هو من اختلاف مخارج الحروف في قوتها وضعفها، وهو فساد في اللسان يقلب ويعدل الحروف عن مخارجها، ولو كان من فساد المزاج لكانت اللغة كلها في حرف واحد من مخرج واحد، ولكانت ترجع إلى الاستواء، عند صلاح المزاج، كما يحدث بالفصيح الكلام، وضعف الصوت من فساد المزاج وغلبة بعض الطبائع، وإذا عاد الأمر السالم عاد إلى كلامه إلى المعهود منه أولا، واللغة ليست كذلك، والناس فيها مختلفون وغير متفقين في الحروف التي يقع فيها الخطأ والعدول بها عن استوائها إلى خلافها، وهي أغراض كثيرة تختص باللسان،... وتعرض فتفسد الكلام، وهي مثل الخلّة، والفأفة... والتمتمة والعقلة، والحكمة والرتة، واللثغة وما أشبه ذلك... (2) يقول أحمد مختار

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 3/ 139.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 3/ 118.

عمر: يتدخل علم الأصوات في علاج عيوب النطق والكلام بالنسبة لمن يتمتعون بأذن صحيحة وإدراك سليم للأصوات⁽¹⁾.

مرحلة انتقال الصوت العام:

لقد أدرك إخوان الصفا تمام الإدراك دور الهواء في حمل الصوت ونقله إلى آذان المستمعين، فالهواء هو الواسطة بين مصدر الصوت وأذن السامع، وهو يحمل الصوت ويحركه، منتقلا به من خطوة إلى أخرى حتى النهاية، ويعني هذا أن الصوت عند إصداره ينتقل إلى الهواء فيحدث فيه ذبذبات متصلات تنقله وتدفع به إلى السمع⁽²⁾. إنها أنظار فيزيائية لدراسة الصوت اللغوي. ويضيف إخوان الصفا قولهم إن: الهواء جسم لطيف شريف، وهو متوسط بين الطرفين، فما هو فوقه اللطيف منه، وهو النور والضياء وما دونه أكثف منه وهو الماء والتراب⁽³⁾. ويذكرون في موضع ثالث حول مرحلة نقل الصوت بين الإصدار والإدراك بأن الهواء: الحركة الواصلة إلى حاسة السمع⁽⁴⁾. بل أكدوا ذلك لأكثر من مرة، قالوا في تعليل دور الهواء في نقل الصوت: لما كان الهواء أطف جوهرًا من الماء، وأشدّ سيلانًا، صار قبوله للأصوات والروائح أسرع انفعالا وأسرع قبولًا⁽⁵⁾.

أما عن كيفية نقل الهواء للصوت: يقول إخوان الصفا: إن الهواء لشدة طاقته وصفاء جوهره وسرعة حركته أجزاءه يتخلل الأجسام كلها ويسري فيها ويصل إليها ويحرك بعضها إلى بعض، فإذا صدم جسم جسمًا انسَلَّ ذلك الهواء من

(1) عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص: 408.

(2) كمال بشر، علم الأصوات، ص: 123.

(3) إخوان الصفا، الرسائل: 3/ 125.

(4) إخوان الصفا، الرسائل: 3/ 103.

(5) إخوان الصفا، الرسائل: 3/ 417.

بينهما، وتدافع وتموج إلى جميع الجهات، وحدث من حركته شكل كروي يتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجاج، وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت قوة ذلك الصوت إلى أن يسكن، ومثال ذلك إذا رميت في الماء الهادي الواقف في مكان واسع حجرا فيحدث في ذلك الماء دائرة من موضع وقع الحجر، فلا تزال تتسع فوق سطح الماء وتموج إلى سائر الجهات، وكلما اتسعت ضعفت حركتها حتى تتلاشى وتذهب⁽¹⁾. إنهم هنا يصرحون بدور الموجات والذبذبات في نقل الأصوات، إن هذه المقطوعة أو الفقرة تستحق أعظم تقدير وإعجاب. فقد سبقت اكتشافات المناهج الحديثة والآلات الدقيقة.

وقمنا بالإشارة بأن هذا التشبيه السابق الذي استخدمه إخوان الصفا أضحى مثالا عالميا في شرح دور الهواء في إنتاج الصوت اللغوي، ومما يؤسف له أن ننسب هذا المثال إلى بعض الأجانب الذي ما استخدموه إلا من عشرات السنين فقط، فيما استخدمه إخوان الصفا من مئات السنين⁽²⁾.

ومما يؤسف له أن ننسب هذا المثال إلى بعض الأجانب الذين ما استخدموه إلا من عشرات السنين فقط، فيما استخدمه إخوان الصفا من مئات السنين حيث قالوا: إنما يحدث الصوت من تصادم الأجسام، إذا كانت صدمتها بسرعة فينضغط الهواء عند ذلك وتندافع أمواجه، وتموج حركته إلى الجهات الست بسرعة؛ فيحدث الصوت ويُسمع⁽³⁾.

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 102/3.

(2) نسب أحمد مختار عمر هذا التشبيه في كتابه دراسة الصوت اللغوي إلى روبنز في كتابه: General

Linguistics.

(3) إخوان الصفا، الرسائل: 132/3.

ويقول إخوان الصفا عن ما اصطلح عليه مؤخرا بالذبذبات: ومن فضائل الهواء وخواصه العجيبة أنه يمنع الأصوات بسيلا أنه أن يثبت زمانا طويلا فيقل الانتفاع بها ويكثر الضرر منها، وذلك أن الأصوات ليست تمكث في الهواء إلا ريثما تأخذ المسامع حظها ثم تضمحل، ولو ثبتت الأصوات في الهواء زمانا لامتلأ الهواء من الأصوات ولعظم الضرر منها حتى لا يمكن أن يسمع ما يحتاج إليه من الكلام والأقاويل⁽¹⁾.

وحول سعة الذبذبات يقول إخوان الصفا: والأجسام العظيمة إذا تصادمت كان صوتها أعظم، لأنها تموج هواء أكثر، وكل جسمين من جوهر واحد، مقدارهما واحد، وشكلهما واحد نقرا نقرة واحدة معا فإن صوتيهما يكونان متساويين، فإن كان أحدهما أجوف كان صوته أعظم، لأنه يصدم هواء كثيرا داخلا وخارجا، والأجسام الملس أصواتها ملساء، لأن السطوح المشتركة التي بينها وبين الهواء ملساء، والأجسام الخشنة تكون أصواتها خشنة، لأن السطوح المشتركة بينها وبين الهواء خشنة، والأجسام الصلبة المجوفة كالأواني والطرجهارات والجرار إذا نقرت طقت زمانا طويلا لأن الهواء في جوفها يتردد ويصدمها مرة بعد مرة، وتارة بعد أخرى، إلى أن يسكن، فما كان منها أوسع كان صوتها أعظم، لأنه يصدم هواء كثيرا داخلا وخارجا، والبوقات الطوال كان صوتها أعظم لأن الهواء المتموج فيها يصدمها في مروره مسافة بعيدة، والحيوانات الكبيرة الرئات الطويلة الحلاقيم الواسعة المناخر والأشداق تكون جهيرة الأصوات لأنها تستنشق هواء كثيرا وترسله بشدة، فقد تبين بما ذكرنا علة عظم الصوت إنما هي بحسب عظم الأجسام

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 53/2.

المصوتة وشدة صدمها وكثرة تموج الهواء في الجهات عنها¹. تقول الدراسات الحديثة وسعة الذبذبة هي المسؤولة عن التوتر، فكلما زاد الاتساع زاد التوتر⁽²⁾.

وعن مفهوم التردد أشار إخوان الصفا إلى أن الحركة نوعان: سريعة وبطيئة والحركة السريعة هي التي يقطع المتحرك بها مسافة بعيدة في زمان قصير، والبطيئة هي التي يقطع المتحرك بها مسافة أقل منها في ذلك الزمن بعينه⁽³⁾. وقد أكد إخوان الصفا هذه الظاهرة في موضع آخر بقولهم: الحركة تكون سريعة وبطيئة، فالسريعة هي التي يقطع المتحرك بها مسافة طويلة في زمان قصير، والبطيئة هي التي يقطع المتحرك بها مسافة قصيرة في زمان طويل، وعلى هذا المثال تعتبر الحركات المتحركات⁽⁴⁾. وتشير الدراسات الصوتية الحديثة أن التردد عبارة عن تكرار كامل لنمط موجة، أو؟+ عبارة أخرى هي ذلك الجزء من الموجة بين أي نقطة والنقطة التالية⁽⁵⁾.

كما قارن إخوان الصفا سرعة الضوء بسرعة الصوت، وتوصلوا إلى أن: البروق والرعود يحدثان في وقت واحد ولكن البرق يسبق إلى الأبصار قبل الصوت إلى المسامع، لأن أحدهما روحاني الصورة، والآخر جسماني وهو الصوت⁽⁶⁾. وهذا ما أكدته الدراسات الحديثة.

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 1/190.

(2) عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص: 25.

(3) إخوان الصفا، الرسائل: 1/193.

(4) إخوان الصفا، الرسائل: 3/136.

(5) عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص: 25.

(6) إخوان الصفا، الرسائل: 2/75.

انتقال الصوت اللغوي:

تعد دراسة انتقال الصوت اللغوي وتحليله وتركيبه من مهام علم الأصوات الفيزيائي أو الأكوستيكي، وقد كان لإخوان الصفا قدما في هذا الميدان منذ مئات السنين، لقد عرف إخوان الصفا الصوت اللغوي بأنه: أصوات محمولة في الهواء فمدركة بطريق الأذنين بالقوة السامعة¹. وهو تعريف راق على بساطة كلماته وكلي يقين لو أننا قدمنا هذا التعريف على أنه لدى سوسير أو فيرث أو تشومسكي لبعض الباحثون عليه بالنواجذ، وقد ربط علماء الأصوات حديثا بين المرحلة الفسيولوجية والأكوستيكية كما فعل إخوان الصفا تماما، وذلك في ربطهم بين مدى الصوت وانتشاره وبين قوة رئة الإنسان وأعضائه. كما طبقوا ذلك على الحيوانات أيضا.

يقول الإخوان: وأما مخارج الأصوات من سائر الحيوان فإنها من الرئة إلى الصدر ثم إلى الحلق ثم الفم، ثم يخرج من الفم شكل على قدر عظم الحيوان وقوة رئته وسعة شذقه، وكلما اتسع الحلقوم وانفرج المكان وعظمت الرئة زاد صوت الحيوان على قدر قوته وضعفه². وأضافوا قائلين: مَنْ أراد أن يكون له صوت طويل يمكث في الهواء فليتعمد ذلك، ويجتهد في جمع الهواء حتى يكون إرساله بحسب ما اجتمع فيه، فيدرك ما يريد وإن تأذى وتألم⁽³⁾. وحول دور الرئة في إنتاج الأصوات يقول النوري: وتكون الأصوات العربية بأنواعها المختلفة مجموعة صوتية واحدة يتم إنتاجها عن طريق الآلية الرئوية⁽⁴⁾.

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 1/392.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 3/102.

(3) إخوان الصفا، الرسائل: 3/104.

(4) محمد جواد النوري وعلي خليل حمد، فصول في علم الأصوات، ص: 223.

تشير الدراسات الصوتية الحديثة أن علم الأصوات السمعي لم يحقق تقدما كبيرا إلى الآن، وذلك لتشككهم في قيمة ما يمكن أن يقدمه ذلك العلم، وذلك لصعوبة إدراك أو تصور ما يجري في الأذن من عمليات ذهنية، فعلى الرغم من هذه الصعوبة فقد ولج إخوان الصفا ودلفوا إلى هذا الميدان وأدلوأ بدلوهم، وكان لهم فيه إسهامات واضحة وبصمات ملاحظة، يقول إخوان الصفا متحدثين عن سماع الصوت: مَنْ كان حاضرا من الناس وسائر الحيوانات الذي له أذن بالقرب من ذلك المكان فيتموج الهواء بحركته يدخل في أذنيه إلى صماخيه في مؤخر الدماغ ويتموج أيضا ذلك الهواء الذي هناك فتحسّ عند ذلك القوة السامعة بتلك الحركة وذلك التغيير.¹ تقول الدراسات الحديثة: تبدأ العملية السمعية من اللحظة حين تدخل موجة صوتية صماخ الأذن وتصل إلى طبلة الأذن فتحركها، وبعد انتقالها عن طريق سلسلة العظام تؤثر في السائل الموجود في الأذن الداخلية بطريقة تحرك أعصاب السمع وتنقل هذه الأعصاب صورة هذا الاضطراب إلى المخ⁽²⁾. وفي في أثناء سماع الصوت يستطيع الإنسان التمييز بين أنواع الأصوات المختلفة باختلاف مصدرها.

كما تعرض إخوان الصفا إلى عوائق الصوت، وأهما اثنان: الأول: يقولون: وأما حاسة السمع فإنها لا تكذب، وقلما تخطئ، وذلك لأن ليس بينها وبين محسوساتها إلا واسطة واحدة وهي الهواء، وإنما يكون خطؤها بحسب غلظ الهواء ورقته، وذلك أنه ربما كانت الريح عاصفة والهواء متحركا حركة شديدة، فيصوت المصوت في مكان قريب من المسامع، فلا يسمع من شدة حركة الهواء

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 121/3.

(2) عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص: 48.

وهيجانه، فتكون حركة ذلك الصوت يسيرة في شدة حركة الهواء وهيجانه فيضعف عن الوصول إلى الحركة السامعة، وإذا كان الهواء ساكنا وصل ذلك الصوت إلى الحاسة إذا كان في مكان يمكن أن يتصل به ذلك التموج والحركة الحادثة في الهواء، فأما إذا كانت المسافة بعيدة فإنها لا تدرمه وتتلاشى تلك الحركة وتنفذ قبل وصولها إليها⁽¹⁾ والعائق الثاني: متى كانت أدوات القوة السامعة التي هي ضماخا الأذن مفتوحتين نقيتين من الأوساخ سليمتين من الآفات العارضة طئت فيهما الأصوات بهيئتها فأدركتها القوة السامعة بمحاثتها، وإذا كانت على غير ما ذكرنا لعارض من الآفات عاقت عن إدراكها المسموعات⁽²⁾.

وفوق ذلك عقد إخوان الصفا موازنة بين السمع والبصر، من حيث قوة التمييز، قالوا حول قوة التمييز بين حاسة السمع وحاسة البصر: اختلف العلماء في حاسة النظر وحاسة السمع، أيهما أطف وأشرف، فقال بعضهم: حاسة السمع أشرف، وكان برهان من قال ذلك أن محسوسات السمع كلها روحانية، وأن النفس بطريق السمع تحرك من هو غائب بالمكان والزمان، وأن محسوسات البصر كلها جسمانية لأنها لا تدرك إلا من كان حاضرا في ذلك الوقت، وقال: إن السمع أدق تمييزا من البصر، إذ يعرف جودة الذوق وجودة الحس، والكلام الموزون، والنغمات المختلفة والفرق بين السقيم والصحيح والمستوي والمنزحف، وصوت الطير من صوت الكلب وصوت الحمار من صوت الجمل، وأصوات الأصدقاء من أصوات الأعداء، وما يحدث من أصوات الأجسام التي لا روح فيها، وأصوات الناس على اختلاف وأشكال كلامهم، لتخبر عن كل صوت بما هو دأبه وتنبه إلى الذي بدا منه، ولا يحتاج إلى البصر في ذلك وفي إدراكه، والبصر يخطئ في أكثر

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 3/ 107.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 3/ 406.

الصوتيات قضايا ودراسات

مدركاته، فإنه ربما يرى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا ولقريب بعيدا والمتحرك ساكنا والساكن متحركا فصح بهذا القول أن السمع الطف وأشراف من البصر⁽¹⁾.

مرحلة سماع الصوت اللغوي:

يُعنى علم الأصوات السمعي بدراسة كيفية التقاط الأذن للصوت وفهمه وإدراكه. تحدث الإخوان عن ثمانية أنواع من الأصوات على شكل ثنائيات أو متقابلات: يقولون: تقسم الأصوات إلى ثمانية أنواع، كل نوعين منها متقابلان من جنس المضاف وهم العظيم والصغير والسريع والبطيء والحاد والغليظ والجهير والخفيف. فأما العظيم والصغير من الأصوات فبإضافة بعضها إلى بعض، والمثال في ذلك أصوات الطبول، وذلك أن أصوات طبول المواكب، إذا أضيفت إلى أصوات طبول المخانيث، كانت عظيمة، وإذا أضيفت إلى أصوات الرعد والصواعق كانت صغيرة والكوس هو الطبل العظيم يضرب في ثغور خراسان عند النفير يسمع صوته من فراسخ. فعلى هذا المثال يعتبر عظم الأصوات وصغرها بإضافة بعضها إلى بعض. وأما السريع والبطيء من الأصوات بإضافة بعضها إلى غيرها، والمثال في ذلك أصوات كوزينات القصارين ومطارق الحدادين فإنها سريعة بالإضافة إليها، وأما بالإضافة إلى أصوات مجاديف الملاحين فهي سريعة بالإضافة إلى دق الرزازين والجصاصين، وهي بطيئة بالإضافة إليها، وأما بالإضافة إلى أصوات مجاديف الملاحين فهي سريعة. وعلى هذا المثال تعتبر سرعة الأصوات وبطؤها بإضافة بعضها إلى بعض، وأما الحاد والغليظ من الأصوات بإضافة بعضها إلى بعض فهي كأصوات نقرات الزير وحدته، بالإضافة إلى نقرات المثني، والمثني إلى المثلث، والمثلث إلى البم، فإنها تكون حادة. فأما بالعكس فإن صوت البم بالإضافة إلى

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 3/ 123.

المثلث، والمثلث إلى المثنى، والمثنى إلى الزير فغليظة. ومن وجه آخر أيضا فإن صوت كل وتر مطلقا غليظ بالإضافة إلى مزموه أي مزوم كان. فعلى هذا القياس تعتبر حدة الأصوات وغلظها بالإضافة بعضها إلى بعض⁽¹⁾. ويتضح مما سبق عددا من الحقائق الصوتية الحديثة في ربط الجانبين الفسيولوجي والفيزيائي في إنتاج الأصوات⁽²⁾:

- عظم الصوت وصغره.
- سرعة الصوت وبطؤه.
- حدة الصوت وغلظته.
- جهازة الصوت وخفته.

مرحلة إدراك الصوت العام وفهمه:

سبق القول بأن علم الأصوات السمعي ما زال عصيا على الباحثين والعلماء لصعوبة تعرف عمل المخ وآليته، فالحصول على نتائج عملية لا تزال بعيدة المنال؛ لأن الفحص المباشر للعقل معوق بانفراد الإنسان بخاصة الكلام. فما دامت الحيوانات لا تتكلم فإن التجارب على عقولها لا تعطينا شيئا، والفحص المباشر للعقل البشري محكوم بقيم أخلاقية، لذلك فمعلوماتنا في هذا الميدان تخمينية حتى الآن⁽³⁾. وعلى الرغم من ذلك فقد حاول إخوان الصفا دراسة هذا الجانب

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 3/ 136.

(2) انظر: حول هذه الصفات في الصوتيات الحديثة: سمير استيتة، اللسانيات، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، الأردن 2005م: 29 وما بعدها، الفارع، شحدة وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل: الأردن، الطبعة الرابعة، 2008م. ص: 59 وما بعدها. العاني، سلمان، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، الطبعة الأولى، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1983م. ، ص: 113 وما بعدها.

(3) محمد جواد النوري وعلي خليل حمد، فصول في علم الأصوات، ص: 48 النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية. منشورات جامعة القدس المفتوحة، الأردن، 1997م، ص: 55 وما بعدها.

وآمدونا ببعض المعلومات والتفسيرات التي لاحقت قبولاً في الدرس اللغوي الحديث.

تحدث إخوان الصفا عن مواطن إدراك الأصوات في الدماغ الإنساني، يقولون: طنين الأصوات لا يكثر في المسامع زمناً إلا ريثما تأخذ القوة المتخيلة رسومها، ثم تضمحل من المسامع تلك الطينيات⁽¹⁾. وهذه من الحقائق الثابتة علمياً في الوقت الراهن، كما تعرض إخوان الصفا لموقع إدراك الأصوات في دماغ الإنسان وقلبه، ولعل هذه الفكرة تقترب كثيراً من النظرية التي يتبناها شيخنا الدكتور عودة أبو عودة والتي أطلق عليها اللوحة الدلالية التي ترجع عمليات اكتساب المعرفة والإدراك اللغوي إلى حاستي السمع والبصر والفؤاد.

يقولون: اعلم أن كل صوت له نغمة وصيغة وهيئة روحانية خلاف صوت آخر، وأن الهواء من شرف جوهره ولطافة عنصره يحمل كل الصوت بهيئته وصيغته ويحفظها لئلا يختلط بعضها ببعض، فيفسد هيأتها إلى أن يبلغها إلى أقصى مدى غاياتها عند القوة السامعة لتؤديها إلى القوة المتخيلة التي سكنها مقدم الدماغ، وذلك تقدير العزيز الحكيم الذي جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون⁽²⁾.

ومن لطائف إخوان الصفا تفريقهم وتمييزهم بين سماع الصوت وبين عملية إدراكه. فهناك علم اللغة السمعي، وعلم اللغة الإدراكي في اللسانيات الصوتية الحديثة.

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 200/1.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 189/1.

إدراك الصوت اللغوي:

إن دراسة الأصوات التي تصل الأذن على شكل ذبذبات وإشارات كهربائية هي عملية نفسية إدراكية بجانب كونها عملية عضوية فسيولوجية، وعليه فقد أطلق العلماء على العلم الذي يدرس تينك المرحلتين بعلم الأصوات النفسي / الإدراكي. ولا يزال هذا العلم موضع دراسة وبحث، ويعدّ أقل العلوم إنتاجا لنظريات وتفسيرات لعملية إدراك الكلام وذلك لتداخل العلوم التي تبحث فيه، وعدم مساعدة الآلات في الوصول إلى نتائج كما في العلوم الأخرى. وعلى الرغم من ذلك فقد حاول إخوان الصفا أن يدلوا بدلوهم في هذا المجال، وقد تحدثوا أولا عن:

أولا: وسائل الإدراك بصفة عامة

وأجزؤها في الحواس الخمس والدماغ ومكوناته والقلب. وقد قصدوا بالحواس الخمس الأولى: العين والأذن واللسان والأنف واليد، وتختص كل واحدة منها بإدراك جنس من المحسوسات ولا تشارك غيرها في محسوساتها، فالقوة السامعة تولت إدراك المسموعات، وهي الأصوات على اختلاف أنواعها، والباصرة تولت إدراك المبصرات على اختلاف أنواعها، إلخ. أما قوى الدماغ أو التي أسموها بالقوى الخمس الثانية وتعمل على تحقيق الإدراك الكلي: مقدم الدماغ، والمفكرة أو العاقلة التي مجراها وسطه، والحافظة التي مجراها مؤخرة، والناطقة المخبرة ومجراها من الحلقوم إلى اللسان، وقوة إظهار الكتابة والصنائع ومجراها اليدين والأصابع، وأخيرا القلب الذي أعطوه دورا عظيما في عملية التمييز والفهم فمرة جعلوا مرتبته قبل الدماغ ومرة أخروه عليه، يقولون في دور القلب في عملية الإدراك: اعلم أن القلب في الجسد مصور على صورة الإنسان، ولذا صار أفضل الأعضاء التي في أجسام الحيوان، وذلك أن له بصيرة يبصر بها ما غاب عن حاسة النظر من

خارج، وله مسامع يدرك بها الأصوات، ويؤدي إلى حاسة السمع ما يدركه بها، وله حاسة اللمس فهو يتشوق إلى محسوساتها إذا فقدتها مثل ما يشفق العاشق عناق معشوقته (1).

ثانيا: الإدراك اللغوي:

نظر إخوان الصفا إلى عملية الإدراك اللغوي بوصفها حلقة من حلقات التواصل بين المتكلم والمخاطب أو المستمع. يصف إخوان الصفا عملية الإدراك اللغوي هذه بقولهم: عندما يصدر المخ أو امره لجهاز النطق بعملية تقطيع الأصوات في حالتي الأفراد والتركيب، تنتقل هذه الأصوات عبر الهواء إلى أذن المستمع أو قوته السامعة لتؤديه إلى القوة المتخيلة في مقدم الدماغ التي تنقله بدورها إلى القوة المفكرة في وسط الدماغ لتتظر فيه وترى في معانيه وتعرف حقائقه ومضاره ومنافعه ثم تؤديه إلى القوة الحافظة في مقدم الدماغ لتحفظه إلى وقت الحاجة والتذكار، ثم إن من شأن القوة الناطقة إذا استعانت بها القوة المفكرة في النيابة عنها في الجواب والخطاب أن تؤلف ألفاظا من حروف المعجم بنفحات مختلفة السمات التي هي الكلام فتدفعها عند ذلك إلى القوة المعبرة لتخرجها إلى الهواء بالأصوات المختلفة في اللغات لتحملها إلى مسامع الحاضرين بالقرب، فتكون تلك الألفاظ المؤلفة من الحروف المختلفة الأشكال والسمات كالأجساد المركبة من الأعضاء المختلفة، وتكون تلك المعاني المضمنة في تلك الألفاظ كالأرواح لها، لأن كل لفظة لا معنى لها فهي بمنزلة جسد لا روح فيه، ثم إن من شأن القوة الصانعة أن تصوغ لتلك الألفاظ من الخطوط والأشكال بالأقلام وتودعها وجوه الألواح ليبقى المعلم مفيدا فائدة من الماضين الغابرين وخطابا من الغائبين الحاضرين (2).

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 105/3.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 243/3.

وقد اهتم إخوان الصفا باللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، وقد رفعوا اللغة المنطوقة درجات فوق اللغة المكتوبة، يقول إخوان الصفا: السمع الطريق الذي تقبل به النفس معاني اللغات، وما تدل عليه الأصوات من الأخبار لغائية⁽¹⁾، كما تطرق إخوان الصفا إلى اختلاف الناس في مراتب السمع ودرجات الإدراك، يقولون: وذلك أن منهم من يكون جيد السمع، يسمع الأصوات الخفية، ويميز بين النغمات الموزونة والنزحفة، ومنهم من يحتاج من ذلك إلى مفاعيل العروض، ومنهم من لا يحس بشيء من ذلك⁽²⁾، وعلى الرغم من ذلك فإنهم لم يهملوا اللغة المكتوبة وأهميتها، يقولون: اعلم أن الإنسان مع الاستماع إلى الأصوات وتمييزه بالنغمات يفهم معاني اللغات والأقاويل والكلمات، كما أنه عند نظره إلى الخطوط والكتاب يفهم ما يتضمنها من معاني الكلم والعبارات ما لا يفهم عليها غيره من الحيوانات، ثم اعلم أن هاتين الطريقتين أكثر معلومات الإنسان التي ينفرد بها دون سائر الحيوانات⁽³⁾. وهذا ما تؤكدته الدراسات اللغوية الحديثة، يذكر الدكتور تمام حسان بأن اللغة المنطوقة مقدمة على اللغة المكتوبة لاعتبارات كثيرة منها قدم المنطوق وحدثة الكتابة، والمنطوق ألصق بحياة الإنسان من الكتابة، واتسام المنطوق بسمات تفتقرها لغة الكتابة كالنبر والتنغيم إلخ⁽⁴⁾.

وقد أشار إخوان الصفا إلى أن الدماغ هو المسؤول عن التمييز بين الأصوات المفيدة وغير المفيدة، يقولون: ولكل صوت عند الحاسة السامعة كيفية وماهية، فماهية صوت الإنسان أنه غرض مفهوم دال على معنى، فتحتاج القوة

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 3/ 131.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 3/ 405.

(3) إخوان الصفا، الرسائل: 3/ 130.

(4) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة: الدار البيضاء، 1994م، ص: 46.

المفكرة إلى أن تفكر فيه وتفتش عن معناه، وأصوات الحيوانات غير مفهومة، لكن القوة المفكرة تبقي عليها لأنها ما صوتت إلا لحاجة، وما أرادت به إلا لسبب أكل وشرب ونكاح، فهذه الأقسام من الصوت مختصة بالأجسام الحية، فأما صوت الحجارة والخشب فإن القوة المفكرة لا تقضي عليها بأنها ما بدت لغرض ولا لقصد إلا أن تكون آلية لحركة الإنسان مثل البوق والزرمر والعود وما شاكل ذلك، وأنها تنسبها إلى الحركة التي كانت هي السبب في تصويتها مثل بوق ومزمار وعود وصفارة، وما شاكل ذلك، وكل هذه الأصوات إنسانية أودتها النفس الجزئية هذه الأشكال النباتية بالصناعة التي اتخذتها حيلة للمعاش والكسب، وأما صوت هبوب الرياح والرعد وخرير الماء إذا انحدر من علو إلى أسفل، واضطراب موج البحر واهتزاز الأشجار فإن القوة المفكرة لا تعبأ بذلك ولا تفكر فيه، وإنما تمر على الحاسة السامعة شبه الخوار ولا حاجة إليه، وربما ضجر الإنسان منه وتأذى من مداومة سماعه (1).

الأنظار الصوتية عند إخوان الصفا في ضوء الأنظار الصوتية الحديثة:

يعتقد بوعناني بأن الدراسات الصوتية العربية القديمة عانت من غياب المنطلقات النظرية وتوحيد المنهجية بفعل تأسيسها على مرتكزات معرفية تتعدد فيها مضامين البحث ووقائعه وأنماط التفكير ومرجعياته... يقول: لقد غابت عن الدراسات الصوتية العربية القديمة ثوابت إنشاء العلم المستقل بمرتكزات نظرية محددة وموحدة خلافاً لذلك استطاعت الدراسات الصوتية في الغرب أن تحدد

موضوعها المعرفي الموحد والمتآلف، الشيء الذي مكنها من صياغة النظرية (النظريات) المتناسكة والمنسجمة مع خصوصيات موضوعاتها⁽¹⁾.

إنه من الحيف أن نقارن بين الدراسات الصوتية العربية قبل ألف وستمئة سنة بما توصلت إليه العلوم في القرن الحادي والعشرين لنحكم على أن الدراسات الصوتية العربية بعدم النضوج في حين النظرية الغربية استطاعت أن تفرض نفسها معرفيا ومنهجيا. ولا أدري كيف استطاع الباحث أن يعقد هذه المقارنة بهذا الفارق الزمني، ولم يعقدها بين بداية الدراسات الصوتية العربية والغربية، فيا ترى هل يسوغ لنا أن نقارن التقدم التقني الآن وبين مئة سنة مضت؟ كيف يمكن أن تكون هذه المقارنة؟ وفي المقابل يقول الدكتور كمال بشر واصفا جهود إخوان الصفا وبن جني والفارابي وبن سينا الصوتية: إنهم كانوا سباقين وروادا في تشكيل منهج علمي مقبول؛ بل على درجة عالية من الجودة إذا قيس بزمانهم السحيق الذي لم يحظوا في أدوات البحث الصوتي الدقيق وأجهزته الفاعلة، ربما كان عملهم في هذا الميدان قليلا في كمّه ولكنه عميق في كيفه، إذ نجحوا في تفسير مادته وتحليلها وتقعيدها نجاحا يفوق ما سلكوه في معالجة المستويات اللغوية الأخرى، من صرف ونحو⁽²⁾.

نعم لقد استطاع إخوان الصفا أن يفرضوا أنفسهم على الدرس الصوتي اللغوي الحديث، فمن النتائج التي يمكن أن نسجلها لإخوان الصفا على الرغم من تقدم عهدهم ما يأتي:

(1) مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، الطبعة الأولى، 2010م، ص: 12.

(2) كمال بشر، علم الأصوات، ص: 241.

الصوتيات قضايا ودراسات

- يعتقد إخوان الصفا بأن الدماغ هو المسؤول عن عملية التواصل اللغوية بداية من إنتاج الصوت اللغوي إلى فهمه وإدراكه، وعلى الرغم من نتائج الدراسات الحديثة في الصوتيات عموماً في تحديد مسؤولية الشق الأيسر من الدماغ للإدراك اللغوي بفضل التقنية العالية والأجهزة المتطورة، لذلك فاعتبار الدماغ عموماً هو المسؤول عن إنتاج الأصوات وإدراكها قبل ألف سنة يعدّ إنجازاً علمياً يقدر لهم، على الرغم من أنّ بعض الدراسات الحديثة - مثل ما نجد عند جيرلوفي كتابه: "اللغة والدماغ" - تؤمن أنّ الدماغ جميعه مسؤول عن عملية إنتاج الكلام وإدراكه، وليس الشق الأيسر منه فقط.

- يرى إخوان الصفا بأنّ كلّ حاسة من حواس الإنسان الخمس تتصل بعضو من أعضاء الجسد، وهي منوطة بمهمة وهي إدراك نوع أو جنس واحد من المحسوسات، وإدراك هذه المحسوسات يتم عبر أوامر من الدماغ، وهي ترتبط وتنتهي بمقدم مركز القوة المتخيلة. وهذا ليس ببعيد عما يدور في الصوتيات الحديثة.

- قسم إخوان الصفا الدماغ إلى ثلاثة أقسام، مقدمة وسط ومؤخرة، ولكل جزء من هذه الأجزاء وظيفة، فالجزء الأمامي يتخيل، والأوسط يفكر، والمؤخر يحفظ ويخزن، وسمي كل مكان بحسب وظيفته، فالأول هو القوة المتخيلة، والثاني القوة المفكرة، والثالث القوة الحافظة، وعلى الرغم من الاختلاف البسيط في تقسيمات الدماغ ووظائفه الحديثة من حيث تكون الدماغ من شقين، كل شق يتكون من أربعة فصول، إلا أنّ هذه الرؤية تعد متقدمة جداً في ضوء اعتمادها على الحدس والتفكير والتجربة الشخصية دون الاستناد إلى التشريح الحديث بالتقنية المتقدمة جداً في العصر الراهن.

- الربط بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة في التواصل اللغوي، من خلال الحديث عن قوتين أخريين لم يحددوا مركزيهما في الدماغ، ولكنهما يساندانه في وظائفه وعمله التواصلية، وهما القوة الناطقة، والقوة الصانعة/ الكاتبة، حيث تتولى الأولى مهام القوة المفكرة بالتعبير وإصدار الكلام والأخرى بتسجيل اللغة وكتابتها. وهما في الدراسات الصوتية الحديثة يقعان في الفص الأمامي من الشق الأيسر من المخ.

- فرق إخوان الصفا بين نوعين من الحركات الإنسانية، وهي الحركات الإرادية والحركات غير الإرادية، واعتقدوا بأن الحركات المطلوبة لإنتاج الصوت اللغوي أو الكلام من تلك الإرادية. وحصرُوا الحركات غير الإرادية في مائة ونيف وعشرين حركة. وهذا يتفق تماما مع نتائج الدراسات الصوتية الحديثة.

- ربط إخوان الصفا بين وظيفة مركز الإدراك في الدماغ وسلامة الحواس الخمس من الآفات، وخصوصا حاسة السمع والبصر. فالعملية الكلامية تحتاج إلى توافق بين مراكز الإحساس والإدراك في الدماغ وبين الحاسة التي تنقل الذبذبات إلى تلك المراكز سواء أكانت السمعية أم البصرية.

- لدى إخوان الصفا نظرية في اكتساب المعرفة عموما واللغة خصوصا، إذ تلعب حاستا السمع والبصر والقلب الدور الأكبر في إدراك واكتساب المعارف عموما وأصوات اللغة وألفاظها خصوصا. لا عمل للحواس جميعها بدون القلب.

- إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا، تقديم: بطرس البستاني، طبعة، دار صادر، بيروت، 1969م.
- استيتة، سمير، اللسانيات، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، الأردن، 2005م.
- كمال، بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000م.
- بوعناني، مصطفى، في الصوتيات العربية والغربية، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، الطبعة الأولى، 2010م.
- حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة: الدار البيضاء، 1994م.
- الفارح، شحدة وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل: الأردن، الطبعة الرابعة، 2008م.
- العاني، سلمان، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، الطبعة الأولى، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1983م.
- عبد النور، جبور، إخوان الصفا، دار المعارف، مصر، 1961م.
- عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب الحديث، القاهرة، 1997م.
- قدور، أحمد محمد، مبادئ اللسانيات، دار الفكر: دمشق، ودار الفكر المعاصر: لبنان، الطبعة الأولى، 1996م.
- مهدي، محمد، إخوان الصفا وفلسفتهم الدينية. الطبعة العربية الحديثة، مصر: الطبعة الأولى، 2002م.

- النوري، محمد جواد، وحمد، علي خليل فصول في علم الأصوات. مطبعة النصر التجارية، نابلس، فلسطين، (د. ت).
- النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية. منشورات جامعة القدس المفتوحة، الأردن، 1997م.
- العصيلي، عبد العزيز، علم اللغة النفسي، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2006م.

أثر دراسة هنري فليش في الدرس الصوتي

العربي الحديث



مكتبة وملتقى علم الأصوات
phonetics-acoustics.blogspot.com

أثر دراسة هنري فليش في الدرس الصوتي العربي الحديث

كـ - الدكتورة: نصيرة غفافية

جامعة نصيرة غفافية، المركز الجامعي الشهيد سي الحواس بركة، بالة، الجزائر

مقدمة:

المجذب الاستشراق الفرنسي صوب الدرس الصوتي العربي إعجابا به وانبهارا بما يميزه من خصائص عبّر عنها رجال الاستشراق في رحلتهم البحثية في القضايا الصوتية العربية، وقد تنوعت جهود هؤلاء المستشرقين بين البحث في الدرس الصوتي العربي والكتابة عنه وبين الكتابة فيه. ومقال هنري فليش الذي بين أيدينا نموذج من بين هذه الجهود الاستشراقية، عكس في مضمونه رؤية مستشرق فرنسي للغة العربية، وخلاصة بحث معمق آتت ثمارها مترجمة في نتائج قد توصل إليها هنري فليش، واطلع عليها من بعده اللسانين العرب المحدثين فكان لهم فيها آراء.

مقال لهنري فليش⁽¹⁾ Henri Fleisch التفكير الصوتي عند العرب في

ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني⁽²⁾:

(1) ألأب فليش P. H. Fleisch، (المولود عام 1904م)، ولد في جونفل ونال الدكتوراه في الآداب من السوربون، وسمي أستاذا لفقه اللغات الشرقية، ولا سيما العربية، في معهد الآداب الشرقية ببيروت. وانتخب عضوا في عدة جمعيات علمية. من آثاره: دراسات وفيرة عن آثار رأس بيروت، الأفعال الممدودة ضمنا في اللغات السامية...، انظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1964م، ج1، ص: 1078-1079، ويحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ص: 800، وهنري فليش، العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية، 1983م، ص: 25-27.

(2) هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع3، 1968م، ص: 57.

قام صاحب المقال برصد الظواهر الصوتية التي وردت في كتب التراث العربي، ولأنه لا يوجد مؤلف خصص لمجال البحث الصوتي العربي خصيصاً -إلا كتاب بن سينا أسباب حدوث الحروف- فإن صاحب المقال قام بالبحث في هذه المؤلفات في دراسة صوتية من شأنها أن تبين اهتمام العرب بدراسة أصوات لغتهم، وقد بدأ مقاله باستنتاج عقد فيه مقارنة بين الدراسين لفقه اللغة الأوروبي والنحاة العرب القدامى ليرز الفارق بين كلا الطرفين في بداية البحث الصوتي لكليهما؛ فالدارسون لفقه اللغة الأوروبي بدءوا دراسة النحو بعلم الأصوات كي يحددوا الأصوات التي هي حوامل اللغة تحديداً تاماً، وهي الأصوات التي تؤدي بها اللغة المدروسة.

أما النحاة العرب الأقدمون فإنهم لم يعالجوا في مؤلفاتهم النحوية علم الأصوات لذاته، بل ليستطيعوا تفسير ظاهرة الإدغام. وانطلاقاً من الاستنتاج السابق، شرع فليش⁽¹⁾ في وضع بيليوغرافيا للمؤلفات العربية التي عالجت ظاهرة الإدغام بدءاً بسيبويه في الكتاب. غير أنه اختار مؤلف بن جني ليكون نموذجاً تُحدّد به معالم التفكير الصوتي العربي لأسباب عدة سنعرضها خلال مسارنا البحثي.

2- النحاة العرب الذين عالجوا ظاهرة الإدغام في مؤلفاتهم (2) :

- عالج سيبويه الإدغام في نهاية مؤلفه الكتاب⁽²⁾، وعلم الأصوات موجود في الفصل الأول من هذا القسم، وهو الفصل الذي يعد ذا أهمية رئيسة.

(1) هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 53-54.

(2) سيبويه (أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت 180هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1982م، ج 4، ص: 431-460.

الاصوتيات قضايا ودراسات
- أنهى الزمخشري أيضا كتابه "المفصل" (1) بالإدغام، وعلم الأصوات (2) في هذا القسم موجود في أوائله.

- وقد اتبع بن يعيش شارح نص المفصل (3) نفس النظام إتباعا دقيقا.
- كذلك ينتهي الجمل للزجاجي (4) بالإدغام مع ذكر الأفكار الصوتية في مستهل الحديث.

- أما بن الحاجب فقد قسم مؤلفه قسمين: الشافية والكافية وقد عالج الإدغام في الشافية (5).

- تبع رضي الدين الإسترابادي النظام نفسه في شرحه والإدغام موجود في شرح الشافية (6)، والأفكار الصوتية (7) موجودة في هذه المباحث.

(1) الزمخشري (أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري-ت538)، المفصل في علم العربية، دراسة وتحقيق: فخر صالح قدارة، دار عمار، الطبعة الأولى، 2004م، ص: 418-434.

(2) المرجع نفسه، ص: 418-422.

(3) ابن يعيش (موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصللي، ت634هـ)، شرح المفصل للزمخشري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م، ج5، ص: 512-559.

(4) الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، ت340هـ)، الجمل في النحو، حققه وقدم له: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، الأردن، الطبعة الأولى، 1984م، ص: 409-418.

(5) ابن الحاجب (جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر، ت646هـ)، الكافية والشافية، تحقيق صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، 2010م، ص: 95.

(6) رضي الدين الأسترابادي (رضي الدين محمد بن الحسن الأسترابادي، ت686هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، حققها وضبط غريبها وشرح مبهمها محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م، ج3، ص: 243-291.

(7) المرجع نفسه، ص: 250-254.

- أما بن سينا فقد خصص رسالة لعلم الأصوات هي أسباب حدوث الحروف⁽¹⁾ من عشرين صفحة.

3- حكم عام على الجهود الصوتية العربية (2) :

يصدر فليش حكما على هذه الجهود، ويرى أن هؤلاء المؤلفين السابق ذكرهم جميعا لا يعطون بحكم العادة مفاهيم علم الأصوات العام حول الأفكار الأساسية التي تتضمنها كلمات، مثل: حرف حروف المد... وغيرها. فهم إما أن يفترضوا وجود هذه المفاهيم، وإما أن يشيروا إلى موضوعها إشارة مقتضبة.

4- سبب اختياره "ابن جني" ليكون أنموذجا تحدد به معالم التفكير الصوتي العربي :

تبين لصاحب المقال أن النحاة الذين سبق وذكرهم قد اهتموا بدراسة الأصوات العربية ابتغاء تفسير ظاهرة الإدغام، إلا أنه وجد في كتاب "سر صناعة الإعراب" اهتماما مغايرا تماما لما ذهب إليه النحاة العرب؛ ذلك أن ابن جني لم يعالج ظاهرة الإدغام، كما أنه لم يتناول الأفكار الصوتية التي تقترن به، وإنما كان نظره صوب البحث في الموضوعات الخاصة بالبدال والحذف والأصل أو الزيادة، كما عالج قضايا صوتية متنوعة، وما جذب صاحب المقال أيضا ليتخذ من مؤلف بن جني مدونة تسمح له بأن يكتب عرضا يتجلى فيه تفكير العرب الصوتي في الجوانب التي تصورها. هو ما لم يكتف به صاحب الكتاب من إعطاء وصف للحروف العربية وحسب، وإنما قدم أفكارا اتخذها فليش معالم أساسية وأصولا لعلم الأصوات العام على الطريقة العربية.

(1) ابن سينا (أبي الحسن بن عبد الله بن سينا، ت 428هـ)، أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسان الطيان، يحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دون طبعة، 1982م.

(2) ينظر: هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 54.

5- النقاط الأساسية التي حُددت وفقها التفكير الصوتي العربي:

إن المدونة التي اختارها فليش كانت كتاب سر صناعة الإعراب لابن جني لأسباب كان قد ذكرها في بداية بحثه وقد ركز على نقاط رسم وفقها معالم البحث الصوتي، فعمل على تبيان المعنى العربي الحقيقي للمصطلحات التي مازالت مستعملة حتى اليوم، مثل: حروف المد- الحركة والإسكان؛ أي أن مجال دراسته جاء خاصا بالمصطلح والمعنى الخاصان بمجال الفكر الصوتي العربي.

وقد أشار في حديث مختصر بعدها، إلى موقفين شائكين، على حد تعبيره، يسعى وهو باحث علمي ألا يقع في إحداهما؛ أولهما: محاولة الازدراء بجهود القدماء، والآخر: محاولة الإطراء على جهودهم أما هو فيسعى جاهدا إلى أن يكون موضوعيا، آملا أن يصل إلى تحديد مكانة النحاة الأقدمين والكشف عن الجانب الصوتي في دراسته للغة العربية، التي تعد اللغة الوحيدة السامية التي عرفت علم الأصوات ودرسته.

6- أهم القضايا الصوتية التي عالجها النحاة العرب:

6-1- النظرية العامة لإحداث الحروف⁽¹⁾:

— مصطلح الحرف: بحث فليش عن المراد بمصطلح 'الحرف'، وبالضبط عند ابن جني. ويرى أنه يجب أولا أن يبحث في كيفية إحداث الحروف، حيث بدأ صاحب الكتاب بمسألة وجود (صوت) يطلق عليه (الصدى) الذي يصدر من (الصدر)، ومنه يستنتج جهل ابن جني لدور الحبال الصوتية، وليس هو لوحده، وإنما جميع النحاة العرب، إلا أنه يرى أن جهلهم هذا آنذاك بدور الحبال الصوتية لم يمنعهم من إدراك الأثر؛ فهم إذن لاحظوا (صوتا) كان

(1) ينظر: هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 58.

الصوتيات القسدية والصوتيات
يخرج من الصدر: وهو صوت الصدر وهذه معلومة ذكرها خليل إبراهيم
العطية⁽¹⁾ ويؤكد في سياقها ما ذكره قبله فليش موضحا وشارحا للنص
المتقول على لسان المشرق الفرنسي.

وبعدها بدأ شرح كيفية حدوث الصوت وتفصيلها وفق ما جاء عند ابن
جني، الذي قدم لنا وسيلة إدراك هذا الصوت الخاص بالحرف ويعبر عنه بالذوق،
فيصح أن ننطقه ساكنا دون حركة بعده؛ لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه
الصحيح، وذهب أحمد مختار عمر⁽²⁾ إلى الرأي ذاته؛ فالحرف الساكن له مخرج، فإذا
حرّك أفلتت الحركة وإزالته عن محله في حال سكونه، وقد استخلص هذه النتيجة
من مقال هنري فليش.

وتقدم همزة الوصل على الحرف مصحوبة بكسرة، لأنه لا يمكن البدء
بحرف ساكن - أما هذا الشرط الأخير فكان تصورا خاصا لابن جني والنحاة
القدماء، غير أنه تغير في الدراسات الحديثة التي أكدت إمكانية إحداث الصوت
مجردا من كل حركة قبله أو بعده حتى نستطيع معرفة خصائصه.

2-6 - عدد الحروف وترتيبها⁽³⁾:

ذكر هنا عدد حروف الهجاء وفقا لما ورد عند ابن جني وهي تسعة وعشرون
حرفا أصلية. وقد تبع صاحب الكتاب في ترتيبه لهذه الحروف ما جاء في كتاب
سيبويه وهي كالآتي: الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والقاف

(1) ينظر: خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ، بغداد، دون طبعة، 1983م،

ص: 42، هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 58.

(2) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة،
الطبعة السادسة، 1988م، ص: 101.

(3) ينظر: هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 59.

والكاف والجيم والشين والياء والضاد واللام والراء والنون والطاء والذال والتاء
والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو.

يبدى صاحب المقال تعليقا على ترتيب ابن جني لحروف الهجاء، وقد خصه
بحرف (الضاد) الذي يرى أنه من الأفضل لو وضعها ابن جني في الترتيب قبل
الجيم لا قبل (اللام)، على اعتبار أنها أكثر تراجعا؛ فهي تأتي عنده بعد مخرج
(الكاف)، في حين يضعها ابن جني قبل (اللام) مباشرة حتى يؤكد صفة الجانبية
فيها، اتخذ كل من المؤلف وصاحب المقال رأيا مخالفا باختلاف الأساس الذي تم
الحكم فيه على الترتيب، ونرى أن كليهما صحيح لأنهما يقدمان حكما منطقيا.

6-3- الحروف المعتلة الثلاثة⁽¹⁾:

وهذه الحروف هي (الألف، الواو، الياء) وتسمى حروف العلة ومقابلها
الحروف السليمة والصحيحة. فهذه الحروف الثلاثة يمكن أن نعدّها ذات وضع
خاص: فهي ساكنة ولا يمكن أن تكون إلّا مدا، إضافة إلى نوع مخرجها حيث لا
يتعرض إصدارها لأدنى انقطاع إلّا إذا أنهاها ناطقها. ويرى فليش أن الحرفين الواو
والياء لم يتصورهما العرب بصورتين: ياء ساكنة وياء متحركة، وواو ساكنة وواو
متحركة، وإنما تصورهما بصورة هذا الحرف الوحيد، فقد اشتمل الحرف
الإمكانيتين: المصوت وهو الكسرة أو الضمة والصامت وهو الياء أو الواو⁽²⁾.

ولكن اللساني العربي كمال بشر ينقل ما جاء في مقال فليش، ويصححه
وفق وجهة نظره، إذ يقول: "وكان الأولى أن يقول: الكسرة الطويلة أو الضمة

(1) ينظر: هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 60-64.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص: 64.

الطويلة إذ الياء والواو بوصفهما مصوتين حركتان طويلتان⁽¹⁾، ونحن نرجح كفة ما جاء ذكره عند كمال بشر؛ لأنه الصحيح من وجهة نظر علم الأصوات.

ويقدم بعد هذا العرض الخاص بالحروف المعتلة استنتاجا يؤكد فيه الدور الأساس الذي يقوم به المقطع في النظرية العامة لإنتاج الحروف عند ابن جني، والمقطع هنا قصد به استمرار إصدار صوت لغوي ما حتى ينتهي أي أن تصدر صوت لغوي فعندما نتوقف نكون بذلك شكلنا مقطعا.

يبرز فليش الجانب الذي لم يظهر إلى الوجود رغم إشارة ابن جني له عند وصفه لطريقة إحداث حروف المد: الألف والياء والواو، فيوضح لنا أن فيها عنصرا مصوتا حقيقيا غير أن فكرة المصوت التي كان يجب أن توضع مقابل فكرة أخرى هي فكرة الصامت لم تكن قد برزت، لذلك بقي الأمر في حدود التسمية العامة: الحرف.

وفي نقطة أخيرة ذكرها ابن جني التي وصفها فليش بالحالة الجديدة، وقد اكتنفها الغموض وهي الياء والواو المتحركة فهما لا يشتملان على مقطع، لذلك لم يكن العنصر الصامتي ظاهرا فيهما، وهنا تنبه فليش إلى أن ابن جني قد وجد نفسه أمام ظاهرة جديدة تولدت نتيجة عامل زاد من بروزها وهي "الحركة".

(1) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م، ص: 47.

يُرجح فليش أن مصطلح (الحركة) من خلق العرب وحدهم، لأنها تعبّر عن الفكرة الأولى التي بدأ فيها العرب يفكرون في لغتهم، كما جاء في نص أبي الأسود الدؤلي حين أمر كاتبه أن يلاحظ حركة فمه لينقط الحروف وهي بداية أولى للاهتمام بشكل الحرف، غير أنه لا يجد تعريفا خاصا بالحركة عند سيبويه مثلاً، ويبرر ذلك بقوله أن العرب اعتمدت الحركة لتعين على نطق الصوت الصامت. فاعضاء النطق على حدّ قوله لا يمكن أن تتحرك إلا بفضل هذا الصوت (الحركة) الذي يصاحبها، وهذا ما نقله عن سيبويه. وأطلق على الحركة المصوت القصير وقد ورد هذا عند اللساني العربي حسام سعيد النعيمي⁽³⁾، رغم الدور الهام والبارز الذي تقوم به الحركة إلا أن النحاة العرب لم يفردوا لها تعريفا خاصا بها وهذا نظرا لاعتبارهم أن الحركة أمرها مبني على الملاحظة فهي بسيطة يدركها الفرد بسهولة.

وبالمقابل يحتفي فليش بما جاء عند ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب، حيث لم يتبع المعنى التلقائي الأول للحركة على حدّ قوله والذي يعتبر الحركة أصوات ناقصة تقلق الحرف الذي تقترن به؛ أي الفتحة تجذبه نحو الألف والكسرة تجذبه نحو الياء والضممة تجذبه نحو الواو. وذكر صاحب المقال في هذا السياق: ونحن نعلم أن هذه الحركات ليست سوى تكيف في مخرج الصامت مع المصوت التالي له

(1) ينظر: هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 65.

(2) المصدر نفسه، ص: 65-66.

(3) حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الرشيد، العراق، دون طبعة،

والذي سوف ينطلق معه⁽¹⁾. وقد استوقف هذا القول اللساني العربي حسام سعيد النعيمي؛ لأنه لم يستطع على حدّ تعبيره أن يدرك ماذا أراد فليش بهذه العبارة على وجه الدقة، مما دعاه إلى افتراض احتمالات يرجح أحدها في النهاية على اعتبار أن قائلها على دراية بعلم الأصوات، إذ يقول: أيمكن أن يريد بكلمة سوف ينطلق معه وحدة الانطلاق فيكون رآيه أن الحركة تحدث مع الحرف، أم أننا نحمل كلامه على أنه أراد أن الصائت ينطلق بصحبة الصامت الذي قبله؟ أحسب أن الرأي الثاني أجمل برجل درس علم الصوت المعاصر، كما أنه لم يحاول أن ينقض كلام بن جني في ترجيح القول بأن الحركة بعد الحرف⁽²⁾. وفيما يلي ذكر لما ورد عند بن جني في الحركات:

6-4-2- الحركات وأصلها⁽³⁾:

6-4-2-1- هيكل النظرية⁽⁴⁾:

يذكر فليش كيف تميّز بن جني عن غيره من النحاة العرب في تحديد ماهية الحركة وأصلها ودورها في السلسلة الكلامية فالحركات بالنسبة له أبعاد حروف المد واللين التي هي الألف والياء والواو، والحركات بدورها ثلاثة وهي الفتحة والكسرة والضمة، ويضيف بن جني إلى ما قاله هذا النص وقد كان متقدّم النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة⁽⁵⁾، وما لم يستسغه اللساني

(1) حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص: 335.

(2) هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 66-78.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص: 335.

(4) ينظر: المصدر نفسه، ص: 66-70.

(5) ابن جني (أبو الفتح عثمان بن عبد الله بن جني، ت 392هـ) سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، دون طبعة، 2001م، ص: 19.

العربي أحمد مختار عمر هو فكرة البعضية التي ذكرها بن جني، لأنه اعتبرها غامضة موافقا في هذا المستشرق الفرنسي فليش الذي نبهه إن صح التعبير بعبارة كان قد ذكرها معلقا على ما جاء عند بن جني لم يقل لنا ما إذا كان الفرق بين حرف المد والحركة معتبرا بالثلث أو النصف أو بأي كسر آخر⁽¹⁾.

ولكن فليش يراه نصا عاما يدلنا على نقص جوهري في (الحركات)، فهي جزء من شيء آخر فالشيء الذي تشكل الحركة جزءا منه هو سابق عليها ويمثل الحرف التام الكامل، ويميز بينها وبين سابقها بأن يكون الحرف صحيحا.

يبدو أن فليش يجهل أن القراء حددوا قيمة الحركة ونسبتها إلى حرف اللين، فهي نصفه في المد الطبيعي وربعه في المتوسط وسدسه في الطويل، ومقداره الزمني أن تفتح أصبعك المنعقد أو تعقده إذا كان منبسطا، والمد الطبيعي قدر حديثا بالثانية. فقد وجدنا محاولتين لا نظن أنه يوجد محاولة أقدم منهما في هذا الشأن، إذ ورد عند طاش كبري زاده بأنه: "يعرف مقدار المدات إما بقولك مرة أو مرتين إلى غير ذلك، أو تعدّ عددا أو تمد صوتك بقدر ذلك، أو تعقد الأصابع وتمد بقدر ذلك لكن هذا كله تقريب ولا يضبطه إلا المشافهة من لفظ المشايخ والسّماع من فم الأستاذ الراسخ ثم الإدمان على ذلك"⁽²⁾.

أما المحاولة الثانية فجاء بها مُلاً علي القاري إذ يرى أن معرفة مقدار المدات المقدرة بالألفات فإن تقول مرة أو مرتين أو زيادة وتمد صوتك بقدر قولك: ألف

(1) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص: 118. وهنري

فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 60.

(2) طاش كبري زاده (عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل، ت 968هـ)، شرح المقدمة الجزرية، تحقيق محمد سيدي محمد محمد الأمين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية،

دون طبعة، 1421هـ، ص: 218/219.

ألف، أو كتابتهما، أو مقدار عقد أصابعك في امتداد صوتها، وهذا كله تقريب أو تحديد للشأن؛ إذ لا يضبطه إلا المشافهة والإدمان⁽¹⁾.

أما الحركات فهي أصوات ناقصة ونقصها هذا يدل على عدم تحقيقها لذاتها دون وجود الحرف فوجودها منعدم بدونه والعكس بالعكس، وما فسره بن جني عن موضع الحركة من الحرف فقد استدل به اللساني العربي حسام سعيد النعيمي⁽²⁾ برجوعه إلى البحث الذي قام به فليش.

ويفرق فليش بين نوعين أو حالتين تحقق فيهما الحركة صفة التبعية للحرف، فإذا جاءت الحركة كما ذكر في النص المنقول آخره، فإنها تعد تبعية بالنسبة للحرف الذي استقيت منه، وهناك نوع آخر أو حالة أخرى تكون تبعية بالنسبة للحرف الحامل لها، وقد عبّر فليش عن التشابه الحاصل بين الحركة والحرف الذي استقيت منه أو الحامل لها؛ فالحركة لها المعدن ذاته الذي يتشكل منه الحرف. وهذا التماثل على حدّ قول فليش هو ما تصوره بن جني، قد أكد برهانه هذا بظاهرة الإشباع التي استقى منها أصلاً هذه الفكرة، ويخرج فليش بنتيجة مستقاة من خاصية التماثل هي: أنّ الحركة لا تمتلك سمات مفهومة واضحة بإمكاننا أن نُميّزها من هذا الشيء الآخر، ليتأكد عنده أنه من المحال أن تصبح الحركة مستقلة بذاتها وقد أشار إلى أنّ هذه النتيجة كان قد أخذها من منطق الإثبات لدى بن جني والذي لم يستنتج بنفسه وإنما أخذه عن الخليل.

(1) ملأ علي القاري، المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، تحقيق: أسامة عطايا ومراجعة: أحمد شكري، دار العوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، الطبعة الثانية، 2012م، ص: 233.

(2) ينظر: حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص: 333. وهنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 81.

يستنتج فليش أيضا من التماثل ويشير إلى إقرار مصطلحاته فيقول: وأنا نستطيع القول نتيجة هذا التماثل، وحين نقر مصطلحاتنا، وهو يُقر أن مصطلح التماثل من اختراعه ليواصل ما أمكنه الوصول إليه بفعل هذه الحالة أو الظاهرة أن خاصية التصويت تشترك فيها حروف المد والحركات أيضا.

6-4-2-2- الجانِب الكمي في علاقة الحركات (1):

يوجه فليش اهتمامه إلى ما ذكره بن جني عن علاقة الحركات بقوله: الحركات أبعاض حروف المد...⁽²⁾ فما بدى لصاحب المقال هو أن بن جني قد حدد الكم الخاص بهذه العلاقة بقوله أبعاض أي أنها جزء منه، ف: بن جني في نظره كان مدركا للجانِب الكمي في علاقة الحركات بما هو من جنسها من حروف المد، ولكنه لم يتعمق في شرح أو توضيح التصور الكمي لهذه العلاقة وإنما يخرج فليش بنتيجة مفادها أن حروف المد في الخط العربي لا يصح أن تسبق بحركة مثل: ضَارِب-رَحِيم وإنما نضع فوقها سكونا ويقرُّ بأن فكرة السكون فوق حروف المد من منطق النظام العربي، مثل: ضَارِب وتلك في الواقع إرادة الخط العربي أن يكون دائما كاملا.

7- ما وافق ابن جني فيه القدماء:

ذكر فليش في غير مقام واحد أن ما جاء به بن جني من أفكار قد اتخذ وجهة غير التي سبق ونهجها النحاة العرب ولكنه يوافقهم هنا في تسميتهم للفتحة بالألف الصغيرة وللكسرة بالياء الصغيرة وللضمة بالواو الصغيرة وقد عبّر عن هذا في قوله الحركات أبعاض حروف المد واللين...

(1) بنظر: هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 72.

(2) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص: 1359.

علّق فليش على النص الذي جاء على لسان ابن جني في سر صناعة الإعراب الحركات أبعاض حروف المد واللين. فرغم ذكر صاحب النص لحروف المد واللين إلا أنه لم يتعرض لفكرة المصوت الطويل والمصوت القصير.

8- تصور ابن جني للمقطع⁽¹⁾

بعد أن شرح فليش رتبة الحركة وحرف المد وأيهما أسبق وخروجه بنتيجة مفادها أن ابن جني جعل الحركة في المرتبة الأولى، يطرح إشكال يذكر أن له علاقة بالقضية التي طرحت قبله عن مكان الحركة ومرتبته، وهي ما ستسمح له على حدّ قوله بالبحث في مسألة طال حولها الجدل وهي: هل كان التصور العربي الذي يمثله بن جني مقطعيًا أو هو في الواقع هجائي؟

ويخرج بحكم أولي قبل أن يقدم أدلة له وهو أن العرب لم يتحدثوا عن المقطع لكنه يتضح له أنهم تصوروا العلاقات بين العناصر التي تكون المقطع التي بحث فيها العرب وعن العلاقات التي تربط كل عنصر ببقية العناصر هي حرف المد والحركة والحرف الصحيح، وهي عناصر بارزة وتؤدي دورا هاما في اللغة العربية؛ أي أن المقطع أو البحث في المقطع عند العرب لم يطرح بشكل مباشر ولم يذكر هذا المصطلح وإنما بحث ضمنيا في العناصر المكونة له أي مما يتكون المقطع في اللغة العربية والعلاقات التي تربط عناصره، وحتى يوضح أكثر قدم أمثلة عن نوع هذه العلاقات التي بحث فيها وكيف شكلت دون قصد للبحث في المقطع شروطا توجب صحة المقطع ومنها:

1- لا يأتي حرف المد من حيث كان بالضرورة ساكنا، إلا بعد حرف آخر حرف صحيح تال له مباشرة، إذا ما كان نتيجة مطل للحركة التي يتحملها

(1) ينظر: هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 83.

هذا الحرف الصحيح، وهو تال له بصورة غير مباشرة إذا كان متعارضاً مع حركة الحرف الصحيح، فحرف المد هو إذن بالضرورة مرتبط بالحرف الصحيح ولا يمكن أن يتصور بدونه.

2- لا تقوم الحركة بذاتها، فهي بحاجة إلى حرف حامل وارتباطها الضروري بالحرف أمر لازم مفروغ منه.

يستنتج فليش أن تصور العرب لحرف المد والحركة جاء في صورة مقطعية، أما الحروف الصحيحة فقد توجد دون حركة أي أنها تكون ساكنة ولكنها تسبق بحرف يحمل حركة أي متحرك.

9- النتائج التي خرج بها فليش من بحثه:

أوجز فليش التفكير الصوتي العربي الذي قدمه بن جني، وحدد موقعه من التفكير الحديث في هذه النقاط:

- 1- رأى أن الوحدات الصوتية بالمعنى الدقيق للكلمة ليست سوى مجموعة واحدة هي الحروف، فأحرف الهجاء العربية لا تحتوي سوى هذه الحروف.
- 2- وجد فليش ثلاثة أحرف أقصيت لأنها ساكنة بطبيعتها، وهي الحروف المعتلة الضعيفة: الألف التي لا تكون سوى حرف مد، والياء حين تكون حرف مد والواو، وبقية الحروف هن الحروف الصحيحة القوية التي تتحمل إحدى الحركات الثلاث.
- 3- قد تقع الياء والواو متحركتين وتبقى كلتاها بحسب أصلها حرفاً معتلاً، غير أنها تتقوى بالحركة فتشبه الحروف الصحيحة وتأخذ حكمها.
- 4- يقصد بحروف المد عنصراً مصوئاً حقيقياً، غير أن ما عولج منها ليس هو الطول الكمي، وإنما كيفية إحداثها واستمرار هذا الإحداث.

5- تعد الحركة في جوهرها ناقصة، فهي لا تقوم بنفسها وهي بحاجة لكي توجد إلى حامل هو الحرف.

6- لم تكتمل فكرة الصوامت والمصوتات الطويلة في الدرس الصوتي العربي القديم.

8- لقد استطاع البحث الصوتي العربي القديم أن يفهم، تحت اسم الحرف نطق الصوامت ونطق الأصوات المصوتة الحقيقي. فلم تحدّد فكرة الصامت، على حين حدّدت هذه الأصوات المصوتة بالرجوع إلى الحرف، تحت اسم حرف المد.

9- يمثل حرف المد صوتا مصوتا مستطيلا، غير أنّ مدة هذه الاستطالة لم تقس، إذ لم يصل البحث الصوتي القديم إلى تصور جانبها الكمي. غير أنّ فليش لو عاد لكتب التجويد لخرج بنتيجة عكسية تبرز كيف حدّد العلماء العرب الجانب الكمي للحركة.

10- إنّ فكرة الحركة لدى القدماء بعيدة كل البعد عن تفكيرنا الحديث، فالحركة نوع من العرض الذي يطرأ على الحرف (الصامت)، فهي لا يمكن أن تستغني عن الحرف، والحرف من جانبه يحتاج أيضا إلى حركة سواء أكانت بعده أم قبله، وليس من الممكن أن نتصور هذا الحرف مجردا تجريدا كليا من الحركة قبله أو بعده.

11- بالرغم من أنّ العرب قد أدركوا مفهوم المقطع وبالرغم من أنهم درسوا الحرف والحركة في إطار المقطع، فإنهم لم يضعوا مصطلحا خاصا لهذا المفهوم.

12- ركب التفكير الصوتي العربي من وجهة نظر واحدة هي فكرة الحرف.

13- لم يستطع النحاة العرب أن يدركوا أية فكرة عن الاستقلال الوظيفي للمصوت في السلسلة المنطوقة، إذ لم يتم ملاحظة المصوت الذي يكون بذاته مقطعا لأنه غير موجود في اللغة الفرنسية.

10- أثر دراسة هنري فليش في الدرس الصوتي العربي الحديث:

عبر إطلاع بعض اللسانيين العرب المحدثين على مقال هنري فليش عن وجود أثر له في الدرس الصوتي العربي الحديث، وأين كان نوع هذا الأثر فإنه قد وجه بشكل أو بآخر الرؤية الصوتية العربية الحديثة نحو وجهته الخاصة أحيانا، وفتحت أفكاره بابا للنقاش في أوساط اللسانيين العرب أحيانا أخرى.

وقد نبه هذا الجهد الاستشراقي اللسانيين العرب المحدثين لمسائل صوتية كان قد طرحها أسلافهم من قبل، ليكون جهده بمثابة دعوة منه إليهم إلى إعادة قراءة تراثهم الصوتي. وسنعرض هنا صورا لأثر دراسة هنري فليش في الدرس الصوتي العربي الحديث على اختلافها، وهي كالآتي:

1- المادة العلمية:

مثلت النتائج التي توصل إليها هنري فليش في مقاله مادة جاهزة عند بعض اللسانيين العرب، فبنوا عليها آراءهم، وقد مثل هذا الاتجاه أحمد مختار عمر حين أخذ بما قاله فليش عن كيفية حدوث الصوت اللغوي، بالرغم من أن المستشرق الفرنسي قد استنتج ذلك من كتاب بن جني سر صناعة الإعراب، حيث يقول: "وأذكر أيضا ما كان من الحروف في حال سكونه له مخرج فإذا حرك أفلقتة الحركة وأزالته عن محله في حال سكونه"⁽¹⁾.

(1) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص: 101. نقل هذا النص من مقال هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص:

وغير بعيد عن النتائج التي توصل إليها فليش في مقاله، نجد البصمة الاستشراقية قد ارتسمت في كتاب خليل إبراهيم العطية في حديثه عن جهل النحاة العرب القدامى باللوترين الصوتيين، حيث يقول: "والحق أنَّ العلماء العرب مع ما بدا من جهلهم للوترين الصوتيين ودورهما المعروف في تحديد صفتي الجهر والهمس، لم يكونوا على جهل بأهم ظاهرة في الصوت المجهور، وهي صفة (التمكن والقوة) التي تتأثر من (توترهما) عند التقائهما، واستشعارهم هذا دليل واضح على معرفتهم بالظاهرة"⁽¹⁾ ونصه هذا كان عبارة عن نقل وشرح لنص جاء على لسان المستشرق الفرنسي فليش، وقد أضاف بعدها نصا حرفيا له ليؤكد أنه على وفاق معه، وهو: "جهلهم بالسبب لا يستتبع مطلقا أنهم لم يستطيعوا إدراك الأثر"⁽²⁾.

فتحت المادة العلمية التي وردت في مقال فليش مجالا للنقاش عند بعض اللسانيين العرب، وقد فسر ذلك اطلاعهم على هذا الجهد مهما كانت أسبابه. وهذه صورة أخرى من صور الأثر الاستشراقي الفرنسي في الدرس الصوتي العربي الحديث التي لا يتم فيها نقل النصوص حرفيا والتسليم بالنتائج والآراء الاستشراقية، وإنما هي صورة تبرز فيها محاولة اللساني العربي قراءة أفكار هنري فليش، وقد وجدنا هذا النموذج حاضرا عند اللساني العربي حسام سعيد النعيمي، حين نقل نص فليش الذي يقول فيه: "ونحن نعلم أنَّ هذه الحركات ليست سوى تكيف في المخرج الصامت مع المصوت التالي له والذي سوف ينطلق معه"⁽³⁾. ولم يستطع حسام سعيد النعيمي على حدّ تعبيره أن يدرك ماذا أراد فليش بهذه العبارة

(1) خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، ص: 42. هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 58.

(2) هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 58.

(3) المصدر نفسه، ص: 66.

على وجه التحديد، مما جعله يقترح احتمالان يرجح أحدهما في النهاية، إذ يقول: ¹
يمكن أن يريد بكلمة سوف ينطلق معه وحدة الانطلاق فيكون رأيه أن الحركة
تحدث مع الحرف، أم أن كلامه على أنه أراد أن الصائت ينطلق بصحبة الصامت
الذي قبله؟ أحسب أن الرأي الثاني أجمل برجل درس علم الصوت المعاصر، كما
أنه لم يحاول أن ينقض كلام بن جني في ترجيح القول بأن الحركة بعد الحرف ².

إن اطلاع اللسانيين العرب المحدثين على مقال فليش لم يكن دائما لدعم ما
ذهب إليه من آراء، وإنما دقق بعضهم فيما ذكره فليش بل وأعاد البحث فيه حتى
خرج بنتيجة مغايرة لما توصل إليه فليش، فصحح ما أخطأ فيه المستشرق الفرنسي،
وقد مثل هذا الموقف كمال بشر عند حديثه عن الحروف المعتلة، حيث وجد فليش
بذهب إلى أن الحرفان الواو والياء لم يتصورهما العرب بصورتين: ياء ساكنة وياء
منحركة، وواو ساكنة وواو متحركة وإنما تصورهما بصورة هذا الحرف الوحيد،
فقد اشتمل الحرف الإمكانيتين: المصوت وهو الكسرة أو الضمة والصامت وهو
الياء أو الواو ⁽²⁾.

وقد نقل كمال بشر نص فليش فصاحه وفق وجهة نظره إذ يقول: وكان
الأولى أن يقول: الكسرة الطويلة أو الضمة الطويلة إذ الياء والواو بوصفهما
مصوتين حركتان طويلتان ⁽³⁾.

2- الموضوع:

عالج فليش في مقاله كما سبق ورأينا مواضيع صوتية عدة كان قد طرحها
بن جني في كتابه سر صناعة الإعراب، وقد وجدنا أن أثر مقال هنري فليش لم

(1) حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص: 335.
(2) ينظر: هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 64.
(3) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص: 47.

يقتصر فقط على المادة العلمية، بل شمل أيضا المواضيع التي طرحها وناقشها فيه، فأعاد بذلك اللسانين العرب إلى قراءة تراثهم الصوتي حتى يجدوا فيه إجابات لتساؤلاتهم الصوتية.

فموضوع تحديد ماهية الحركات وأصلها عند بن جني ورأي فليش فيما جاء به بن جني، نقله أحمد مختار عمر فلم يكتف بالاهتمام بالموضوع الذي أثاره فليش بل ذهب إلى الرأي ذاته، فقد عدَّ بن جني الحركات أبعاض حروف المد واللين التي هي الألف والياء والواو، ونَبَّه فليش لعبارة "أبعاض" التي ذكرها بن جني وعلّق على ذلك بقوله: "لم يقل لنا ما إذا كان الفرق بين حرف المد والحركة معتبرا بالثلث أو النصف أو بأي كسر آخر"⁽¹⁾. وقد نقل أحمد مختار عمر نص فليش بعد أن تنبّه إلى فكرة البعضية التي طرحها بن جني معتبرا إياها غامضة لم يوضحها صاحب النص⁽²⁾.

اهتم أحمد مختار عمر بالموضوع الذي عالج فليش في مقاله، ومنه يمكن أن نعدّ هذا الموقف أثرا استشراقيا خاصا بالموضوع.

(1) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص: 60.

(2) ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص: 118.

حقق مقال هنري فليش نتائج خلص إليها في نهاية بحثه، أجملها في فكرة مفادها أن التفكير الصوتي العربي القديم كان قائما على أساس الحرف المفرد، ولم يُعبر أي اهتمام للمقطع بالرغم من إدراكه لمفهومه.

أما عن أثره في الدرس اللساني العربي الحديث، فإننا نجد بعض اللسانيين العرب قد اطلعوا على هذا الجهد الاستشراقي واعتمدوه مرجعا في مؤلفاتهم ولسنا نبالغ إذا قلنا إن هنري فليش قد حدّد مسار البحث الصوتي العربي الحديث حين اهتم بدراسة ما كتب ابن جني في الصوتيات العربية، ليبين أن الرجل له اجتهادات من شأنها أن تضيف الكثير للتفكير الصوتي العربي، ليأتي هؤلاء اللسانيين العرب بعد فليش أو بالأحرى بعد تسليط المستشرق الفرنسي الضوء على هذا الجانب والشخصية في حدّ ذاتها، ليألفوا كتباً تخصص للبحث فيما كتب ابن جني في اللهجات والبحث الصوتي أو تخصص للبحث الصوتي عامة. وفي كلتا الحالتين نجد جهود ابن جني حاضرة بالرجوع إلى ما كتب مباشرة والعودة أيضا إلى مقال هنري فليش. ويتنوع حضور هذا المرجع الاستشراقي في مؤلفاتهم بين مؤيد لما ذكره صاحب المقال أو الإحالة إلى معلومة كان فليش السباق في الوصول إليها. وقد يستوقف ما ورد عند فليش اللسانيين العرب ليفتح أمامهم باب الاجتهاد في محاولة منهم للوصول إلى المقصد. ومنه يمكن أن نعتبر أن هنري فليش يملك بصمة في الدرس الصوتي العربي الحديث.

- ابن الحاجب (جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر، ت 646هـ)، الكافية والشافية، تحقيق صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، 2010م.
- ابن جني (أبو الفتح عثمان بن عبد الله بن جني، ت 392هـ) سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، د ط، 2001م.
- ابن سينا (أبي الحسن بن عبد الله بن سينا، ت 428هـ)، أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسان الطيان، يحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دون طبعة، 1982م.
- ابن يعيش (موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، ت 634هـ)، شرح المفصل للزمخشري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م، ج 5.
- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة السادسة، 1988م.
- الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، ت 340هـ)، الجمل في النحو، حققه وقدم له علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، الأردن، الطبعة الأولى، 1984م.
- حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الرشيد، العراق، دون طبعة، 1980م.

- خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ، بغداد،

دون طبعة، 1983م.

- رضي الدين الاستربادي (رضي الدين محمد بن الحسن الاستربادي

ت686هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، حققها وضبط غريبها وشرح

مبهمها: محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م،

ج3.

- طاش كبري زاده (عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل ت968هـ)، شرح

المقدمة الجزرية، تحقيق محمد سيدي محمد محمد الأمين، مجمع الملك فهد

لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، دون طبعة، 1421هـ.

- كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،

القاهرة، 1998م.

- ملأ علي القاري، المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، تحقيق أسامة عطايا

ومراجعة أحمد شكري، دار العوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، الطبعة

الثانية، 2012م.

- هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب

لابن جني. تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية،

القاهرة، ع 03، 1968م.

التماثل والتخالف الصوتي

في اللغة العربية



التمائل والتخالف الصوتي في اللغة العربية.

كـ- الأستاذة الدكتورة: ليلى م. بعل

جامعة محمد خيضر (سكرة) - الجزائر.

تمهيد:

نميل في حياتنا العملية إلى مبدأ السهولة والتيسير للوصول إلى مقاصدنا الغرضية سعياً وراء تحقيق أفضل النتائج، فجاءت هذه الدراسة لتوضح تجليات ظاهرتي التماثل والتخالف الصوتي في اللغة العربية ودورهما في تحقيق سهولة النطق واقتصاد الجهد. لهذا نلاحظ أن الكثير من الممارسات اللغوية تتجه إلى تحقيق الحدود العليا من الأثر عن طريق اختزال بعض الجهود المبذولة.

فلقد اعتنى العرب باللغة العربية منذ فجر الإسلام، وكان الباعث الأول على هذا الاهتمام الذي يعد منقطع النظير هو الحفاظ على القرآن الكريم من اللحن والتحريف. وعلى الرغم من صفاء سليقتهم العربية وبعدهم عن اللحن، إلا أنه بعد أن انتشر الإسلام في بلاد كثيرة مجاورة لجزيرة العرب، حيث اختلط الدعاة العرب بغيرهم ممن دخل في الإسلام وتعلم مع الدين لغته، سمع بعض مظاهر اللحن في القرآن، مما دعا أولئك الغيورين إلى المسارعة إلى وضع السياج والحيلولة بين القرآن وهذه المظاهر، فاهتموا باللغة مبتدئين بالنحو منها. وليس المقام مقام وضع علم النحو، ولكن المهم قوله هو أن النشأة كانت لغاية دينية من قراء القرآن الكريم كأبي الأسود الدؤلي ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز ويحيى بن يعمر وعنبسة بن معدان وعبد الله بن أبي إسحاق وأبو عمر وابن العلاء

وعيسى بن عمر ويونس بن حبيب، حتى انتهت السلسلة إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي الواضع الحقيقي لأكثر من علم من علوم اللغة (1).

ومن المعلوم أن اللغة تتألف من عناصر صوتية متنوعة، ومن المعلوم أيضا أن الموسيقى تصدر عن أصوات ذات نغمات متنوعة. وبهذا فإن اللغة تشترك مع الموسيقى في الوحدات الجزئية المكونة لكل منهما، وهذه الوحدات المشتركة هي الأصوات، لذلك يمكننا القول إن كل لغة تحمل صفة تنغيمية أو موسيقية خاصة بها، وربما تتفوق لغة من اللغات في هذه الصفة التنغيمية، كما هو الحال في اللغة العربية عندما تنتظم كلماتها بطريقة خاصة يقصد منها التأثير في السامعين وليس الإفهام فحسب.

فيذهب كثير من المعنيين بالبحث اللغوي إلى أن الجانب المنطوق في اللغة يمتلك القدرة على ممارسة حرية الحركة الانسيابية أكثر مما عليه جانبها المكتوب، فضلا عن طبيعة اللغة في تركيبها الصوتي وبنيتها التي تمر بمسارب سياقية واسعة، لا تظهر في سلسلة الجوانب المكتوبة فيها. ولعلّ مردّ ذلك أن اللغة بطبيعة أصواتها المنطوقة تخضع لكثير من النمو والانتساع.

فحين ينطق المرء بلغته نطقا طبيعيا لا تكلف فيه، نلاحظ أن أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في البعض الآخر، كما نلاحظ أن اتصال الكلمات في النطق المتواصل قد يخضع أيضا لهذا التأثير. على أن نسبة التأثير تختلف من صوت إلى آخر فمن الأصوات ما هو سريع التأثير يندمج في غيره أكثر مما قد يطرأ على سواه من

(1) ينظر: عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، دروس النظام الصوتي للغة العربية، 1428هـ، ص: 2.

الأصوات. ومجاورة الأصوات بعضها لبعض في الكلام المتصل هي السرّ فيما قد يصيب بعض الأصوات من تأثر⁽¹⁾.

والدراسة الصوتية تبحث في النطق البشري من زاويتين مختلفتين في أساس التركيز، ولكن إحداهما تعد أساساً للأخرى أو مقدمة لها، والزائتان هما⁽²⁾:

1- دراسة الأصوات مفردة دون النظر إلى موقعها ووظيفتها في الكلام، وتبدأ عادة بالحديث عن أعضاء النطق عند الإنسان، ثم بيان من أين تخرج الأصوات اللغوية، وكيف تخرج. وبعبارة أخرى هي وصف للحركات العضوية التي يقوم بها الجهاز الصوتي أثناء النطق، وكذلك الآثار السمعية المعاقبة لهذه الحركات. وتذكر تلك بالملاحظة الذاتية أو الخارجية -وهكذا أدركها متقدمو العرب- وقد تستعمل الأجهزة والآلات لمزيد من الدقة في إدراك ذلك في معامل الأصوات اللغوية.

وهذه الدراسة تعم اللغات في غالبها، ولا تخص في مجملها لغة معينة ويحلو للبعض تسميتها بـ"علم الأصوات".

2- دراسة للظواهر الصوتية: وهي دراسة لما يحدث للأصوات من أثر بسبب مجاورة بعضها لبعض في الكلام، ولكل لغة ظواهرها المناسبة لنظامها الصوتي، فهي دراسة للغة معينة ويحلو للبعض تسميتها بـ"علم الصوتيات" أو "وظائف الأصوات". وتعد دراسة الأصوات مقدمة لدراسة اللغة، وتعد دراسة النظام الصوتي للغة معينة مقدمة لدراسة النظام الصرفي لتلك اللغة.

(1) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر للطباعة، مصر، دون طبعة، دت، ص: 106.

(2) عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، دروس النظام الصوتي للغة العربية، ص: 3.

ومجال الدراسة في هاتين الزاويتين يتناول أقساماً منها⁽¹⁾:

- 1- علم الأصوات النطقي: ويبحث في جهاز النطق البشري ومن أين تخرج الأصوات وكيف تخرج، وما هو أثر بعضها على بعض عند المجاورة.
 - 2- علم الأصوات الوصفي: ويبحث في وصف أصوات لغة من اللغات في مرحلة من المراحل أو زمن من الأزمان.
 - 3- علم الأصوات السمعي: ويبحث في العملية السمعية وماهية إدراك الأصوات.
 - 4- علم الأصوات الفيزيائي: ويبحث في حركة الصوت وذذبته ودرجتها.
 - 5- علم الأصوات التجريبي أو الآلي: ويبحث في استخدام الأجهزة والآلات لرصد الصوت ودرجته ومخرجه.
 - 6- علم الأصوات التاريخي: ويبحث في تطور الصوت عبر الأزمان. وهذا العلم ليس له أهمية كبيرة في دراسة الأصوات العربية الفصحى؛ لأنها تتصف بالثبات، ولم يطرأ عليها تغير يذكر؛ وذلك بسبب حفظ القرآن وتلاوته لها، وهذا مصداق لقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: 9).
- ويعتبر علم الأصوات النطقي أقدم فروع علم الأصوات وأكثرها انتشاراً وأهمها، ولا سيما لدارسي اللغات الأجنبية ولعلميها. ولأنّ هذا الفرع يحقق أهم أهداف دراسة علم الأصوات وهي:
- 1- المساعدة على نطق الأصوات نطقاً صحيحاً.
 - 2- المساعدة في معرفة أسباب الظواهر الصوتية.

(1) عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، دروس النظام الصوتي للغة العربية، ص: 3.

فلقد كان للعرب القدامى جهود مشكورة في الدرس الصوتي، تنم عن فهم مبكر دقيق لطبيعة الصوت اللغوي، كما تدل على معرفة تامة بالجهاز النطقي وأعضائه، فقد عكفوا على دراسة القواعد والقوانين لتلك الأصوات وخصائصها وعلاقاتها مع بعضها، ويتضح هذا في تحديد مفهوم الصوت⁽¹⁾ فالصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها، دون أن ندرك كنهها، فقد أثبت علماء الصوت بتجارب لا يتطرق إليها الشك أن كل صوت يستلزم وجود جسم في حالة اهتزاز أو تذبذب⁽²⁾ وهذه الاهتزازات أو الذبذبات تنقل عبر وسط معين حتى تصل إلى أذن الإنسان، وقد تكون ناتجة عن اصطدام جسم بآخر أو سقوط جسم أو انفجار أو غير ذلك⁽³⁾.

وترتبط التغيرات الصوتية بالسياق الصوتي، وتحددها طبيعة الفونيمات المحيطة بالفونيم المتغير. وتظهر في صور عديدة منها ظاهرتي التماثل والتخالف الصوتي أو المماثلة والمخالفة الصوتية.

أولاً/ المماثلة الصوتية:

تتأثر الأصوات بعضها ببعض عند تجاوزها في السلسلة الكلامية، وتتنوع صور ذلك التأثير، إلا أن معظمها ينضوي تحت موضوع المماثلة، وهي أن ينحو صوتان متجاوران أو أكثر نحو التماثل أو التقارب في المخرج أو الصفات⁽⁴⁾.

(1) علاء محمد جبر، المدارس الصوتية عند العرب - النشأة والتطور -، دون طبعة، دت، ص: 3.

(2) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 9.

(3) علاء محمد جبر، المدارس الصوتية عند العرب - النشأة والتطور -، دار الكتب العلمية، بيروت، دون طبعة، دت، ص: 3.

(4) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، دون طبعة، 1976م، ص: 324.

والأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج ويمكن أن يسمّى هذا التأثير بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة. وهذه ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة، غير أن اللغات تختلف في نسبة التأثير وفي نوعه. واللغة العربية في تطورها إلى لهجات الكلمات الحديثة، مالت ميلا كبيرا إلى هذا التأثير، إذ نلاحظ في اللهجات الحديثة ظواهر مختلفة لتأثر أصوات الكلام بعضها ببعض في أثناء النطق. وقد تكون لهذا في هذه اللهجات قوانين خاصة بتأثر الأصوات ميلها إلى الانسجام مع ما يجاورها، مما أدى إلى تطور ببعض أصوات اللغة الفصيحة⁽¹⁾.

فلحرصهم على الأصوات الشديدة المجهورة التي تعرّضت للهمس في بعض اللهجات الكلامية، سموها أصوات القلقله وقلقلوها في نطقهم ليأمنوا بهذا من همسها. فالقلقله ليست في الحقيقة إلا مبالغة في الجهر بالصوت، لثلاث تشويه شائبة من همس كما شاع في لهجات الكلام، ولكن رغم هذا الحرص الشديد قد تطورت بعض أصوات القلقله، فأصبحت لا تسمع في قراءتنا الآن إلا مهموسة ومثل هذه القاف والطاء⁽²⁾.

وميل الأصوات نحو التماثل لا يحدث على نحو شامل ومطرد، فلو اتبع لهذا الاتجاه أن يعمل بحرية، فإنه سينتهي بالفروق بين الوحدات الصوتية إلى درجة الصفر، وهي فروق ضرورية للفهم، ومن ثم فإنّ اللغة غالبا ما تقاوم هذا التهديد بتثبيت الاختلافات الضرورية عن طريق الموازنة بين الميل إلى المماثلة وبين ضرورة

(1) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 107.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص: 107.

تحقيق الفهم. وهناك دائما تجاذب بين عامل الحد الأدنى من الجهد وعامل الحد الأعلى من التأثير⁽¹⁾.

وتتنوع صور التأثير بالأصوات تنوعا كبيرا، وتعددت أشكال المماثلة تبعا لذلك التنوع. وصنفها علماء الأصوات وفق اعتبارات متعددة، يمكن أن نلخصها في ما يأتي:

1/ بحسب اتجاه التأثير: إذا أثر الصوت الأول في الثاني كانت المماثلة مقبلة، ويسمى بعضها بعض الدارسين تقديمية، وإذا أثر الصوت الثاني في الأول كانت مدبرة وتسمى رجعية أيضا، فإن كان التأثير مشتركا بين الصوتين كانت متبادلة، وتسمى مزدوجة⁽²⁾.

والإبدال القياسي الذي يشير إليه النحاة دائما في صيغة أفعل حين تكون فاؤها دالا أو ذالا أو زايا أو أحد أصوات الإطباق يتضمن نوع التأثير الرجعي والتقدمي. فصياغة افعل من دعا، ذكر، زادهي في الأصل أدعى، اذكر، ازاد، فاجتمع في كل من هذه المثل صوتان متجاوران: الأول منهما مجهور والثاني مهموس، فتأثر الثاني بالأول وانقلب إلى صوت مجهور أيضا، ليجتمع صوتان مجهوران. ولأن التاء المهموسة حين يجهر بها تصير دالا أصبحت هذه المثل: أدعى، اذكر، ازاد.

وهذا تأثر تقدمي، لأن الثاني تأثر بالأول، على أنه قد أصاب الكلمتين الأخيرتين تطور آخر، إذ صارتا في بعض الأحيان (اذكر، ازاد) فائر الصوت الثاني في الأول ونطق بهما صوتا واحدا كالأول. وهذا التأثير تقدمي أيضا، غير أن الشائع

(1) ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 331.

(2) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 325.

الكثير الاستعمال في أذكر هو أذكر، أي أن الصوت الأول قد فنى في الصوت الثاني، وبذلك صار التأثير رجعياً⁽¹⁾.

وكذلك حين تكون فاء افتعل أحد أصوات الإطباق لمجد التأثير في معظم الأحيان تقديمياً، وقد يكون رجعياً أيضاً، فمثلاً حين نصوغ افتعل من ظلم لمجد الصيغة في الأصل أظلم. وقد اجتمع في هذا المثال صوتان متجاوران، الأول منهما مجهور مطبق، وقد أثر في الثاني فجعله مجهوراً مطبقاً مثله. فوجب إذن أن تصبح التاء ضاداً كالتى ننطق بها الآن. وهذه الضاد الحديثة هي التى سماها القدماء طاء، فلا غرابة أن روى لنا القدماء هذه الصيغة بعد تأثر أظلم، ولعلمهم كانوا ينطقون بها أظلم وهذا مثل آخر للتأثر التقديمي. ثم زاد هذا التأثير حتى فنى الصوت الثاني في الأول فصارت الكلمة أظلم، على أنه قد رويت الكلمة أظلم أيضاً، أي أن الصوت الأول فنى في الصوت الثاني وهو تأثر رجعي. ولعل النطق الأصلي لهذه الكلمة في وضعها الأخير كان في الحقيقة أضلم ومثل هذا يمكن أن يقال حين نصوغ افتعل من ضرب إذ تصير الكلمة أولاً أضرب فيؤثر الصوت الأول في الثاني، ليصبح مجهوراً مطبقاً، وبهذا يجتمع في الكلمة نوعان من الضاد: أولاهما هي الضاد القديمة والثانية هي الضاد الحديثة التى كان يكتبها القدماء طاء أي اضطرب. وقد يزداد تأثر الثاني بالأول فتصير الكلمة أضرب، وهو تأثير تقديمي، ولا يجوز غيره في هذه الصيغة أولاً أصتبر، وقد اجتمع في هذه الكلمة صوتان مهموسان، غير أن أحدهما مطبق والآخر مستقل، فقلبت التاء إلى نظيرها المطبق

(1) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 110.

وهو الطاء الحديثة، كما ننطق بها الآن، ومن أجل هذا صارت الكلمة "أصطبر" ثم زاد تاء الثاني بالأول فأصبحت الكلمة "أصبر" ولا يجوز فيها غير هذا (1).

2/ بحسب درجة التأثير: إذا انقلب الصوت إلى مثل الصوت الآخر كانت المماثلة كلية أو كاملة، وإذا تأثر الصوت بالصوت الآخر تأثرا لا يصل إلى صيرورته مثل الآخر كانت المماثلة جزئية أو ناقصة، وأمثلة ذلك في العربية كثيرة مثل إدغام النون الساكنة إذا كان بغير غنة. فالمماثلة كلية وذلك في نحو "من ربهم ومن لم يتب"، فإن كان الإدغام بغنة كانت المماثلة جزئية، وذلك نحو "من يقول ومن ولا" (2).

3/ بحسب الاتصال والانفصال: إذا كان الصوت المؤثر متصلا بالصوت الآخر كانت المماثلة متصلة أو تجاورية، وإذا كان منفصلا كانت المماثلة منفصلة أو تباعدية، والمماثلة المتصلة أمثلتها في العربية كثيرة ومتنوعة، لكن المنفصلة أمثلتها أقل، فمنها قلب السين صادًا بتأثير الطاء في مثل: سراط صراط، ومسيطر مصيطر (3).

ثانيا/ المخالفة الصوتية:

من التطورات التي تعرض أحيانا للأصوات اللغوية ما يمكن أن يسمى بالمخالفة.

(1) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 110/111.

(2) غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم الأصوات العربية، مكتبة وملتقى علم الأصوات، الطبعة الأولى، 2004م، ص: 207.

(3) ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 325.

فجاء في لسان العرب: الخلف: المضادة، وقد خالفه مخالفة وخلافا. وفي المثل إنما أنت خلاف الضبع الراكب أي تخالف خلاف الضبع، لأن الضبع إذا ران الراكب هربت⁽¹⁾.

يعني المصطلح حدوث اختلاف بين صوتين متماثلين في الكلمات المشتملة على التضعيف، وذلك بأن يتغير أحد الصوتين المضعفين إلى أحد أصوات المد: الألف والواو والياء أو أحد الأصوات الشبيهة بها، وهي الأصوات المتوسطة أو المائعة اللام والراء والنون والميم⁽²⁾.

والمخالفة تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين⁽³⁾. وهي عكس المماثلة، ولكنها تحدث بصورة أقل منها. وقد تحدث سيويه عن هذه المخالفة في باب يتصل بالإبدال عنده سماه باب ما شدة فأبدل مكان اللام الياء لكرهية التضعيف، وليس بمطرده⁽⁴⁾.

وهذا التطور هو أحد نتائج نظرية السهولة التي نادى بها كثير من المحدثين، والتي تشير إلى أن الإنسان في نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي، فيبدل مع الأيام بالأصوات الصعبة في لغته نظائرها السهلة. وقد

(1) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت 711هـ):، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج 1، ص: 886.

(2) ينظر: صبيح التميمي، دراسات لغوية في تراثنا القديم، صوت صرف نحو دلالة، دار مجدلاوي، عمان، الطبعة الأولى، 2003، ص: 176.

(3) عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 2000م، ص: 269.

(4) ينظر: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، دت، ص: 40.

اعترف القدماء بكراهية التضعيف، ولعلهم يريدون بهذا أنه يحتاج إلى مجهود عضلي⁽¹⁾.

فجمعت عشرات الأمثلة ورد فيها معتل العين أو اللام يشترك في المعنى مع مضعف من نفس المادة، وظهر أن الأصل في كل هذه الأمثلة هو التضعيف، ثم سهل مع تطور الزمن بالاستعاضة عن أحد الصوتين المدغمين بالياء أو الواو لخفتها، وفي بعض الأحيان استعويض عن الصوت بأحد أشباه أصوات اللين كاللام والنون، وإن كان هذا نادرا في اللغة العربية وهناك أمثلة لتأكيد ذلك⁽²⁾:

الطح: البسط طحا كسعى بسط

المح: صفرة البيض، والماح صفرة البيض

الجبّ والجوب: القطع

عس: طاف بالليل والعوس: الطوفان بالليل

قيراط: أصلها قرّاط ودينار أصلها دنار

قصيت أظفاري: قصصت

حنّ عليه: حنا عليه

فقد قلب أحد الصوتين المدغمين في كل هذه الأمثلة إلى صوت لين طويل. وهناك أمثلة يحتمل فيها أن أحد الصوتين المدغمين قد قلب إلى أحد أشباه أصوات اللين⁽³⁾:

(تحدّس) الأخبار أراد أن يعلمها من حيث لا يعلم به. (تحدّس الليل):

أظلم فعلاقة الخفاء في الفعلين واضحة

(1) رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعقله وقوانينه، ص: 140.

(2) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 140/141.

(3) المرجع نفسه، ص: 141.

الرس: دفن الميت والرمس: الدفن أيضا

العباس: الأسد والعنيس: الأسد أيضا

وقد فسرت المخالفة بأنه إذا كان هناك صوتان متماثلان تمام المائلة في كلمة، فإن أحدهم قد يتغير إلى صوت ثالث يغلب أن يكون من أصوات العلة أو من الأصوات المائعة، ولعل السر في ذلك أن الصوتين المتماثلين يتطلبان مجهودا عضليا زائدا عن الحاجة حين النطق بهما في الكلمة الواحدة، ومن أجل التقليل من هذا الجهد إلى الحد الأدنى، يخالف أحد الصوتين إلى مجموعة الأصوات التي سهلت في الكلام كأصوات اللين وأشباهها⁽¹⁾.

1- إن المخالفة بوصفها الوجه المقابل للمماثلة ومن الظواهر الصوتية الضاربة جذورها في أعماق العربية، اهتم بها اللغويون والنحاة العرب القدامى، وعلماء الأصوات المحدثون، فرصدوا مظاهرها وأوجهها المختلفة وعالجوها بتسميات مختلفة.

فلم تفت "سيويه" هذه الظاهرة، كما لم يفته غيرها، وعلل لها بكراهية التضعيف: "هذا باب ما شد فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف". وذلك في سياق حديثه عن إحلال الياء مكان أحد المتماثلين: "وذلك قولك: تسريت وتظنيت وتقصيت من القصة، وأملت، كما أن التاء في أسنت مبدلة من الياء، أرادوا حرفا أخف عليهم منها، وأجلد، كما فعلوا ذلك في "أتلج" وبدلها "شاذ" هنا بمنزلته في سبت، وكل هذا التضعيف فيه عربي كثير جيد"⁽²⁾.

ولقد فطن قدماء اللغويين العرب لهذه الظاهرة وكانوا يعبرون عنها أحيانا بكراهية التضعيف أو كراهية اجتماع الأمثال مكروه وغير ذلك. وهذه الظاهرة

(1) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 212.

(2) سيويه، الكتاب، ج 4، ص: 424.

شائعة وردت كثيرا في الاستعمال، إلا أنها لم تذكر ضمن البحوث الصوتية، ولم يصطلح على تسمية لها. ولذلك فقد رأينا الأخذ بهذا المصطلح لشيوعه أيضا في الدراسات العربية الحديثة⁽¹⁾.

ويمضي "سيبويه" في تكرار هذا المصطلح في موانع متفرقة من كتابه من ذلك حديثه عن إحلال السين محلّ أحد المتماثلين، يقول «وقل بعضهم، استخذ فلان أرضا يريد أنخذ أرضا كأنهم أبدلوا السين مكانها، كما أبدلت مكانها في سِتْ وإنما فعل هذا كراهية التضعيف». نستنتج من الأمثلة التي ساقها سيبويه أن الناطق صعب عليه التضعيف، فوجد في تحقيقه عسرا ومشقة على اللسان في الارتفاع والعودة إلى نفس النقطة في اللحظة ذاتها لتحقيق الصوت ذاته ثانية، فأبدله بأحد الأصوات المتوسطة⁽²⁾.

ولقد نشأت هذه الظاهرة بسبب الثقل الناشئ عن تجاوز صوتين من مخرج واحد، ولعلّ ذلك يبدو واضحا من خلال قول بن جني: «ومن ذلك استثقالهم المثليين حتى قلبوا أحدهما، ووصفه في موضع آخر بـ: (استثقال تكريره)، وصرح أيضا بعبارة التخفيف إذ قال: «فأما أمليت فلا إنكار لتخفيفه بإبداله»⁽³⁾.

(1) عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص: 270/269.

(2) جيلالي بن يشو، بحوث في اللسانيات الدرس الصوتي العربي المائلة والمخالفة، دون طبعة، دت، ص: 157.

(3) ابن جني، أبو الفتح عثمان (392هـ)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الطبعة الثانية، 1956م، ج2، ص: 231.

فإن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى مجهود عضلي للنطق بهما في كلمة واحدة، ويتيسر هذا الجهد العضلي بقلب أحد الصوتين إلى تلك الأصوات التي لا تستلزم مجهوداً عضلياً⁽¹⁾.

فعلماء العربية قد فطنوا مبكراً إلى هذه الظاهرة وبالتحديد في عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي⁽²⁾ (ت 175 هـ)، فقد أدركها هذا الرجل وأطلق عليها المصطلح الشائع في عصرنا، غير أنه استعمل صيغة الفعل منه، فقد قال: "وأما مهماً فإن أصلها ماماً ولكن أبدلوا من الألف الأولى هاء" ليختلف اللفظ⁽³⁾.

فالخليل بن أحمد "استعمل الصيغة الفعلية (يختلف) للمصطلح الذي أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة وهو التخالف"⁽⁴⁾. وتوالت ملاحظات علماء العربية بعد الخليل بن أحمد، من ذلك: قول أبي عبيدة "أن العرب تقلب حروف المضاعف إلى ياء"⁽⁵⁾ وقول المبرد في حديثه عن الياء (وتبدل مكان أحد الحرفين إذا ضوعفا)⁽⁶⁾.

ومن الأقوال هذه يتبين لنا أنهم حددوا الظاهرة باجتماع حرفين متماثلين نطقاً بصوت واحد مشدد أبدل أحدهما ب (ياء) أو (واو).

(1) ابن جني، الخصائص، ص: 90.

(2) المصدر نفسه، ص: 232.

(3) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، بغداد، 1986 م، ص: 358.

(4) عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 1998 م، ص: 67.

(5) ابن السكيت، الإبدال، تحقيق: محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، دون طبعة، 1978 م، ص: 133.

(6) المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة، 1963 م، ج 1، ص: 200.

وكما يعتبر أيضا الدكتور إبراهيم أنيس⁽¹⁾ خير من صور واقع ظاهرة التخالف بصورة عامة بقوله: (... إننا نلاحظ أن كثيرا من الكلمات التي تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة يتغير أحد الصوتين إلى صوت لين طويل - وهو الغالب - أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين في بعض الأحيان)⁽¹⁾.

ثم عرض إلى الأصوات التي تبدل، فقال: (إذا علمنا أن أشق الأصوات هي المطبقة والرخوة بوجه عام، أدركنا أن المخالفة لا تكاد تتم إلا حين يتجاوز صوتان متماثلان من أصوات الإطباق أو الأصوات الرخوة)⁽²⁾.

وجاء في لسان العرب⁽³⁾ وخبخبوا: أبردوا، وأصله: خببوا، بثلاث باءات أبدلوا من الباء الوسطى خاء، للفرق بين فعل وفعل، وإنما زادوا الخاء من سائر الحروف، لأن في الكلمة خاء، وهذه علة جميع ما يشبهه من الكلمات⁽³⁾.

وجاء فيه كذلك: "ومن العرب من يقلب أحد الحرفين المدغمين ياء، فيقول في مر: مير وفي زر: زير وفي رز: ريز"⁽⁴⁾، ومن العرب من يقول حنظ وليس ذلك، بمقصود، إنما هو غنة تلحقهم في المشدد، بدليل أن هؤلاء إذا جمعوا قالوا حظوظ. قال الأزهري: "وناس من أهل حمص يقولون: حنظ، فإذا جمعوا أرجعوا إلى الحظوظ وتلك النون عندهم غنة، ولكنهم يجعلونها أصلية وإنما يجيء هذا اللفظ على ألسنتهم في المشدد نحو: الرز يقولون رنز"⁽⁵⁾.

(1) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1995م، ص: 214.

(2) المرجع نفسه، ص: 213.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (خ ب ب) ج 1، ص: 333.

(4) المصدر نفسه، مادة (زور)، ص: 425.

(5) المصدر نفسه، مادة (ح ظ ظ)، ج 9، ص: 319.

ويمكن رصف ألفاظ هذه الظاهرة في مجموعات:

■ المجموعة الأولى: ما اجتمع في كل من ألفاظها صوتان متماثلان لا يفصل بينهما فاصل من حركة أو حرف فأبدل أحدهما بصوت آخر، فتحقق التخالف الصوتي بين المتماثلين من ذلك ⁽¹⁾: أترجّه واطرنج، أما وإيما، خرّوب وخرنوب، دبّاج وديياج، دماس وديماس، دئار ودينار، دوان وديوان، قرأط وقيراط.

■ المجموعة الثانية: ما اجتمع في كل ألفاظها ثلاثة أصوات متماثلة، أبدل الثالث منها بصوت جديد قد تحقق التخالف ⁽²⁾.

■ المجموعة الثالثة: ما اجتمع في كل من ألفاظها صوتان متماثلان يحجز بينهما حاجز وعمولا معاملة المتجاورين، فأبدل أحدهما وتحقق التخالف بين الصوتين المتماثلين على تباعدهما من ذلك: حداء وحداد، سادس وسادي، هذه وهذي، دهدت ودهديت، صهصت وصهصيت.

■ المجموعة الرابعة: ما اجتمع في كل ألفاظهما أصوات متماثلة أبدلوا أواسطها من ذلك زلزل من زلّل -تجفّجف من تجفّف، صرصر من صرّر، كبكب من كبّب، كركر من كرّر، تململ من تملل.

فأصل ألفاظ هذه المجموعة قد اجتمع فيها ثلاثة أصوات متماثلة مما أدى إلى نوع من ثقل النطق، لذا جنحوا إلى التخالف، وهذا لكرهية اجتماع ثلاثة أحرف من جنس واحد ⁽³⁾.

(1) عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص: 69.

(2) المرجع نفسه، ص: 70.

(3) المرجع نفسه، ص: 73.

ومثال المخالفة بين السامية الأم والعربية كلمة (شمس)، فهي السامية الأولى (شمش) كما في العبرية والآرامية، والمعروف لدى علماء الساميات أن (الشين) في السامية الأم قلبت في العربية (سينا)، ومقتضى ذلك أن تصير الكلمة في العربية سمس غير أن المخالفة بين السنين أدت إلى قلب الأولى شينا⁽¹⁾.

ومثل ذلك في العربية (قراط) و(دينار) بدلا من (قراط) و(دئار) بدليل الجمع (قراريط) و(دنانير)، ويقول المبرد في هذا: "والدليل على أن هذا إنما أبدل لاستثقال التضعيف قولك دينار وقيراط والأصل: دئار وقراط، فأبدلت الياء للكسرة فلما فرقت بين المتضاعفين رجع الأصل، فقلت دنانير وقراريط وقريريط"⁽²⁾.

وكان الناس في القرن الثاني الهجري في العراق يقولون في إجاص إنجاص وفي أترج، أترنج، كما كان أهل الأندلس يقولون كرناسة في كراسة، كما كانوا يطلقون على الأسد كلمة (عَدَنَس) بدلا من الكلمة القديمة (عَدَبَس) وكانوا يقولون تقعور بدلا من الفعل (تقعَر)⁽³⁾.

ولعلنا بقانون المخالفة نستطيع أن نفسر ذلك الإبدال الظاهري في كلمتي (زحلوفة) و(زحلوقة)، فقول الأصمعي "الزحاليق والزحاليق: أثار تزلج الصبيان من فوق طين أو رمل، فأهل العالية يقولون زحلوفة وزحاليق، وبنو تميم ومن يليهم من هوازن يقولون زحلوقة وزحاليق. فالظاهر أن الكلمة الأولى زحلوفة مأخوذة من الفعل "زحلف" الناتج بطريق المخالفة الصوتية من (زحف) كما أن

(1) رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره علله وقوانينه، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الأولى، 1989م، ص: 37.

(2) المبرد، المقتضب، ص: 24.

(3) أبو بكر الزبيدي، لحن العوام، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، القاهرة، 1967م، ص: 35.

الكلمة الثانية زحلوة مأخوذة من الفعل زحلق الناتج بطريق المخالفة الصوتية كذلك من الفعل زلق⁽¹⁾.

ومن القواعد الصرفيين في العربية أن الواو تقلب همزة إذا تصدرت قبل واو متحركة مطلقا أو ساكنة متأصلة الواوية نحو (واصل) و(واق)، فإن الأصل فيها (وواصل) وكذلك (وواق)؛ لأنهما جمعان لكلمتي (واصلة) و(واقية). ففاء كل منهما واو، ويجري مثل ذلك في أنثى (الأول) وجمعها، فإن الأصل فيهما أن يكونا (وولى) و(وول) ولكنهما في العربية: أولى وأول، وليس ذلك كله إلا أثرا من آثار المخالفة.

ومن المخالفة الصوتية كذلك ما يسمى بالمخالفة الكمية بين المقاطع الصوتية، ومن أمثلة ذلك ما يحدث لحركة ضمير المفرد الغائب في العربية الفصحى، فالأصل في هذه الحركة هو الضمة الطويلة ويحدث له المماثلة الصوتية مع الكسرات قبله مثل له: هو وبه: بهي. كما تقصر حركته في العربية عن طريق المخالفة الكمية بين المقاطع فيقال مثلا: فيه بدلا من فيهي، ومنه بدلا من منهو⁽²⁾. وهناك المخالفة المتباعدة وتقع في الأصوات التي يفصل بينها فاصل من صوت آخر غير مناظر مثل⁽³⁾:

اخضوضر — أصلها اخضرضر

اعشوشب — أصلها اعشيشب

بغداد — أصلها بغداد

(1) رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره علله وقوانينه. ص: 40.

(2) المرجع نفسه، ص: 44.

(3) عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص: 297.

ويعلل أحمد مختار عمر "حركة المخالفة على أنها تهدف إلى تيسير جانب الدلالة بين الأصوات، ولا تلقي بالا إلى العامل النطقي الذي قد يتأثر نتيجة تباعد أو تخالف الصوتين" (1).

كما يسجل إبراهيم أنيس "أن المخالفة قد تكون في النادر من الأحيان بين الأصوات الشديدة مثل (2) : إَجَاص — روي فيها إِنْجَاص دَبُوس — روي فيها دَبُوس

لعل — روي فيها لعل

وكما تتأثر الصوامت بعامل المخالفة كذلك، هي الصوائت حيث تجري وفق قوانينها، ولعل الغاية من ذلك تحقيق التيسير النطقي في أقصى درجته حين الابتعاد عن النطق المتوالي لحركات متحدة الصيغة البنائية. فجمع المؤنث السالم يأثف بإضافة صائت طويل مع التاء الشديدة المهموسة (آت) وقد أثر عن العرب في تععيدهم لهذا النوع من الجموع أنه ينصب بالكسرة نيابة بدلية عن الفتحة، وإنه تتساوى فيه حالتا النصب والجر. ولعل السر فيما يبدو هو تلك المتوالية التركيبية من الفتحات التي غيّرت متجهها من الاستعلاء إلى الاستفال (3).

فظاهرة التخالف الصوتي تحقق للمتكلم سهولة النطق والاقتصاد في الجهد، لأن نطقه بالصوت المضاعف يتطلب مجهودا عضليا أكبر مما لو قلب أحد الصوتين إلى صوت مد، أو صوت من الأصوات الشبيهة بها أو كما يقول

(1) ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، القاهرة، 1991م، ص: 384.

(2) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 214.

(3) عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص: 295.

فاندريس: أن يعمل المتكلم حركة نطقية مرة واحدة وكان من حقها أن تُعمل مرتين⁽¹⁾.

ويبدو هو ذا السبب في عزوف المتكلمين عن بعض الصور النطقية إلى أخرى سواها، سعيًا وراء تحقيق مبدأ السهولة واليسير. فيُنظر إلى هذه الظاهرة على أنها الوضع الأمثل اللازم لإعادة الخلافات بين الأصوات، الأمر الذي لا يمكن الاستغناء عنه في إظهار قيم الفونيمات الاستقلالية، وهو أمر ضروري لتحقيق حالة التوازن وتقليل المد التأثيري للمائلة.

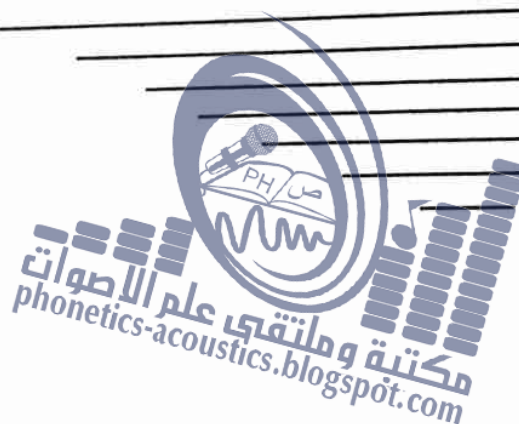
وهذا التطور هو إحدى نتائج نظرية السهولة التي نادى بها كثير من المحدثين، والتي تشير إلى أن الإنسان في نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي، فيبدل مع الأيام بالأصوات الصعبة في لغته نظائرها السهلة.

(1) فاندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي وعبد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، دون طبعة، دت، ص: 40.

- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر للطباعة، مصر، دون طبعة، دت.
- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، دون طبعة، 1976م.
- أبو بكر الزبيدي، لحن العوام، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، القاهرة، دون طبعة، 1967م.
- ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الطبعة الثانية، 1956م، ج2.
- جيلالي بن يشو، بحوث في اللسانيات الدرس الصوتي العربي الماثلة والمخالفة، دون طبعة، دت.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق د مهدي المخزومي، بغداد، 1986م.
- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره علله وقوانينه، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الأولى، 1989م.
- ابن السكيت، الإبدال، تحقيق: محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، دون طبعة، 1978م.
- صبيح التميمي، دراسات لغوية في تراثنا القديم، صوت صرف نحو دلالة، دار مجدلاوي، عمان، الطبعة الأولى، 2003م.
- عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، دروس النظام الصوتي للغة العربية، 1428هـ.

- عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 2000م.
- عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 1998م.
- علاء محمد جبر، المدارس الصوتية عند العرب - النشأة والتطور -، دون طبعة، دت.
- غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم الأصوات العربية، مكتبة وملتقى علم الأصوات، الطبعة الأولى، 2004م.
- فاندريس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، دون طبعة، دت.
- المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، 1963م، ج1.
- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت 711هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، دت، ج1.

القوانين المورفوفونيمية ووظيفتها الدلالية في بنية الخطاب القرآني



القوانين المورفوفونيمية ووظيفتها الدلالية

في بنية الخطاب القرآني

كـهـ-الدكتور: إسماعيل حيمور

جامعة ابن خلدون (تبارت) - الجزائر

مقدمة:

إنَّ النصَّ القرآني - وإن كان يقوم على المادة اللغوية في إعجازياتها البيانية والبلاغية - شبكة من العلاقات التي تمتاز بالألفاظ الشاهدة على الدلالات الصوتية، وهي أساسيات لا يمكن إغفالها في ميدان التحليل؛ لأن هذا الخطاب يمتاز في جوهره بجملة من الأساسيات، كالتعبير عن السنن الكونية، وتصوير الحقائق الإيمانية عبر نظمه المعجز، بما يلزم المتلقي تدبرا وخشوعا، فكلما تداخلت المستويات وتراكبت، أمكن تأويله تأويلات متعددة، وتعددت معانيه بتعدد القراءات، عبر آلية التأويل؛ إذ هو الطريق المؤدية إلى معنى كلمة أو ملفوظ أو آية، وتفسير ظاهرة معينة فيه، وفيه تكون الانطلاقة من دلالة العلامات اللسانية المتاحة في النسق الخطابي الذي تشهده الآيات، للوصول إلى اكتشاف دلالاتها داخل النص القرآني، فيتم الانتقال من البنيات اللسانية المغلقة على فكر المتلقي، إلى بينات التفاسير التي تبقى الخطاب مفتوحا على كل الوجوهات.

ووفق هذه المعطيات، ستناول هذه الدراسة مختلف القوانين الصوتية ومدى قدرتها التأويلية وطاقاتها الدلالية، وكذا اكتشاف مكانها الإيحائية، والتي تتكاتف من أجل تغطية الإطار الجمالي والفني لخطابات القرآن الكريم، حين يغدو

كلا متكاملًا، يعانق فيه الشكل المضمون، والمبنى الدال على معناه الدقيق، وذلك عبر مختلف الوحدات الصوتية والصرفية والتركيبية والأسلوبية، وهو ما يعبر عنه بالقوانين المورفوفونيمية.

1- القوانين المورفوفونيمية:

لم تحدد الدراسة اللسانية عبر مختلف الحقب الزمنية عن منهج دراسة القوانين الصوتية، التي تمثل الجزء من الكل (اللغة)، ففيها «كان منطلق الدرس اللغوي العربي، صوتيا مع أبي الأسود وتلاميذه من بعده، حتى زمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، ثم تلميذه سيبويه، وهذان العالمان الجليلان، أعطيا للصوت اللغوي حقه، وأحلّاه محله، فالخليل بنى عليه معجمه (العين)، (أما) سيبويه بنى عليه نظرية التبدلات التركيبية في اللغة العربية (في الكتاب)، منطلقا من الإدغام في القسم الصرفي من آخر الكتاب، ومتحدثا من مجموع الظواهر اللغوية، والتبدلات الصوتية في ثنياه، من إبدال، وقلب، وتخفيف وإمالة، وإشمام، وروم، واختلاس، وجميعها ظواهر صوتية أساسية، جديرة بالعناية والاهتمام والدراسة»⁽¹⁾ ولعل الخطاب القرآني ينم بتوافر هذه الظواهر الصوتية وتواترها.

وانطلاقا من هذه المبادئ الأساسية في التأليف الصوتية المتنوعة، فقد صح في العربية هذه التشكيلات الصوتية، وارتضتها بحسن واستحسان، وما جموع الدواوين والمؤلفات التي نشطت في هذا المجال، إلا دليلا على غاية هذا الأمر، في بيان حسن المقام وسلامة المقال، وخصوصا في مجال الدراسات القرآنية، وسنذكر أهم القوانين التي ارتضتها العربية وشرعتها، تيسيرا للنطق بها، سواء في القراءات القرآنية-وهو الأكثر استعمالا- أم في اللهجات العربية، هذه الظواهر الصوتية

(1) مكّي درار، المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب للنشر والتوزيع، السانبا، الجزائر، 2004م، ص: 13.

والصرفية، والتي لا مناص فيها من الاعتماد على الحرف أو الحركة، أو هما معا، ولقد نعلم أن هذا خاص بالصوامت؛ وإنما أتى ذكره لتعلقه بالصائت، ودوره فيه بما هو طارئ عليه وظيفة ودلالة، عبر خاصية وسمة كل عنصر منهما، ومن هنا تكون القوانين الصوتية التالية نسقا لغويا وظيفيا، يرمز إلى انسجام وتناسب الأبنية الصوتية والصرفية والنحوية، ومن ثم الدلالية، لمختلف الوحدات اللغوية التطريزية، التي أذكر منها:

أ/ الاختلاس:

وهو مأخوذ من تعريفه اللغوي «اختلس الشيء؛ استلبه في سرعة ومخادعة، وهو في الاصطلاح عدم إعطاء الحركة أو الحرف اللين حقهما من الصوت، نحو: أمَّحَتَ معالمة، إذا اختلست ألف أمَّحَتَ، ويقابله الإشباع»⁽¹⁾، أما الناحية الوظيفية فهو يعبر عن انزياح صوتي بنوع من الخفة، فتكون كمية الصائت المختلس واضحة في درجة النطق، وهو أقل المظاهر الصوتية شيوعا في القرآن، ومثال ذلك، الاختلاس الوحيد في قراءة حفص: «قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ»⁽²⁾، وذلك «بإشمام الضمة في النون الأولى المدغمة، وهو إشارة إلى الضمة، من غير إحاض، ليعلم أن أصله: لَا تَأْمَنَّا بَنُونِ عَلَى تَفْعَلْنَا، فأدغمت النون الأولى في الثانية»⁽³⁾، ففيها إشارة إلى القوم الذين راودوا أباهم وألحوا عليه الطلب، مسترسلين في الطلب أن أرسل معنا أخانا-مكرا وخداعا- في حين أخفوا عليه أمرهم -والله أعلم بنواياهم- فكان اختلاس الحركة في حرف الميم «الذي يدل

(1) راجي الأسمر، المعجم المفهرس في علم الصرف، دون طبعة، دت، ص: 48.

(2) سورة يوسف، الآية رقم: 11.

(3) ينظر: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، معالم التنزيل، دار ابن حزم، بيروت،

لبنان، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م، ص: 638.

على الانجماع⁽¹⁾ المتبر للمكيدة، اختلاسا حقيقيا لهم من الناحية العاطفية والاجتماعية لأبيهم، من منطلق وجود العلاقة الوطيدة بين الصوت ودلالته، وأنه مظهر من مظاهر الانفعال النفسي، باستثارة الوجدان وإضعافه تدريجيا حتى غلبته وجره نحو الهدف المراد بلوغه، ويظهر ذلك جليا في «الإنكار عليه في ترك إرساله معهم كأنهم قالوا: إلك لا ترسله معنا أتخافنا عليه؟»⁽²⁾ وبالتالي تترابط ملامح الصوت وسماته الفيزيائية والنطقية والسمعية مع طبيعة الأحداث والمواقف المعبرة عن سياق الخطاب في الآية، لتصبح هذه الصفة في هذا الموضع علامة لغوية أو سمة من سمات التعبير الدلالي الذي يعبر عن ما يحدث في الإسرار أو الوشوشة⁽³⁾ والذي عبر عنه سياق الخطاب بامتياز، فكان من شأنه «أن يجعل الإحاء اللفظي من القوة والسيطرة، وبعد المدى والحيوية والدقة بمكان عظيم»⁽⁴⁾ ب/ الإخفاء:

وهو «نطق الحرف بين الإظهار والإدغام»⁽⁵⁾، أما عن سبب حدوث الإخفاء في هذه المواضع؛ فهو ناتج عن «عدم التقارب بين النون الساكنة أو التنوين، وبين حروف الإخفاء كلها، فيحدث إدغاما، وعدم تباعدهما عنها فيحدث إظهارا»⁽⁶⁾ وحروفه مجموعة في أوائل كلمات البيت التالي⁽⁷⁾:

(1) محمد فريد عبد الله، الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، 2008م، ص: 17.

(2) ينظر: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، ص: 638.

(3) عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1408هـ/ 1987م، ص: 370.

(4) لاسل أبر كرومي، قواعد النقد الأدبي، تر: محمد عوض محمد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1944، ص: 38.

(5) راجي الأسمر، المعجم المفهرس في علم الصرف، ص: 48.

(6) كامل المسيري، الجامع في تجويد قراءة القرآن الكريم، دار الإيمان، الإسكندرية، 2005م، ص: 75.

(7) المرجع نفسه، ص: 7.

صِفْ ذَا ثَنَّاكُمْ جَادَ شَخْصٌ قَدْ سَمَّادُمْ طَيِّبًا زِدْ فِي ثَقَى ضَعْ ظَالِمًا

ولعله من المهم هاهنا الإشارة إلى أن «القارئ المتقن عن طريق وجدنة الأداء والقراءة عن الطريق المعنى - أي التلاوة المعبرة - يستطيع أن يفسر القرآن بأدائه ويمثل بصوته الأجواء النفسية والمواقف»⁽¹⁾ واستنطاق المعاني وإبراز كنهها ودلالاتها المتوافرة الظلال جمالا وجلالا، وما تنطوي عليه الكلمات والعبارات من موافقة وانسجام، مع ما تؤديه الآيات من معان وأحكام وأصول وتشريع، ولا شك أن النماذج في هذا السياق تتوافر بكثرة، وسيتم منها إفراد الخطابات التالية:

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)⁽²⁾، فالموقف هنا موقف شرط وجزاء؛ أي إن تنصروا دينه ورسوله، ينصركم على عدوكم، وهو كذلك «أمر منه تعالى أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، وأن يقصدوا بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك نصرهم وثبت أقدامهم»⁽³⁾، ويقرر أداء الآية إخفاء النون في ثلاث مواطن (إن، تنصروا، ينصركم)، ويستدعي استغراق الوقت حين النطق للحرف الذي يليه، فتآزر القراءة ترتيلا بهذه الغنة المستطيلة لإخفاء، مضيئة فارقا زمنيا متلائما مع موقف النصرة، الذي يقتضي تثبتا وتصبرا لأنواع الحن والشدائد، وأن النصرة محفوفة بالشدائد، مستغرقة الأحوال الصعبة وكذا الأماكن، وأنها أصعب من أن

(1) تمام حسان، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية النص القرآني، طبعة 1413هـ/1993م، 190/1.

(2) سورة محمد، الآية رقم: 7.

(3) عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م، ص: 578.

تنال، فكانت «الحروف التي تتلاءم بإحائها الصوتية مع تلك الخصائص»⁽¹⁾، قد دلت عليها ظاهرة الإخفاء بما تنطوي عليه من سمات صوتية في الكلمات الثلاث، ويمكن ملاحظة شيء من التوافق والانسجام، وعدم «تجاهل تلك القيم الصوتية التي تصاحب الأصوات القرآنية ذات المخزون البلاغي»⁽²⁾؛ لأنها سمة بارزة من سمات الإبلاغ في هذا الصدد.

وبالإضافة إلى أن المقام مقام «وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، ويسر له أسباب النصر من الثبات وغيره»⁽³⁾؛ فإن الاسترسال والتأني في مثل هذه المواطن من (الإخفاءات) مطلوب، بما يحمله من سمات صوتية في البنية السطحية من تفشي الصوت وجريانه وفق طريقة نظامية «تتوافق أصواتها مع الحدث الذي يريد التعبير عنه»⁽⁴⁾، فضلاً عن تأكيد الوعد لمن انتهج أسبابه، وهي رسالة لمن يريد (النصر) حتى وإن طال الوقت.

جـ/ الاستعلاء:

وهو ما عبر عنه ابن جني بقوله: «ارتفاع مؤخرة اللسان إلى أعلى الحنك عند النطق بالحرف»⁽⁵⁾، وحروف الاستعلاء سبعة: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والقاف، والحاء، وتمتاز بصفة التفخيم؛ وكما أن الصوت المفخم «يأخذ صوته أقصى إichاءات في القوة والشدة والفعالية والغلظة»⁽⁶⁾، لذلك فإن

(1) حسن عباس، خصائص الحروف العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998م ص: 37.

(2) شوقي ضيف، الفن ومذهبه في الشعر العربي، دار المعارف، الطبعة السادسة، 1976م، ص: 79.

(3) حسن عباس، خصائص الحروف العربية، ص: 37.

(4) المرجع نفسه، ص: 37.

(5) أبو الفتح عثمان ابن جني (392هـ)، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 1993م، 1/ 77.

(6) حسن عباس، خصائص الحروف العربية، ص: 45.

السياقات القرآنية في هذا الصدد بهذه المواقف أغنى، ولعل أسماء يوم القيامة (الصاخة، الطامة، القارعة، يوم التغابن...) لأدل على معانيها ودلالاتها وإيحائها النفسية ودواخل الوجدان والمعتقد، وما ينجم عنها من تأثير نفسي عميق بمدى هول وشدة هذا اليوم.

د/ الاستفال:

وهو «خروج صوت الحرف من أسفل الفم»⁽¹⁾ وهو عكس الاستعلاء؛ فحروفه واضحة بينة، يمكن تمييزها بصفة الترقيق، ولا شك أن «الحروف ذات الأصوات الرقيقة لا بد أن تكون أكثر إيحاء بالركة والأناقة والدماثة وما إليها عندما تقع في نهاية الألفاظ، فأصواتها تكون هنا أكثر خفوتا ورقة منها في أي موقع آخر، ولهذا السبب بالذات، لا بد أن يختلف تأثير الحرف الواحد، رقيقا كان أم قويا في معاني الألفاظ، بحسب موقعه من اللفظة»⁽²⁾.

ولعل هذه الصفة تتناسب مع المصوتات المتسمة بصفة الهمس، المعبرة عن حالات التآني والانبساط، وتزيد النفس شعورا بالطمأنينة، ومثالا لهذه الحالة النفسية، ما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار، من إهدار لدمه، ومطاردة المشركين له، قال تعالى: (...إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُثُودٍ لَمْ تَرْوَاهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)⁽³⁾، فخلو صفة القوة والشدة والفعالية والغلظة من هذه المصوتات، توحى بمواطن الرقة والعناية الربانية برسوله، وذلك حين «أنزل

(1) راجي الأسمر، المعجم المفهرس في علم الصرف، ص: 78.

(2) حسن عباس، خصائص الحروف العربية، ص: 45.

(3) سورة التوبة، الآية رقم: 40.

الله طمأنينته وسكونه على رسوله»⁽¹⁾، وكان سياق الآية ينبي عن جو الانشراح والسعة والأمان، رغم أن المحيط هو عبارة مغارة تغشاها ظلمات بعضها فوق بعض، لكن «استشعار معية الله، وتوسيع نطاق الإيمان، يكسر سطوة الحزن ويزيد من انشراح الصدر، ونطاق الإيمان واليقين والاستقامة»⁽²⁾، وتعزز تلك الرابطة المقدسة بين الله ورسوله، وأنها رابطة نصرة ومودة وقربى، مع ما يجذوها من صدى في نفسية المتلقي (النبي الكريم) ترجمت إلى فعل قرائي هو الآخر من جنس المصوتات والصفات، مناسبة لجو التسرية والتيسير، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم لصاحبه (أبي بكر) «لا تحزن إن الله معنا» وفي الحديث الشريف: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما». ورغم أن صفة الاستفال تقابلها صفة الاستعلاء؛ إلا أنها -في سياق الآية- عبرت عن تلك السكينة والوقار، خاصة وأنها تزامنت مع صفة الفتح في إنَّ الله مَعَنَا لتوحي بصفة الانفتاح الذي أشربته العناية الربانية، فكانت الدلالات الصوتية المنبثقة من التشكيل الصوتي مناسبة للحدث والمقام، ومصابقة للتعاملات الصوتية بناء ودلالة.

هـ/ الروم:

يعرّف بأنه الإتيان بجزء من الحركة»⁽³⁾، فتكون كمية الصائت المروم أقرب من كمية الصائت الأصلي، وقد عبر عنه المبرد بأنه «الإشارة للحركة بصوت

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1422هـ/ 2001م، 467/11.

(2) فخرية غريب قادر، تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 2011م، ص: 45.

(3) -كامل المسيري، الجامع في تجويد قراءة القرآن الكريم، ص: 329.

خفي»⁽¹⁾، وفي معنى الرُّوم صفة ونطقاً «خلاف بين القراء واللغويين، فعند القراء نطق ببعض الحركة، وعند اللغويين نطق الحركة بصوت خفي»⁽²⁾، وفي طيات هذا الخلاف أورد وظيفة هذا الظاهرة الصوتية، وما ينجم عنها من تغير دلالي، أثناء عملية تحليل الخطاب، وأورد مثالا لذلك قوله تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)⁽³⁾؛ حيث يتعين علينا في البداية أن نعرف سبب نزول الآية، لنعرف كنهها، وجانبها من جوانب تحليلها، فقد ذكر الطبري أن سبب النزول كان «في سائل سأل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد، أقریب ربنا فنناجیه؟ أم بعيد فننادیه؟ فأنزل الله: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ...»⁽⁴⁾، وفي سبب آخر «لما نزلت: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) قال الناس: لو نعلم أي ساعة ندعو؟ فنزلت: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)»⁽⁵⁾.

والشاهد هاهنا؛ أن الداعي يستشعر معية الله وقربه منه على الدوام، فمتى سأل العبد ربه وجده قريبا سميعا مجيبا، وإذا تأملنا لفظتا (الداع، ودعان) حين النطق وقفا عليهما وجدنا الرُّوم حاضر في هذا الموضع، «فتأتي بثلاث حركة الكسرة (...). حين الوقوف عليها»⁽⁶⁾، ولعل الأداء الصوتي يعبر عن هذا الموضع الفريد،

(1)-أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1388هـ/1985م، 1/236.

(2)-محمد رضا شوشة، التغيرات الصوتية في القراءات القرآنية، رسالة ماستر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1435هـ/2014م، ص: 32.

(3)-سورة البقرة، الآية رقم: 186.

(4)-الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 3/222، 223.

(5)-المصدر نفسه، 3/224.

(6)-كامل المسيري، الجامع في تجويد قراءة القرآن الكريم، ص: 329.

الذي «يكون دليلاً على اكتمال المعنى والمبنى»⁽¹⁾، حينما تضيق الدنيا بما رحبت على العبد فلا يجد السند والعون والمدد، حينها يلجأ إلى واسطة الدعاء، الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: «الدعاء هو العبادة»، وفي رواية «الدعاء مخ العبادة»، وهذا الإطار في غاية الدقة والروعة والجلال من خلال هذا التعبير المروم؛ إذ «ثبت أن الدعاء يفيد القرب من الله»⁽²⁾، ولا شك أنه موطن عزة ورفعة ومقام.

ثم إنَّ عدم نطق الحركة وتخفيفها وعدم استغراق الزمن فيها دليل على أنَّ تلك النفسية التي امتازت بها روح المؤمن في عقيدته بربه، قد استقامت وتكاملت بمعرفتها بقرب ربها، ثم ولدت حالة شعورية إيجابية وفعالة، تجنح إلى ربها متى وحيثما كانت، يعبر عنه ذلك التوحيد الخالص الذي جمعت النفس بإيمانها الخالص في سر نفيس، خفيف على الروح خفة الحركة في (دعان)، فكانت هذه الصورة «ربانية التصور، ربانية الشعور، ربانية السلوك»⁽³⁾، كما هو جميل أن تلفتنا جودة الأداء وحسن الترتيل إلى هذا التشكيل الصوتي الفريد الذي يؤول إلى الدلالة والاطلاع على تلك الشَّهادة الربانية، وفي هذا سر عميق يقرب المعنى المراد والدلالة العميقة، من خلال هذه الهندسة الصوتية الفريدة، التي لا تتأنى إلا في مجال الخطاب الرباني لعباده بقربه منهم، و«مخاطبا الفطرة الإنسانية بمنطق العقل تارة، وبمنطق الوجدان تارة أخرى، وبالمنطقين معا ثالثة»⁽⁴⁾، وذلك في رده سبحانه وتعالى لعباده «إني منهم قريب في كل وقت، أجب دعوة الداعي إذا دعاني»⁽⁵⁾.

(1)- فخريه غريب قادر، تجليات الدلالة الإيحائية، ص: 163.

(2)- الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، در الفكر، لبنان، الطبعة الأولى، 1401هـ/ 1981م، 106/5.

(3)- سيد قطب، في ظلال القرآن، دون طبعة، دت، 40/1.

(4)- فخريه غريب قادر، تجليات الدلالة الإيحائية، ص: 167.

(5)- الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، 225/3.

وفي آخر ملمح يمكن اعتماده وتخرجه، أن هذه التلوين الصوتي المروم لا يصح كتابة ولا نطقاً إلا في هذا الخطاب الرباني - باعتباره قرآناً - وبالتالي فإن رسم المصحف له بهذه الطريقة تحمل طاقة إعجازية وإيحائية ودلالية، تتنافى مع أي صورة وضعية قد تشبهها رسماً أو أداءً، وذلك بإسقاط الياء في كل من (الداع، ودعان)، والتي لا تثبت في غير المصحف إلا (الداعي، ودعاني)، فيسهم هذا الرسم في توسيع دلالة المنطوق، وتدعيم بنية الخطاب، وبذلك أصبحت ظاهرة الروم هاهنا «أهم عنصر من عناصر التحويل، به يتم الانتقال من باب نحوي إلى باب نحوي آخر»⁽¹⁾، ومنه تفضي الكتابة إلى شكل من أشكال الممانعة النصية التي لا تثبت خطأً إلا فيما أقرها لها خطاب القرآن.

و/الإشمام:

هو من الناحية النطقية والسمعية «ضم الشفتين كمن يريد النطق بضمّة إشارة، إلى أن الحركة المحذوفة ضمة، من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق»⁽²⁾، أو هو «أن تنحو بالكسرة نحواً لضمّة، فتشيم الكسرة رائحة الضمة، إشارة إلى أن الضمة هي الأصل»⁽³⁾، ويكون بذلك مدركاً سمعياً غير بصري؛ إذ يُسمع ولا يُرى، كما غلب استعماله في المرفوعات، كما في الفاظ القرآن (وقيل...)،

(1) - نوزاد حسن أحمد، التنغيم ودلالات التركيب، مجلة الآداب والعلوم، جامعة قارونس، ليبيا، ع1، سنة الأولى، 1426هـ / 1997م، ص: 201.

(2) - كامل المسيري، الجامع في تهويد قراءة القرآن الكريم، ص: 329.

(3) - راجعي الأسمر، المعجم المفهرس في علم الصرف، ص: 144.

و(....وَغِيضَ...)⁽¹⁾، و(....سَمِعَ...)⁽²⁾، و(....فَقِيرَ...)⁽³⁾، و(....وَحِيلَ...)⁽⁴⁾،
و(....وَسِيقَ...)⁽⁵⁾.

تتجلى صورة الإشمام بين النطق والكتابة، حين تنجح الشفتان إلى الميل نحو الضمّ الذي أصل الحرف فيه الكسر، في حركة صوتية متقنة، بأبعاد صرفية ونحوية ودلالية؛ فليس «الحرف الأول من هذه الأفعال بمضموم؛ إنما هو مكسور، يخالط كسوته شيء من ضم يسمع، كما أن الحرف المفتوح الممال حكمه الفتح، ويخالط فتحته شيء من كسرة»⁽⁶⁾، أما من حيث بنيته الإفرادية؛ فقد «اعتُبر الإشمام صائناً مركباً لأنه يكون بنطق ضمة خفية بعد فاء الكلمة متلوة بياء ساكنة»⁽⁷⁾، ولا شك أنه في كل فعل عدولٌ صوتي ينم عن مدى التحول التدريجي من حركة لأخرى، ابتداءً بالكسرة مروراً بضمة وسكون، وهذا الانزياح سمعية؛ إلا أنها صورة توحى بتفعيل آلات الإدراك (السمع والبصر والفؤاد) إلى التحول الذي يطغى على كل مشهد منها، باعتبارها أداة لها طريقتها الخاصة في عرض المعاني بأصواتها «التي استبدلت وحداتها الصوتية بوحدات أخرى تغير معنى الكلمة»⁽⁸⁾ بطريقة منتظمة في التركيب، ومزدوجة في البنية اللغوية، أساسها الفعل الحركي (الصائتي)، خاصة

(1)-سورة هود، الآية رقم: 44.

(2)-سورة هود، الآية رقم: 77.

(3)-سورة القصص، الآية رقم: 24،

(4)-سورة سبأ، الآية رقم: 54.

(5)-سورة الزمر، الآية رقم: 71.

(6)-أبو محمد بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط5، 1418هـ/1997م، 1/ 231.

(7)-عبد البديع النيرباني، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، دار الغوثاني للدراسات الإسلامية، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م، ص: 17.

(8)-رابع بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، ص: 38.

وأنه قد ثبت بالاستقراء أن «الكسر يدل على المتغير، والضّم يدل على الثابت، أما الفتح فعلى الحياد»⁽¹⁾.

وأمام هذه المسلّمات اللغوية والوظيفية، تقبّع كل لفظة من هذه الألفاظ لمجال معين من هذه الموقّعات، يجعل الحركة لها وظيفة دلالية قائمة بذاتها، مما يتيح فرصة لتأمل الإيحاءات الدلالية المنبعثة من وراء أداء السياق، عبر عنصر الحركات وما يلحقها من عنصر التزمين والجرس الموسيقي، «ولاشك أن هذا التراوح هو في حد ذاته متأّت بناءً على مبدأ التغير»⁽²⁾، مما يحدو بالمتلقي أو السامع استكناه العلامات القائمة بين ما يحويه النص من تغيرات صوتية أدائية، وأخرى معنوية ودلالية، تجمعها علاقة الكميات الصوتية بالقدرات الفكرية عند التحليل ومن ثم التأويل.

ز/ الإظهار⁽³⁾:

إن الأصل في النطق، إظهار الحروف على ما هي عليه من حركة أو سكون، أو شد، أو مد، أو ما إلى ذلك، وقد تصنع الفروق الصوتية، أو الصرفية عللاً تقتضيها اللغة، وفق منهج يراعى فيه سهولة النطق وانسجام اللفظ، فهذا هو الأعم الأغلب، وغايته التباين النطقي بصورة واضحة، سواء في المخرج أو الصفة، بين الحرفين المتجانسين، كما بين التاء والدال في مثل: تدلّى: أدلّى، أو بين اللام

(1)- ينظر في ذلك على سبيل المثال مكّي درار، وسعاد بسناسي، المقررات الصوتية، دراسة تحليلية تطبيقية، منشورات دار الأديب، السانبا، وهران، 2007م. ص: 137، وملامح الدلالة الصوتية، للمؤلف نفسه، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر، 1433هـ/2012م. ص: 86.

(2)- نعيمة زواخ، البنية الإيقاعية في الخطاب القرآني، دراسة أسلوبية صوتية لسورة الواقعة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر 1433هـ/2012م، ص: 161.

(3)- الإظهار من الناحية الوظيفية صوت دال على يقينية ظهور البواطن. ينظر محمد فريد عبد الله، الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم، ص: 139.

والنون في مثل: جَعَلْنَا: جَعْنَا، وقد يأتي بمعنى «فك الإدغام، نحو: (اظْلَمَ، اظْلَمَ)، ويقابله الإدغام»⁽¹⁾.

تظهر أهمية هذه القيمة الصوتية في عملية التحليل، وتحلي الدلالات من وراء السياق، فتغدو مع ما تتسم به من مواصفات الوضوح السمعي للحروف، وكذا تباعد الأصوات أو تجاورها مع بعض حين النطق، متفاعلة الأصوات في ما ترسمه من سلاسل كلامية، يتأثر بعضها بأخرى صانعة أفعالا قرائية متجددة مع كل رسم وبنية الخطابية، فحين يحصل «إخراج كل حرف من مخرجه بغير غنة في الحروف المظهرة»⁽²⁾ يتسارع النطق وينقص زمن الأداء مناسبا للإجراء البلاغي الذي رسم من أجله الخطاب، من خلال الحروف المظهرة* ودلالاتها في كل سياق، مع ما ينشأ فيها من علاقات لغوية تنشئها هذه الصفات بين مختلف الوحدات الصوتية وتداولها.

ومثالا لذلك، هناك لطيفة صوتية وبيانية، يتباين فيها جزاء قوم هم صفوة أخيار خلّص، حين يقول تبارك وتعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)⁽³⁾، ففي الآية خبر منه تعالى عن «رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان،

(1)- راجي الأسمر، المعجم المفهرس في علم الصرف، ص: 144.

(2)- كامل المسيري، الجامع في تجويد قراءة القرآن الكريم، ص: 67.

(*)- الحروف المظهرة هي الحروف المتعلقة بأحكام النون الساكنة، المستخلصة من أوائل كلمات (أخيهاك علما حازه غير خاسر)، ينظر على سبيل المثال: محمد فريد عبد الله، الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، 2008م، ص: 135.

(3)- سورة التوبة، الآية رقم: 100.

ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم والنعيم المقيم»⁽¹⁾، ففي هذا الخطاب لهؤلاء الطائفة يتضح في فعل الجزاء إظهار حركة السكون في (عنه، وعندهم) إظهاراً مباشراً، دون مماطلة في النفس، يقابله صنيع هؤلاء في المسارعة بإظهار ولائهم ونصرتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، فكان الجزاء من جنس العمل؛ «إذ أن حيازة شرف الأسبقية والأولوية في الهجرة والمناصرة والإتباع تقتضي الإسراع دوماً سرعة في المبادرة والامتثال، وسرعة في التلبية والتطبيق وسرعة في الوصول، وكانت عاقبة تسارعهم إلى الخيرات هي النيل السريع لرضوان الله وجناته»⁽²⁾.

وبالإضافة إلى هذا، هناك صورة أخرى ارتسمها الجزاء الثاني (جنات تجري تحتها الأنهار) في صفة منقطعة النظر؛ إذ هو السياق الوحيد في القرآن الكريم الذي ذكر بهذه الصيغة، دون ذكر لحرف الجر (من)، ولا شك أنه يعضد دلالة التسارع في منح الجائزة الفضلى، فكما أنها لو ذكر حرف الجر في السياق لأحدث نوعاً من الترسل الموسيقي الناتج عن ظاهرة الإخفاء، ولما ناسب الإجراء السياق، فكان عدم ورودها في هذا الموضع بالذات ذا دلالة جمة مستوحاة من الصفة النطقية المباشرة لمطابقة الفعل بالجزاء، فظهرت بواطنهم، ولم يخفوا إيمانهم؛ بل أعلنوها واضحة جلية تحت لواء (وسارعوا)، وأمام هذه المطابقة وعظم هذا الجزاء، قال بعضهم: «لقد كنت أرى أننا رُفَعْنَا رِفْعَةً لا يبلغها أحد بعدنا»⁽³⁾، ولأجل هذه الرفعة كانت مسابقتهم وأوليتهم، حتى نالوا الأسبقية جزاءً وثناءً إلى يوم القيامة.

(1)- ابن كثير، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، تح: محمد نسيب الرفاعي، مكتبة المعارف، الرياض، 270/7.

(2)- فخرية غريب قادر، تجليات الدلالة الإيحائية، ص: 115.

(3)- ابن كثير، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، 270/7.

ك/ التخفيف:

وهو ظاهرة صوتية إقليمية، أو لهجية، تشاكل «التسهيل، وهو ترك الشدة، نحو (قَيْما، وقَيْما)، وهو أيضا تحويل الهمزة إلى ألف أو ياء، نحو (ذئب، ذيب)، ويسمى أيضا التلين، ويقابله التشديد»⁽¹⁾، ويكثر في القراءات القرآنية، خاصة بين روايتي ورش وحفص، كما يشيع التخفيف أيضا في اللهجات العربية-كما ذكر سابقا- في مثل لفظة أهْذِي؛ ففيها التخفيف والشدة، قال الفراء: «أهل الحجاز وبنو أسد يخففون: أهْذِي، وتميم، وسفلى قيس يثقلون فيقولون: هَدْيٌّ، قال الشاعر:

حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْمُصَلَّى وَأَعْتَنَقَ الْهَدْيِ مُقَلَّدَاتٍ⁽²⁾

أما في القراءات القرآنية؛ فتتوافر عدة سياقات بهذه الظاهرة الصوتية، وذلك حسب كل وجه قرائي متواتر، فقد ترد بالتخفيف والتسهيل، والتشديد والتضعيف، والهمز والنبر وغير ذلك، مراعاة ليسر النطق وتيسير العبادة، ففي هذا الصدد «تتكاتف الظواهر وتتعانق في إيجاد لغة لها قوانينها الحاكمة الموضحة لبنائها صوتا وصرفا وتركيبا؛ ولهذا وجدنا الاستخدام اللغوي يراعي هذا المستوى من الصحة اللغوية، فالناطق لديه الإمكانية في أن يتخفف في كثير من أصوات اللغة وكلماتها»⁽³⁾، ومثالا لهذه الظاهرة قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ)⁽⁴⁾.

(1)- راجي الأسمر، المعجم المفهرس في علم الصرف، ص: 171.

(2) ينظر: أحمد علم الدين الجندي، في القرآن واللغة من تراث لغوي مفقود للفراء، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1410هـ، ص: 86. . والبيت من الوافر، وهو للفرزدق في ديوانه، 108/1، ولسان العرب، 3/367، (قلد)، 15/358، (هدى)، وكتاب العين، 4/77، وتاج العروس، 9/69، (قلد)، وبلا نسبة في المخصص، 4/119، 13/92، ينظر إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ/1996م، 1/526.

(3)- أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، 1417هـ/1996م، ص: 92.

(4)- سورة الانفطار، الآية رقم: 7.

تجسد هنا ثنائيتا التّخفيف والتّشديد علاقة تباينية مركّبة قائمة على التماس الاختلاف في الصوت والمورفولوجيا وكذا الجرس الموسيقي، غير أنه من حيث كونهما ظاهرة صوتية على حساب فونيمي معين ترمز كل وحدة إلى نمط تعبير خاص؛ حيث قرئت الآية بالتخفيف (عدّلك)، والتشديد (عدّلك)، فجُعِلت هذه الظاهرة الصوتية في سياق واحد «لتفرق بين وظيفة كل كلمة داخل الجملة»⁽¹⁾، و«كان من قرأ ذلك بالتشديد؛ وجّه معنى الكلام إلى أنه جعلك معتدلاً معدّل الخلق مقوماً، وكأنّ الذين قرؤوه بالتخفيف: وجّهوا معنى الكلام إلى: صرّفك، وأمالك إلى أيّ صورة شاء، إما إلى صورة حسنة، وإما إلى صورة قبيحة، أو إلى صورة بعض قراباته»⁽²⁾.

وقد يتباين وجه التلاوة والأداء هنا، وتتباين معه دلالة الخطاب للإنسان، فدلّت صوتية التخفيف إلى عموم الخلقة أن جعله إنساناً مهما كانت صفته، أبيض أو أسود، ذكراً أو أنثى، وسائر الصفات الخلقية، فكان مستفاد الخطاب بنبرة تقرّيعية تأنيبية، مؤدّاها «إحمد الله إذ لم يجعل صورتك صورة كلب أو حمار أو نحوهما من الحيوانات»⁽³⁾. أما الأخرى فكانت على وجه الخصوص، حين خصه دون البهائم والعجماوات، فجعله «سويا مستقيماً معتدلاً القائمة منتصبها في أحسن الهيئات والأشكال»⁽⁴⁾، ذلك صنع الله الذي أتقن كل شيء. ومن ناحية أخرى يوحى التضعيف (التشديد) عن طريق الأداء بالاستغراق والتمهل اللفظي، مما

1- أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، ص: 93.

2- تفسير الطبري، 178/24. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

3- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص: 668.

4- ابن كثير، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، 275/14.

تنساق معه دلالة التريث والتمهل الفعلي قبل فعل أي شيء حتى يُعلم أنه سوي معتدل استواء هذا الإنسان واعتدال خلقة.

ل/ التفخيم:

ويعتمد على درجة الصائت المشكل على الصامت؛ فيؤثر فيه إما بالترقيق، أو بالتفخيم، وهذا الأخير يعني «تعظيم الحرف في النطق حتى يمتلئ الفم بصداه»⁽¹⁾، وحروفه «هي حروف الإطباق، وهي ط، ظ، ص، ض، ومثلها في التفخيم الراء في الكلام، نحو: الرحمان، الصلاة، الطباق، الظاهر، والضمير»⁽²⁾، وقد يصيب حروفاً أخرى، مثل الألف التي «تفخم بعد حروف الاستعلاء، والراء تفخم إن فتحت ولم تسبق بكسر، أو لم يقع بعدها كسر، واللام تفخم في لفظ الجلالة، إن سبقت بفتح، كقول الله تعالى: (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)⁽³⁾، أو تلت ضمّاً مثل (رسلُ الله)؛ لأن هاتين الحركتين مستعليتان فيناسبهما التفخيم»⁽⁴⁾.

ولمّا كان الحديث عن هذه الظاهرة ومقصديتها في الخطاب، لما فيه عدة سياقات تحوي هذا النوع من التصويت من ناحية، وما يمكن أن تستوعبه من مرجعيات دلالية ومكامن إيجائية، من ناحية أخرى، فتجعل من الأداء عبارة عن وسيلة قرائية تتم بها عناصر بلاغية كالتحويل والتضخيم والترغيب والترهيب وغيرها، مما يستساق تلاوة وتدبراً.

(1)- عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007. ص: 160.

(2)- راجي الأسمر، المعجم المفهرس في علم الصرف، ص: 189.

(3)- سورة المجادلة، الآية رقم: 21.

(4)- عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص: 160.

ولعل أهم لفظ شاع في القرآن الكريم ورودا بالتفخيم هو لفظ الجلالة العلي العظيم الأكبر الله، كما يغلب ذكره في أكثر وجوه العبادة من ذكر ودعاء، وتبتل وثناء، ومع أنه يرد بصفة التقليل كما في البسملة؛ غير أن غالب ورودها في معظم سياقات الخطاب القرآن بصفة التفخيم، وبخاصة تلك التي تعلقت بجانب الدعوة إلى الله، كقوله تعالى: (... إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ...) ⁽¹⁾، أو بالتعريف به، كقوله تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...) ⁽²⁾، أو التذكير به سبحانه، كما في قوله عز وجل: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) ⁽³⁾، أو ما تعلق بجانب الوعظ، كما في: (... إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا...) ⁽⁴⁾، أو الحاجة، كما في: (... فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ⁽⁵⁾، أو المجادلة، كما في: (أَمْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّيْلٍ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ نَشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ⁽⁶⁾، أو في مختلف رسائل الخطاب وإقراراتها.

ولنأخذنا هذا اللفظ الجليل "الله"، لجلال نطقه وتصويته، ومن ثم الوقوف عليه تلاوة وأداء، ففي لطيفة من لطائف التجويد، وفي سياق فريد من جوانب المفاد البلاغي، والتدليل الإبلاغي، والإيحاء الصوتي، يتجلى هذا اللفظ في مقام دلت عليه أنفس العبارات ولطائف البيان، وذلك في مقولة يوسف عليه السلام في محتته بيت العزيز، وذلك بعد أن رأى برهان ربه: (... قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ...) ⁽⁷⁾، في ردّ بديع

(1)- سورة النساء، الآية رقم: 171.

(2)- سورة البقرة، الآية رقم: 255.

(3)- سورة الأنعام، الآية رقم: 18.

(4)- سورة الزمر، الآية رقم: 53.

(5)- سورة البقرة، الآية رقم: 259.

(6)- سورة النمل، الآية رقم: 63.

(7)- سورة يوسف، الآية رقم: 23.

مؤدّب ينمّ على مدى «الرد على الإحسان بالإحسان»¹، والذي لقيه من ربه الذي أحسن مثواه بتربيته وتلقينه فنون القول والعمل، لكن هذا العبد لم ينس فضل ذلك، أما الإيقاع الصوتي في أداء هذا السياق؛ فقد تقطرت منه دلالات جمّة، تصوّرها صوتية اللام المفخمة الموحية بغلظ الصنيع، والاختراق الفاحش للعادات والأعراف النبوية قبل الإنسانية، فقد كان بين فتنة عنيفة تُدفع، وفضيلة تُصدّ، وهذا ما جعل صوت حرف اللام المفخّم على سمت الحدث الجلل، والذي جاء بصوتيته وإيقاعه ونبرته تبعا ونسقا للصورة العُجبيّة.

وقد أشار بن جني في خصائصه إلى مثل هذه الظواهر الصوتية، بقوله: «فأما مقابلة الألفاظ بما يشكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج مُتَلَيِّتٌ عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها»⁽²⁾، فيعكس تصاعد اللام إلى رفع شكوى النفس إلى بارئها، نتيجة إيمانها العميق المتجذر بخالقها، فعلمت أنه لا ملجأ منه إلا إليه، لذلك كان صوت اللام مستحضرا لصورة العلاقة بين العبد الأبواب بربه التواب، كما أنّ المد الصوتي الناتج عن الوقف على لفظة الله واستغراقه زمنا، يوحى بفسحة الوقت لتدارك الأمور وإمهال الله تعالى عبده لعله يتدارك، ويصحو البصر بالحق، تاركا الأمر إلى النفس في مداراة الأمور وتقليبها لعلها تتصاعد في علياء منعمها فتندم وتؤوب، مخترقة الأزمان والأماكن ووقائع الأحوال، كما قد يحاكي طول مداه إلى «ضلالة الكافر وانحراف عن المسار الإيماني السليم، وخروجه عن نطاق الفطرة السليمة التي جبل عليها، كما يعبر طوله عن طول تلبثه في غياهب الضلال ودوامه»

(1)- رابع بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، ص: 126.

(2)- أبو الفتح عثمان ابن جني (392هـ)، الخصائص، تح/ محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، ط4، بغداد، 1990م، 1/ 65.

(1) وما ذلك الاسترسال والامتداد إلا لإطلاق "صرخة نبوية" استرعت حقا خشوعا وخضوعا وخنوعا، أملا في استجابة ربانية.

ومن الأمثلة الصوتية الكثيرة، مثال آخر ينقل المشاهد التي هي جزء من الحياة «إلى واقع التمثيل، كما ينقل إلينا المشهد بالصوت والصورة (...) يعبر بها الجسد عفوا عن مخاوفه تجاه ما يهدد وجوده وأمنه، وليس أدلّ على هذه الحال من اجتماع صوتي "الصاد" الصارخة والمعبرة عن الشدة، والرأاء المتكررة تعميما للوصفية بالتضعيف باجتماعهما في اللفظ "صير"، قال تعالى: (مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)⁽²⁾، «فلا يسعنا ونحن نسمع الأصوات المنبعثة من لفظ صرّ إلا أن نستحضر عواصف الشتاء وهبوب الرياح العاتية وصقيع البرد وتراكم الثلوج»⁽³⁾ ليكون وقعها في النفس مؤشرا صوتيا داعيا إلى ضرورة انفتاح البصيرة، والوقوف على نظرة تأملية تعالج «ما فعل الله بهؤلاء الكفار ما فعل بهم، من إحباطه ثواب أعمالهم، وإبطاله أجورها (...) ما أوردتها به نار جهنم وأصلاها به سكير سقر»⁽⁴⁾، ويكون حاملا في صفته التفخيمية دلالة منبثقة من شناعة الصنيع، مؤثرة في الانفعال النفسي بالترهيب والتحذير، وتحمل رسالة ضمنية في صيغتها التنكيرية «الدالة على الكثرة»⁽⁵⁾، وتأزرها مع صفتي التفخيم و«المعالجة

(1)- فخرية غرب قادر، تجليات الدلالة الإيحائية، ص: 69.

(2)- سورة آل عمران، الآية رقم: 117.

(3)- محمد فريد عبد الله، الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم، ص: 106.

(4)- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 5/ 707.

(5)- عبد الحميد الهنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، الدار الثقافية للنشر، مصر، دت، ص: 115.

الشديدة»⁽¹⁾ معاني الحذر من الله والفرار إليه، وبذلك التحمت البنية الصوتية بالإيجاءات الدلالية، مركزة عن طريق سمة التفخيم على عنصر التلقي المضيفي إلى فتح مسالك الإدراك الحسي والمعنوي، والقيام بإضاءة المعنى إلى حد كبير.

م/ التشديد:

وهو ظاهرة صوتية كثيرة الشيوخ في الأداء القرآني، وله عدة تسميات كالثقل، والشدة، والتوكيد، وتكون في أصناف الكلام كلها - اسم، وفعل، وحرف - نحو (كتاب، وعظم، وثم)، كما يشيع في مختلف لغات القبائل العربية واللهجات، من ذلك ما نقله الفراء بقوله: «كذبتُ به كذاباً، وخرقتُ القميص خرقاً، هي لغة يمانية فصيحة، وكل فعّلت فمصدره فعّال، في لغتهم مشدد»⁽²⁾، ويختلف عن الإدغام في كونه - أي التشديد - ظاهرة صوتية لهجية أكثر منه ظاهرة صوتية صرفية لغوية، ويتفقان في الوجه السماعي والغرض البلاغي، وما ينجر عن ذلك من أثر دلالي.

وطالما هو ظاهرة لهجية؛ إلا أن المتن القرآني لم يستثن بفعل تعدد القراءات وتواترها، حين يأتي شاهد في سورة النبأ في مناسبتين، وهو لفظ كذاباً، كما في: (وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا)⁽³⁾، وكذا قوله تعالى: (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا)⁽⁴⁾، فقد أورد البغوي قولاً للفراء أيضاً: «هي لغة يمانية فصيحة، يقولون في مصدر التفعيل فعّال وقال: قال لي أعرابي منهم على المروة يستفتيني: الحلق أحب إليك أم القصّار؟»⁽⁵⁾. ومع ما يبدو للوهلة الأولى من ثقل النطق والأداء الصوتي؛ إلا أنه

(1)- محمد فريد عبد الله، الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم، ص: 17.

(2)- أحمد علم الدين الجندي، في القرآن واللغة من تراث لغوي مفقود للفراء، ص: 85.

(3)- سورة النبأ، الآية رقم: 28.

(4)- سورة النبأ، الآية رقم: 35.

(5)- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، معالم التنزيل، ص: 1377.

أمر ثابت يعود للملكة اللسانية لكل قوم، وما أثر عنهم من تأثيرات بيئية واجتماعية، وبخاصة التأثير البدوي على حياتهم ككل، بما فيها المجال اللغوي؛ بل إن شيوع هذا النوع من الاستخدام اللغوي واقتصاره على إقليم معين ولهجة معينة، قد تنم عن «قدرة الإنسان على التحكم في اللغة والتصرف فيها»⁽¹⁾، ويؤيد هذا الرأي، ما ذهب إليه الدكتور تمام حسان، بقوله: «والذي يبدو لي حين أفكر في أمر اللغة العربية أن الدّوق الصّيّاغي العربي يرسم حدودا واضحة المعالم لما يعده خفيفا، ولما يعده ثقيلًا»⁽²⁾.

ومن الدّوق الصّيّاغي تتجلى ظاهرة التشديد في الخروج عن أصل ما يسمى «المصادر القياسية» فهذا عدول عن المألوف، وتجاوز القياس إلى السماع، وحسبنا في ذلك قولنا: هكذا سمعت عند عرب اليمن. ولعل التفسير الصوتي لهذه الظاهرة هو طلب التفخيم، بإعطائه حركة تعين على إظهاره والإجهاؤه⁽³⁾، فإن الناحية الصرفية تقعد اشتقاق المصادر من الأفعال المضعفة النابعة عن فعل تكون قياسية، نحو تفعيلاً، كما الأصل في كذب، تكذيباً؛ غير أنها جاءت على صيغة فعّالاً، جوازا، فتكون فعّال من مصادر التفعيل، وحجة ذلك ما أنشده الكسائي:

لَقَدْ طَالَ مَا رَيْثْنِي عَنْ صَحَابَتِي وَعَنْ حَوْجٍ قَضَاؤُهَا مِنْ شِفَائِنَا⁽⁴⁾

أما ما يمكن الوصول إليه من إيجاء دلالي زيادة على التفعيل والتفخيم وربما على التحضّر والتّمَدّن*، هو ذلك الجرس الشديد الذي يني عن حصول

- (1)- محمد عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، عالم الكتب، القاهرة، 1975م، ص: 5.
- (2)- تمام حسان، اللغة العربية والحداثة، مجلة فصول، ج 1، ع 3، المجلد الرابع، عام 1984م، ص: 138.
- (3)- عبد القادر عبد الجليل، الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى، 1417هـ/ 1997م، ص: 66.
- (4)- الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، 18/31 =

شيء مثير، قد أثر في جوانب متعددة، جعلت من عنصر التفعيل قائما على هذه العلاقة، وهذا ما أقره أحد الدارسين بأن الصوت «يتأثر بما قبله وما بعده؛ أي الظروف المحيطة به»⁽¹⁾، مما يجعل من شاهدنا الصوتي كذاباً معبرا عن مدى المغالاة والمكابرة في الصنيع؛ إذ يتكلمون بما هو إفراط في الكذب، فعل من يغالب في أمر، فيبلغ فيه أقصى جهده⁽²⁾.

ولعل أن هذا العدول من المصدر القياسي إلى المصدر السماعي، وبخاصة في هذا السياق القرآني، يمكن أن يتضمن قيمة أسلوبية تعرف بالالتفات، باعتباره مفهوم يشمل سائر أنواع التحول في الكلام⁽³⁾، ويشمل أيضا مصطلحات الصرف، والعدول، والانصراف، والتلون، ومخالفة مقتضى الظاهر، وشجاعة العربية، وما إلى ذلك⁽⁴⁾، يشير هذا الخطاب عبر هذه الأسلوبية الخاصة إلى التعدد السماعي والإجراء القرآني لفحوى هذه الرسالة التذكيرية، وهذا ما نقله أحمد مطلوب عن الزمخشري في كشفه: «لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد، وقد

(*)- يرى الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه: في اللهجات العربية، ص: 91، أن القبائل البدوية بوجه عام تميل إلى الضم؛ لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية، بينما مالت القبائل المتحضرة إلى الكسر. ينظر عبد القادر عبد الجليل، الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي، ص: 63.

(1)- ينظر تفصيل ذلك عند محمد حماسة عبد اللطيف، الإعلال والإبدال بين القدماء والمحدثين، مجلة مجمع اللغة العربية، ع 86، 1980م، ص: 169.

(2)- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد عوض، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، 1418هـ/ 1998م، 6/ 301.

(3)- شكري عياد، اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب، انترناسيونال برس، القاهرة، الطبعة الأولى، 1988م، ص: 96.

(4)- حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1418هـ/ 1998م، ص: 11.

تخص مواقعه بفوائد»⁽¹⁾، فعمد الالتفات هاهنا إلى إنتاج طاقة تأويلية تحليلية زائدة، وخارجة عن نطاق ما ألفته من أفهام، وما استرعته من أسماع، فكان العدول الصوتي من "تكذيباً إلى كذاباً" أبرع وأنسق، وأكثر ملاءمة وانسجاماً لرسالة الخطاب، خاصة عند الوقفة الصوتية، مما يتيح فرصة لتأمل الدلالات الإيحائية ومواقفها المنبعثة من كل صوت في العبارات القرآنية.

وبما أن لغة الخطاب القرآني فاعلة ناضجة، لغة حية دوماً في دلالاتها وإيماءاتها وإيجاءاتها، فقد حافظت على عناصرها الحيوية، والتي لها علاقة وطيدة بالإدراك السمعي، الذي يمكن أن يوسع أفق فهمنا للغموض أو القصور اللساني المرتبط بأحادية التصريف (فَعَلَ تَفْعِيلاً)، فيوسع من مجال الاشتقاق السمعي الوظيفي، ويجعل منه مفاتيح لها علاقة بمختلف صيغ الإدراك الحسي والمعنوي، وبالتالي تساعد المتلقي تدوير الدلالات وتمايزها من صيغة لأخرى، أو حملها على ما هو في الأصل أدلّ وفي الفرع أجلّ، فيتضح في الأخير أن ما كان للوهلة الأولى عدولاً صوتياً، أو انحرافاً قاعدياً، أو خروجاً عن الأصل، أو بعبارة أخرى غموضاً لسانياً، لا يمكن أن يقع إلا في السياق الذي ترد فيه المفردة التي انشقت من المصدر الأصل، وذاك مجال واسع فسيح فسحة تدبر الخطاب وتأمل دلالاته.

ن/الوقف:

الوقف، والتسكين، والقصر، والجزم، والإمكان، كلها مصطلحات تفيد حبس الصوت أو قطع النفس عند آخر الكلمة، اسماً كانت، أم فعلاً، أم حرفاً، والأصل فيه «أن يكون بالسكون، سواء أكانت الكلمة الموقوف عليها منونة أم غير

(1)- أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الأولى، 1989م، ص: 223.

منونة، ومن القواعد المشهورة؛ الوقف على السكون، والابتداء بالحركة»⁽¹⁾. وله في لغتنا وفي القراءات عدة أحكام، أغلبها أنه «لا يجوز أن يوقف بالتضعيف فيما كان مختوما بتاء التأنيث»⁽²⁾، لأنه يحدث تغييرا في عدد المقاطع الصوتية، وفي موضع النبر، وفي المعنى ككل؛ إذ يصير آخر الكلمة ساكنا مضعفا، بدلا من متحركا مشبعا بهاء السكت المؤنثة، وذلك في مثل (جليّ وجليّ)، و(زمنيّة، وزمنيّة).

فكما هو معروف أنّ «ترتيل القرآن الكريم، والتزام أحكام المدود والوقوف فيه، يولد قدرة معرفية صوتية، تتأكد تثبيتا وأصالة، مرة إثر مرة، حتى تتلبس فينا لبوس الفطرة اللفظية في إصدار الأصوات وفق البناء الصوتي المثالي، الذي شاء الله آية من آيات إعجازه فينا، تحاكي التكامل والسواء في الخلق والتفاعل (...) بصياغات كلامية وتركيبية، تغاير السمت البلاغي والبياني والإعجازي في النص الإلهي»⁽³⁾، غير أنه يفقد تلك القيمة البلاغية في الخطاب الوضعي مهما كانت رتبته وبلاغته؛ لأنه قد يعجز على تفصل الكلام قراءة وتوجيها، وعدم اكتناف الأسماع كلية، فيرغب فيه إقبالا، ويزهد فيه طلبا.

غير أنه ومن خصوصيات الخطاب القرآني استرعاء الجرس الموسيقي الذي يحدث بواسطة ترجيع كلي أو جزئي لمادة معجمية أو أكثر، فيخلف ذلك ضربا من التوازيات أو المشاكلات، أو المزدوجات اللفظية»⁽⁴⁾، وما أكثرها ورودا، وأحملها وجوها بلاغية، وبخاصة تلك التي ترد وفق تتابع صوتي أحادي أو مزدوج،

(1)- عبد العزيز بن علي الحربي، الشرح الميسر على ألفية ابن مالك، دار ابن حزم، الرياض، الطبعة الأولى، 1424هـ/ 2003م، ص: 355.

(2)- المرجع نفسه، ص: 358.

(3)- محمد فريد عبد الله، الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم، ص: 125.

(4)- نعيمة زواخ، البنية الإيقاعية في الخطاب القرآني، ص: 197.

أو تكراري^(*) وذلك «من باب التقريب والتمثيل لأذهان المتلقين، وتجسيد الموقف التعليمي لهم، حتى يتلاءم ذلك مع مستوى عقولهم»⁽¹⁾، حينها يعمد عبر فنون القول والتلاوة والأداء، وصلا ووقفا إلى إجلاء المعاني، فتقع منه الصوامت بصواتها موقع الضابط الدلالي الذي يفسح المجال للقراءات التأويلية، فتتعاقد جل الوحدات الصوتية بصفاتها وإيحائها مع ما طرأ عليها من صوتية الإيقاع وقفا، لتبين تلك «القيمة المعنوية لها، ويضاعف من رونق حسنها، وينوه بالفائدة اللغوية (الصوتية) التي يكشف عنها نظمها الفريد، ويتضمنها أسلوبها المعجز»⁽²⁾.

وقد أثرنا الوقف في هذا السياق على فاصلة قد جمعت من الصّوت أنسبه وأبرعه وأنوعه، لتطغى جماليتها في هذا التنويع المنساق تبعا للسياق. يقول الله تعالى: (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ (33) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَيِّهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37) وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (39) وَوُجُودٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْنَا غَبْرَةٌ (40) تُرْهِقُهَا قَتْرَةٌ (41) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ (42))⁽³⁾، فأي طاقة إيحائية يستجليها الوقف، وأي إيقاع صوتي ينتاب النفس حين سماعها، كاشفة من وراء كل وقف جملة من

(*) يغلب مثل هذه السياقات في قصار المفصل، التي أغلب سور مكية، وما لها من سمت تقريري نهولي، أو ما يناسب عموما موضوع توحيد الربوبية، فتعتمد على مثل هذه الفرائد من النظم، كسور الحاقة، المطففين، والقارعة... وغيرها، وتظهر بامتياز لا متناه كما في سورة الرحمان، لاعتمادها آية البأرنة كما نحتها د/ عبد الملك مرتاض في كتابه: نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمان، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001.

(1)- عبد الملك مرتاض، نظام الخطاب القرآني، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001م، ص: 125.

(2)- محمود السيد حسن، التعبير اللغوي في أمثال القرآن الكريم، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2001م، ص: 383.

(3)- سورة عبس، الآيات: 33-42.

المسائل والقضايا الغيبية التي أقرها الخطاب، فبعد أن أخبر الله تعالى عن الصاخة، وهي «الصَّاكَّة بشدة صوتها للأذان»⁽¹⁾، ذكر أهوالها من فرار بمعانيه من تباعد واحتراز، وعدم نصرة وموالة، ثم ذكر أحوال الناس هنالك، بين مدارج السعادة ومدارك الشقاوة، كل تلك المعاني مقررة مع كل فاصلة، وما لها من طابع تصوري في النفس، وكأنه في كل وقفة من الوقفات تنبع الدلالات في تكاملات معنوية، مليئة بالإثارة والانفعال، تحدها السكتات بصورة دقيقة، ومع كل تفصيل.

وحيث «يوجد في الخطاب العادي علاقات تتخطى حدود الجملة، وتضفي على الخطاب بنية إضافية إلى تلك البنية المستخلصة من اللغة المستعملة استعمالاً عادياً»⁽²⁾، فإنَّ الوقف في سائر الكلام لا مناص منه، من انتهاء العبارات والجمل، وقد يكون السكت بانتهاء النَّفْس، وعلى أي عبارة كان الوقف كان مقبولا؛ فإنَّ الوقف وسكت في التلاوة والأداء شيء أكثر من هذا، إنه يكون دليلاً فعلياً للمعنى، جعل النظم منه الصوت مادةً، والجرس الموسيقي دَعَمًا، والفاصلة متكا، ويستند عليه المتلقي في استنباط المعاني، وإجلاء الدلالات، وإعطائها سمتها العامة من أوجه بلاغية، وانفعالات نفسية مستقاة من ظلال الأصوات، و«تقلب الصورة اللفظية في بعض الأحرف الكلمات، بحسب ما يلائم تلك الأحوال»⁽³⁾، فإذا هو خطاب شامل القراءة لكل الناس، فتتحرك له نفوسهم بما جادت به قرائحهم وطبائعهم مع كل قراءة، كما «تستجيب فيهم لكل حركة من النفس لفظة المعنى

(1)-الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، 64/31.

(2)-رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، ص: 55.

(3)-مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مكتبة الكتاب العربي، بيروت،

1425هـ/2005م، ص: 35.

الذي هو أصل هذه الحركة، ثم لا تكون هذه اللفظة إلا كأنها خلقت لذلك المعنى خلقاً⁽¹⁾.

وللوقف في القرآن الكريم ضوابط وقواعد تحدد مشروعية الوقف فيها^(*)، فهو قائم وفق علم متقن الأحكام، منتظم القوانين، لا يحسن إلا في مواضعه المحددة؛ لأن القرآن معجز في حركاته وسكناته وسائر نظمه، وحتى في وقوفه، فقد تكون المعاني معلقة بدرجة الوقف وحسنه، متبينة المعالم مع كل وقفة، ومثال ذلك قوله تعالى: (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا يَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ...) ⁽²⁾، فالوقف على لفظة (منافقون)، يختلف عن الوقف عند لفظة (المدينة)، كما يختلف تماماً عن الوقف عند (لا تعلمهم)، ووصل اللفظين السابقين، وبالتالي؛ فإن للوقف علامات معنوية بالدرجة الأولى، يقوم بتحديد المعاني وتمييزها، كما يؤدي الجهل به إلى تداخل المفاهيم والأحكام وغيرها، كما في الوقف القبيح على: (...وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا...) ⁽³⁾، فالوقف على لفظة (والراسخون)، يوهم بمعنى غير مراد؛ وذلك لعلم (الراسخون) أيضاً التأويل، وهذا غلط، مما يلبس

(1)-مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 131.
(*) ثابت أن الإمام علي حينما سئل عن معنى الآية (... وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تُرْتِيلاً)، المزمّل، 4، قال: تجويد الحروف ومعرفة الوقوف (جمع مفردة وقف). قال ابن الجزري: ففي قول الإمام علي رضي الله عنه دليل على وجوب تعلم التلاوة ومعرفة الوقوف، ولقد اشترط كثير من أئمة الخلف على المجيز ألا يجيز أحداً إلا بعد معرفة علم الوقف والابتداء. للاستزادة في ذلك ومعرفة أحكام الوقف. ينظر كامل المسيري، الجامع في تجويد قراءة القرآن الكريم، ص: 306، وما بعدها.

(2)-سورة التوبة، الآية رقم: 101.

(3)-سورة آل عمران، الآية رقم: 7.

المعنى، ولهذا وغيره، يؤكد الوقف علاقة الجرس والإيقاع وتنوعه بتنوع المضمون واختلافه من سياق لآخر. وربما كان «الإيقاع هو المعنى»⁽¹⁾.

يؤكد ذلك السيد قطب، بقوله: «هناك المواضع التي يتناسق فيها التعبير مع الحالة المراد تصويرها، فيساعد على إكمال معالم الصورة الحسية أو المعنوية، وهذه خطوة مشتركة بين التعبير للتعبير، وبين التعبير للتصوير، فهي مفرق الطريق بين السطوح المستوية والقمم المتدرجة»⁽²⁾، فهذا يعبر عن اختلاف الوقوف لاختلاف السياق والمعنى، كما في قوله تعالى: «قَالُوا أَمَئْتُا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121) رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ»⁽³⁾، وقوله تعالى: «فَأُلْقِيَ السُّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَئْتُا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى»⁽⁴⁾. وفي فائدة أخرى، يمكن قول أن الحرف في القرآن الكريم وما يعتريه من ظاهرة الوقف عليه، يملك هو الآخر إيجاء حادا، وبخاصة إذا تعلق بالفاصلة؛ «ذلك إن لم يكن يدل دلالة قاطعة على معنى، يدل دلالة اتجاه وإيجاء، ويشير في النفس جوا يهيئ لقبول المعنى، ويوجه إليه ويوحى به»⁽⁵⁾، وفي ذاك مقصد شريف القدر، جليل النفع؛ حيث «يحمل في بنائه خصوصية الشمولية؛ حيث تتضافر عليه كل من النبوة والنعم والنظام في خدمة أهدافه الرّسالية، ولقد تخطى النظم القرآني

(1)- محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، دار بوتقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1989م، 1/ 178.

(2)- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1423هـ/ 2002م، ص: 90.

(3)- سورة الأعراف، الآية رقم: 122.

(4)- سورة طه، الآية رقم: 70.

(5)- محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، بيروت، ط6، 1975م، ص: 261.

إطار النظمية المحددة، ليؤصل خطابه الفني التطبيق، القائم على جمالية يتساوق فيها
المبنى والفحوى»⁽¹⁾.

وهكذا؛ فقد تؤدي ظاهرة الوقف الصوتية إلى تنوع في الأداء حسب
مواضع الوقف، وهو يفضي إلى اختلافات في شكل الجملة من حيث بدايتها أو
نهايتها، بل من حيث نوعها؛ فقد تكون خبرية بوقف وإنشائية بوقف آخر، ثم هو
يمدنا بتحليلات نحوية مختلفة، وفي نهاية المطاف يؤدي إلى تنوع في المعنى مما قد
يتضمنه من تنوع في الأحكام^(*).

ح/ الإمالة:

وهي من الناحية الصوتية «أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو
الياء، ويقال له التقليل، والتلطيف، وبين بين»⁽²⁾، وأكثر الحروف العربية إمالة؛ ما
أورده مكي بن أبي طالب، وهي: «الألف والراء، وهاء التانيث»⁽³⁾. فاما الألف
فوجهها أن تمال الألف نحو الياء، على نحو ما ذكرناه من أمثلة في الفصل الأول،
وأما الراء وهاء التانيث؛ فإمالتهما تستدعي إمالة ما قبلهما مسبقا. وأغلب الظن أن
هذه الحروف لكثرة استعمالها وتداولها، انتابها هذا النسق الصوتي المميز؛ إذ
أضحت أبرز ظاهرة لغوية صوتية، مشكّلة في عدة لغات من المناطق العربية.

(1)- سليمان عشارتي، الخطاب القرآني، مقارنة توصيفية في جمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات
الجامعية، الجزائر، 1998م، ص: 340.

(*)- من تقديم الأستاذ الدكتور عبده الراجحي، لكتاب الوقف في القراءات القرآنية وأثره في المعنى،
مجدي حسين، ص: 4، وينظر أيضا: محمد رزق شعير، الفنولوجيا وعلاقتها بالنظم في القرآن الكريم،
مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، 1429هـ، 2008م، ص: 173.

(2)- مكي درار، المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص: 114، عن النشر في القراءات
العشر، لابن الجزري، 30/2، وما بعدها.

(3)- مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القرآن وتحقيق التلاوة، تح/ أحمد حسن فرحات، دار
عمار، الأردن، ط3، 1417هـ/ 1996م، ص: 129، 130.

يعتمد تداخل هذه الظاهرة الصوتية كثيرا مع مبدأ التفخيم على حرف الألف بين الكتابة والنطق، خاصة في الرسم القرآني لها، فهي في النطق «الف» تستدير في نطقها الشفتان قليلا، مع اتساع الفم نتيجة لحركة الفك الأسفل، ويرتفع مؤخر اللسان قليلا، فيصير الفم في مجموعه حجرة رنين صالحة لإنتاج القيمة الصوتية التي نسميها التفخيم على لغة أهل الحجاز⁽¹⁾. أما في الكتابة؛ «فليس سببه نطق الألف، ولو أن كتبه المصحف أرادوا أن يثيروا إلى تفخيم الألف، لكتبوا كل ألف مفخمة في القرآن بالواو، ولالتزموا كتابة الصلوة والزكاة والحياة بالواو في القرآن كله، ولكن ذلك لم يكن، فهي أضيفت، كتبت بالألف، نحو: (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْنِيدَةً...)»⁽²⁾، و(وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا...)»⁽³⁾ (4).

ومثل هذه الرسوم في القرآن الكريم كثير، فيخالف الرسم النطق، والنطق الرسم، من خلال انزياح الفتح نحو الضم تارة، وهذا يناسبه الواو، وانزياحه نحو الكسر تارة أخرى، وهذا ما يصلح فيه الثبات على هيئته الأصلية. وعموم القول، أن «التفخيم هو الأصل، والإمالة طارئة، والذي يدل على أن التفخيم هو الأصل، أنه يجوز تفخيم كل ممال، ولا يجوز إمالة كل مفخم»⁽⁵⁾.

(1)- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، 1994م، ص: 53.

(2)- سورة الأنفال، الآية رقم: 35.

(3)- سورة الجاثية: الآية رقم: 24.

(4)- مختار الغوث، لغة قریش، دار المعراج، الطبعة الأولى، 1418هـ/ 1997، ص: 32. عن أبي عمرو الداني، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، تح/ محمد أحمد دهمان، دمشق، دار الفكر، 1403هـ، ص: 54.

(5)- السيد يعقوب بكر، نصوص في النحو العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1984م، ص: 82.

وهذا له كل العلاقة مع المنطوق (السمعي) والمكتوب (البصري). أما ظاهرة الترقيق؛ فهي موضوع قراءاتي، يعتمد بالخصوص على ألوان النطق القرآني في مختلف اللهجات، فلا يمكن التحدث عنه بمعزل عن علم القراءات القرآنية؛ إذ هي الأصل، وكل هذا يدل على تقارب الأصوات، ومشاكل الحروف، وانتلاف السمع، بين المكونات التركيبية للألفاظ، وهذا من دواعي الأسلوب المستحسن في النطق، فلا يصح النطق السليم أن «يكون وحشيا غريبا، أو عاميا سخيفا»⁽¹⁾.

أما المثال الذي سيتم عرضه شاهدا، هو قوله تعالى: (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا)⁽²⁾، حيث قرئ «بالإمالة والتفخيم معا، وبإمالة الأول، وتفخيم الثاني، فالحجة لمن أمالها أنه دل بالإمالة على أنها من ذوات الياء؛ لأنهم يميلون الرباعي، وإن كان من ذوات الواو، فذوات الياء بذلك أولى، والحجة لمن فخمها أنه أتى بالكلام على أصله؛ لأنه قد انقلبت الياء ألفا لفتح ما قبلها، فاستعمال اللفظ أولى من استعمال المعنى»⁽³⁾، وبذلك يكون تأثير الإمالة واضحا على التصويت، طاغيا على المعنى، استنادا للقاعدة الصرفية التي تولي العناية لها بقلب الياء ألفا مماله، والتي أصلها (أَعْمَى).

وهناك من يؤكد صرف هذه الصيغة إلى صيغة المبالغة، وذلك حينما نربطها بسياقها الذي وردت فيه، وهو سياق الآخرة «التي يحشر الله فيها الكافر أعمى بصرا وبصيرة بعد أن كان في الدنيا أعمى بصيرة لا بصرا، فيكون عمى الآخرة أشد

(1)- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت 474هـ)، أسرار البلاغة، تح: هنري ريتز، دار المسيرة، ط 3، 1403هـ، ص: 4.

(2)- سورة الإسراء، الآية رقم: 72.

(3)- ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تح/ د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط 3، 1399هـ/ 1979م، ص: 217.

وأعظم على الكافر من عمى الدنيا»⁽¹⁾، ومعنى ذلك: «جعلُ الأول صفةً والثاني بمنزلةً أفعَل، ومعناه: ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى منه في الدنيا»⁽²⁾.

ومهما اختلفت القراءات القرآنية في ذلك يسيرا، واثلت في الأسماع كثيرا، فإن مثل هذه الظواهر الصوتية، لا تعدو أن تكون علامة خصوصية للتناسب الفني، ومقياسا صوتيا للجانب اللغوي، ولئن كانت هذه المورفوفونيمات تطريزات تأخذ شكلا وظيفيا على مستوى المفردة، فإنّ هناك ظواهر صوتية أخرى متعلقة بالتركيب؛ حين تتضافر التشكيلات الصوتية والصرفية معاً، وتصبح لهما دلالة في سياق معيّن، تختلف معالمة من خطاب لآخر، وتتقطر منه مكامن دلالية لا تصلح إلا فيه.

(1)- سليمان بن علي، المظاهر الصرفية وأثرها في بيان مقاصد التنزيل، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، ع8، السنة الرابعة، ص: 134.
 (2)- ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص: 217.
 (230)

جهود عبد الرحمان الحاج صالح
في الصوتيات وتكنولوجيا اللغة الحديثة

جهود عبد الرحمان الحاج صالح في الصوتيات وتكنولوجيا اللغة الحديثة

كـهـ - الأستاذة: رميساء مزاهدية
جامعة محمد خيضر (بسكرة) / الجزائر.

مقدمة:

نبغ عبد الرحمان الحاج صالح في علوم اللسان فاغترف من مصادره قديما وحديثا⁽¹⁾ فاعجب بأصالة التراث اللغوي عند الخليل وسيبويه، ويقصد بالأصالة هاهنا... الأشياء البديعة التي انفرد بها علماء العربية في ذلك الزمان، فمضى يوازن ويقارن بين التراث اللغوي العربي واللسانيات الغربية، بغية التوضيح والتقريب نحو التأصيل لنظرية لسانية عربية، فقد وقف في قراءاته للقديم والحديث موقف الممحص والمدقق لأقوال العلماء، مخضعا كل ذلك للغرلة، ولا يقبل بأي رأي ولا يتبناه إلا إذا قام الدليل الذي يوصله إلى درجة الاقتناع لتقبل تلك الأقوال، وقد عرف بموضوعيته العلمية، وقد كان مولعا بإدخال التكنولوجيا إلى اللغة، فناضل جاهدا من خلال أبحاثه العلمية اللغوية على ضرورة ربط اللغة العربية بالعلم، فاللغة المطلوبة هي التي تحمل شيء ذو قيمة، والشيء الذي له قيمة هو العلم والتكنولوجيا اللذان يضمنان للعربية مستقبلا وآفاقا، وقد قال فيه

(1) ينظر: محمد خان، الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح وجهوده في بعث التراث اللغوي العربي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 05، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، جوان 2009م، ص: 01.

الدكتور شوقي ضيف: «قد أتى بمباحث جديدة لم يسبق إليها وهو مشكور على هذا الجهد العلمي الرائع»⁽¹⁾.

فكان له الفضل في إعادة بعث وتجديد الرؤية للمدرسة الخليلية وبالأخص في الصوتيات الخليلية الحديثة ومكانها من النزاعات اللسانية الحديثة⁽²⁾ وانتهج في ذلك منهج الدقة والتحري في كل ما تركه علمائنا الأوائل، مناديا على ضرورة الحرص في البحوث اللغوية الحديثة على مفهوم الأصالة والعمل عليها، وهو ما لاحظناه في بحوثه ويعرف الأصالة بقوله: «الأصالة تقابل في الحقيقة التقليد أي كان المقلد المحتذى به سواء كان العلماء العرب القدماء أو العلماء الغربيين، إذا الأصيل هو لا الذي يكون نسخة لغيره»⁽³⁾.

إذن لابد على الباحث في عمله أن يأتي بشيء جديد مهما كان الزمان والمكان الذي يعيش فيه، وأن يبتعد على التقليد أي التبعية العمياء لأقوال الغير واتخاذها كحقائق لا تقبل الجدل من غير دليل يثبت صحتها، فهذا يؤدي إلى اجترار المفاهيم مما يتولد عنه الجمود الذي يفتك بالإبداع، ولكن ليس معنى هذا أن ينغلق الباحث على نفسه على حد قول عبد الرحمان الحاج صالح «أن يعيش الإنسان بالاعتماد على ما يصنعه هو وحده أو يرقى به العلم بدون أن يراعي ما ابتكره الآخرون فالعلم أحوج الأشياء إلى التفاعل والتداخل والأخذ بما يأتي به الآخرون»⁽⁴⁾.

(1) عبد الرحمان الحاج صالح، تقديم شوقي ضيف، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007م، 8/1.

(2) ينظر: المرجع نفسه، 7/1، 8.

(3) المرجع نفسه، 11/1.

(4) المرجع نفسه، 12/1.

ويورد ذلك بالشرح لموقف العالم ذي الأصالة من هذا الأخذ وكيف ينبغي أن يتم، وذلك بعدم الاطمئنان مقدما وقبل النظر إلى كل ما يصدر من الغير، سواء من العرب أو من الغرب، حتى يقوم الدليل الذي يحمل الإنسان بل يجبره على تقبل أقوال غيره⁽¹⁾، وهذا ما يثبت أن عبد الرحمان الحاج صالح كان صارما في علمه غير متساهل، فأفة العلم التساهل على حد قوله، فعمل على «غرس الاتجاه العقلي في اللغة بعد تنقيح النقل وظل قواما على عمله الأكاديمي في أعماله التي ربط فيها بين الدراسات العربية القديمة والحديثة مع الدراسات الغربية»⁽²⁾.

وهذا ما أثبتته تكنولوجيا اللغة التي سهر عبد الرحمان الحاج صالح على إنجاحها وتميز بها في أبحاثه فيما يخص الصوتيات فقد صار بالإمكان أن نبرهن على صحة ما قالوه، والأهم من كل ذلك مواصلة العمل الذي ابتدأه هؤلاء العلماء، وننتقل في ذلك من الأقوال الصحيحة، وهكذا نتخلص من التقليد مهما كان، سواء كان تقليد الغربيين في كل ما يقولونه أو التقليد الأعمى لكل ما ذهب إليه السابقون من علمائنا، فنحافظ بذلك على أصالة بحثنا⁽³⁾.

إذن على الباحث أن يجتهد وأن يتمتع بالأصالة وألا يكون نسخة لغيره، إذ لا بد أن يحقق ذاته بإبداعه وابتكاره لا بأس أن يسير على خطى العلماء محصا ومدققا لتزداد خطاه قناعة وثباتا، ليبني مفاهيمه على أرضية صلبة لينطلق منها نحو القمة في أبحاثه وهذا ما جسد في الجهود الصوتية لعبد الرحمان الحاج صالح.

فأعجب بأصالة التراث اللغوي العربي، وخاصة بـسيوييه وشيخه الخليل، فكرس عمره في أبحاثه لمعرفة ما كان يقصد الخليل، ولعل إعجابه به يعود إلى

(1) عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 12/1.

(2) صالح بلعيد، مقاربات منهجية، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2004م، ص: 148.

(3) ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 267/1.

عبقريته «فالخليل أحد الكبار العباقرة الذين لهم مفخرة الحضارة العربية»⁽¹⁾ فعمل على إحياء هذا التراث والتأكد منه من خلال إضفاء الصبغة العلمية عليه أو ما يسمى بتكنولوجيا اللغة.

للخليل نظرة أصيلة فيما يخص الأصوات والنظام الصوتي، فللعرب من المفاهيم في ذلك ما لا يوجد إطلاقاً في الصوتيات التقليدية الغربية كمفهوم الحركة والسكون (الصوامت والصوائت) ومفهوم حرف المد⁽²⁾، فالصوتيات الخليلية كانت سابقة لأوانها في فكرها ودقتها، وهو ما أثبتته التكنولوجيا الحديثة، «فقد عرف قيمة الدراسات الصوتية، وصلتها باللغة، فرتب الحروف الهجائية على نحو صوتي من الحلق والقم إلى الشفتين، وبين مواطن إخراج الحروف من حلقية، شجرية، أسنانية، نطعية وذلّقية وشفوية، وقد حدد مخرج كل حرف على وجه دقيق، ثم بيان صفاتها وخصائصها، وهو عمل لا ينهض له إلا المتخصص والباحث الذي يرجو من وراء بحثه ثمرة في دراسة اللغة»⁽³⁾.

فكأنك تحس أن الخليل كان على علم بالجهاز الصوتي وتركيبه وأجزائه وما اشتمل عليه من أحياز ومدارج فاستطاع أن يحدد مخارج الأصوات⁽⁴⁾ ولعل عبد الرحمان الحاج صالح كان في وصفه وتشبيهه للنظام الصوتي الذي تصوره علماء اللغة الأولين دقيقاً فمثله بمصفوفة، «فترتيب المخارج عندهم هو ترتيب لأجناس من الأصوات على المحور الأفقي وكل جنس (في داخل عمود) يتفرع عن

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج 1.

(2) ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 1/ 225.

(3) حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2009م، نقلاً عن عبد العقار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، ص: 34.

(4) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ص: 10.

الآخر بزيادة صوت الحركة ثم حرف المد (+مد) ثم اللين (شيء من الجمود) ثم الرخو (جهود أكثر) ثن بين (رخاوة + مد) ثم الشديد (جهود مطلق)⁽¹⁾.

ومن جهوده الصوتية أنه تحدث عن أمور مفصلية في بحثه «تعال نحى علم الخليل أو الجوانب العلمية المعاصرة لتراث الخليل وسيبويه»، فحاول أن يبين من خلاله مميزات هذان العبقريين وما لهما من تصور علمي وأدوات تحليلية لا يضاهيها في القيمة العلمية إلا ما ابتكره العلماء في عصرنا هذا «وذلك لا من الناحية اللغوية فقط بل أيضا من الناحية المنهجية التجريبية منها والنظرية كالأطار التجريبي الفسيولوجي»⁽²⁾، فعمد إلى المشاهدة الدقيقة في ميدان فسيولوجية الصوت اللغوي فتبين له امتياز العرب بنظرة خاصة بهم كما سبق وذكرنا، لا يوجد مثلها في الصوتيات التي صدرت عن علماء الهند قبلهم وتنحصر فيما يسميه العرب الحركة والسكون، فهو شيء لا يوجد مثله في الصوتيات الحديثة⁽³⁾.

إذن على الباحث أن يتأمل جيدا هذا الذي يسميه العرب الحركة والسكون (الحرف المتحرك أو الساكن)، فيما توصلت إليه الصوتيات الحديثة في ميدان التكنولوجيا اللغوية.

النحاة العرب لا ينظرون إلى التسلسل الصوتي في الكلام على أنه مجرد توالي لمقاطع صوتية، وأن كل مقطع وهو أصغر ما يمكن أن ينطق به عندهم، يتكون من مصوت على الأقل أو صامت مع مصوت وغير ذلك، فإنهم لاحظوا أن

(1) عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 226/1.

(2) المرجع نفسه، 59/2.

(3) إلا عند سوسير ومن تبعه فإنه يسمي المتحرك (explosive)، والساكن (implosive) وهذا لا يلتزم كثيرا بمفهوم المقطع ولهذا قل من يلجأ إلى ذلك من الصوتيين، ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 61/2.

الكلام مظهرين، مظهر يخص الكلام كأصوات، ومظهر يخص حراكيته وكيفية تسلسله أو حدوثه، فيجب ألا يخلط الباحث عندهم بين ما هو راجع إلى الصوت كظاهرة تخص السمع، وبين الآليات التي ينبنى عليها تسلسل الكلام فلكل قوانينه الخاصة به، وعلى هذا الأساس ركزوا في تحليلهم على العلاقات الموجودة بين القوة الاندفاعية للحركة المحدث للصوت، وما يتصف به الصوت اللغوي من قوة وضعف⁽¹⁾.

إذن لهذا السبب قاموا بتسمية المصوت حركة، لأن المقصود منها عند الخليل هو الحركة العضوية الهوائية التي تمكن من إخراج الحرف والانتقال منه إلى حرف آخر، وفي الغالب يرافقه مصوت، وللشرح والتفصيل يورد لنا عبد الرحمن الحاج صالح مجموعة من أقوال الرماني.

القول الأول: «حروف المد واللين قد تباعدت بالخاصية^(*)، عن الحروف الصحاح تباعدا شديدا...، إذ هي من جنس الحركات التي يضطر إلى زيادتها لإمكان النطق بها، وليس ذلك للحروف الصحاح، فلما تباعدت بالخاصة من جميع الحروف الصحاح صارت بمنزلة ما تباعد بالمخرج»⁽²⁾.

القول الثاني: «الحروف تتقوم بالحركة على ما يمكن النطق به ولا تتقوم بالحرف من الياء ونحوها ويتوصل بالحركة إلى النطق بالحرف ولا يتوصل بالحرف إلى النطق بالحرف»⁽³⁾.

(1) عبد الرحمن الحاج صالح، وبحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص: 64.

(*) الخاصية: الصفة المقابلة للمخرج.

(2) المرجع نفسه، 2 / 179.

(3) المرجع نفسه، 2 / 180.

ويقابل حينئذ الحركة بالسكون في هذا القول الثالث، فيقول: «لأن الحركة تمكن من إخراج الحرف* والسكون لا يمكن من ذلك»⁽¹⁾.

ويوضح ذلك أكثر من خلال القول الرابع: «إذا تحرك الحرف اقتضى الخروج منه إلى حرف آخر»⁽²⁾.

ومعنى ذلك أن للحركة دور أولي هام وهو تمكين الناطق من إحداث الحرف ومن ثم دور آخر ملازم للدور الأول ويليه وهو الانتقال من مخرج حرف إلى مخرج حرف آخر.

وبعد عرض عبد الرحمان الحاج صالح لأقوال الرماني يُعقب عليها بقوله: «هذا الذي قاله الرماني مهم جدا لأن النظرية الصوتية العربية بنيت كلها على هذه الرؤية الحركية، وبذلك نستطيع أن نفهم لماذا سميت الحركة حركة، ونفهم أيضا الكثير من الظواهر الصوتية»⁽³⁾.

ولا ننس أن هذه الأقوال هامة جدا فهي تفسير لكلام سيبويه والخليل فقد قال سيبويه: «هن (أي الحركات) يلحقن ليوصل إلى التكلم به»⁽⁴⁾.

ويضيف عبد الرحمان الحاج صالح على ذلك، بأنه لا بد من أن نفهم كلام الخليل عندما يقول: «الحروف 28 لكل حرف منها صرف وجرس، فأما الجرس فهو فهم الصوت في سكون الحرف، وأما الصرف فهو حركة الحرف، أما الألف اللينة فلا صرف لها إنما هي جرس مدة بعد فتحة، فإذا وقعت صروف الحركات

(*) الحرف: الجامد وحرف المد.

(1) عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 2/ 180.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه.

(4) المرجع نفسه.

عليها ضعفت عن احتمالها، واستنابت إلى الهمزة أو الياء أو الواو كقولك: عصاة وعصائب، وكاهل وكواهل...»⁽¹⁾.

وعلى هذا ينبغي أن نفرق بين جرس الحرف، وهو ما يدرك منه بالسمع وهذا يخص الصوت في حد ذاته وهو هوية الحرف الصوتية السمعية، وقد فسرته بالحركة وهو يخص إحداث الحروف والخروج منه إلى حرف آخر⁽²⁾.

وبعد عرض عبد الرحمان الحاج صالح لهذه المفاهيم خرج بصفوة مما سبق، أن الخروج من حرف إلى حرف آخر، كما يقول الرماني، أو الانفصال من حيز إلى آخر كما يقول من جاء بعده، هي الميزة الجوهرية الحقيقية التي تميز الحرف المتحرك من الساكن، فإن الحركة في الأول ليست أي حركة عضوية وهوائية بل تلك التي يرتفع بها العضو وينتقل بها الهواء من موضع إلى موضع آخر، وهذا خلاف الحرف الساكن الذي يمتنع فيه العضو والهواء معه من الانتقال من الموضع، وعلى هذا فالحركة في الحرف المتحرك أخص من الحركة العضوية الهوائية⁽³⁾.

إذن الحرف الساكن هو حبس بعد إطلاق، وهو وقف لا يلزم منه الانتقال، أما الحركة فهي إطلاق لا حركة حبس للعضو والهواء، وللإيضاح يورد لنا مثال يقوله: «فتحريك العضو والهواء هو أعم من تحريك الحرف لأن تحريك الشفتين في الواو الجامدة (القابلة للتحريك)، مثلاً قد يحدث في هذا الحرف سواء كان متحركاً أم ساكناً، أما إذا كان متحركاً فبإطلاق الشفتين أي رفعهما عن الحالة التي كانتا

(1) عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 2 / 180.

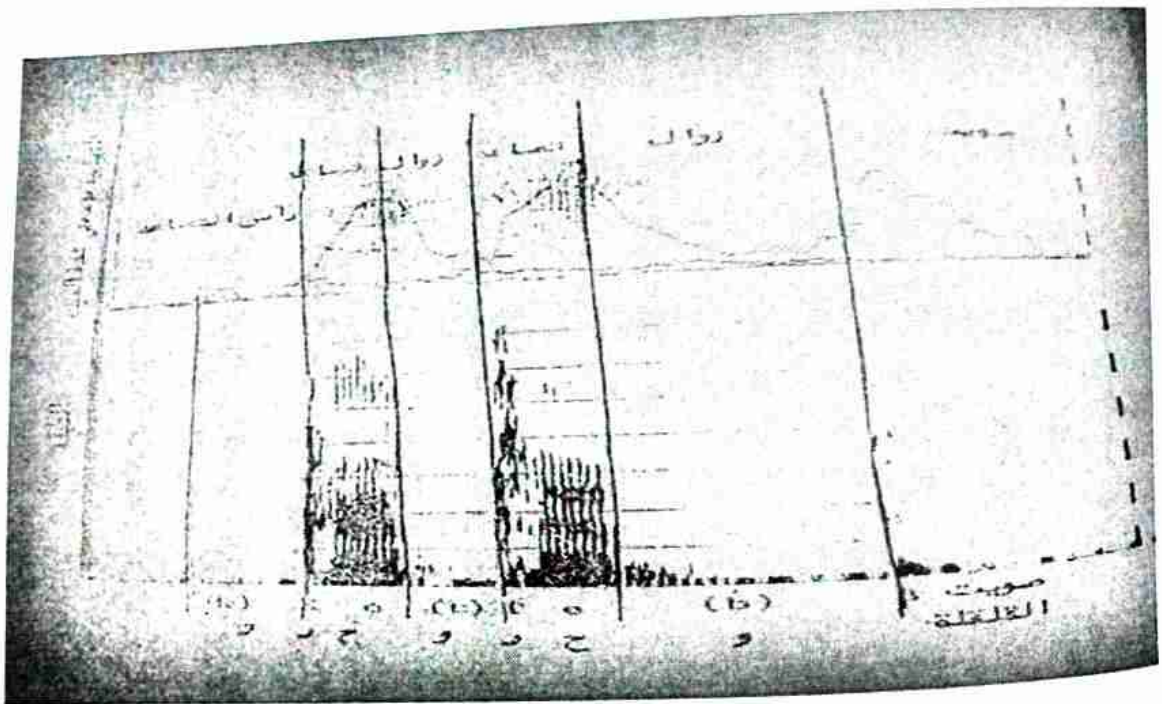
(2) -المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) -المرجع نفسه.

عليها قبل ذلك وهو الانضمام، وأما في التسكين فبالوصول إلى هذه الحالة وهو انضمام الشفتين جزئياً (1).

إذن انطلاقاً من مفهوم الحركة والسكون بنى الخليل عروضه، فتفطن بعبقريته إلى توالي المتحرك والساكن أو المتحرك والمتحرك والساكن يحدث منه إيقاع في الشعر (2).

ولعل خير مثال يفسر الحركة أو بالأحرى الفترة الحركية التي ينتقل فيها الناطق من مخرج إلى آخر، وهي في الحقيقة الفترة التي تشغلها الحركة أو السكون مع ابتداء حركة وهو التحليل الذبذبي والطيفي لعبارة كُتِبَ، فهو مشاهد عينية آنية لكيفية تحرك الحرف وبالتالي الانتقال إلى موضع حرف آخر، وما يحدث خلال هذه الفترة الانتقالية الحركية.



(1)-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 2 / 180.
(2)-المرجع نفسه، 2 / 65.

ملاحظات على التحليل الطيفي لكلمة: كَتَبَ⁽¹⁾

1- الحركتان ليس فيهما إلا تصاعد القوة ويزول ذلك بزوالها أي بوضع العضو في موضع الحرف الذي يليها، والدليل على ذلك هو الطيف لصوت الحركة فإنه لا تظهر فيه البواني لصوت إلا أثناء حدوث الحركة.

2- كما يبدو في هذا الرسم الذبذبي: لا تناقض في آخر صوت الحركة وإن كان المنحنى الدال على شدة الصوت متنازل إذ التنازل يحصل بعد انتهاء الحركة والطيف يبين ذلك (في موضع t) لا أثر لصوت حركة).

إذن عمد عبد الرحمان الحاج صالح إلى إخضاع المتحرك والسكون للاختبار والكشف عن حقيقتهما الفيزيولوجية والفيزيائية آليا⁽²⁾، فتبين له أن قوة التلفظ وضعفه مرتبطان أشد الارتباط بتحريك الحرف وتسكينه، كما تصوره العرب وأثبتته الباحثون من المختصين بالصوتيات التجريبية بالنسبة إلى أكثر اللغات.

2- الجهر والهمس:

كانت من الصفات الصوتية التي اهتم بها عبد الرحمان الحاج صالح، وسعى إلى الكشف عن الفروق الموجودة بينهما باستعمال التكنولوجيا الحديثة. «عُرِفَ الفرق بين القائم بين الحرف المجهور والحرف المهموس في وجود اهتزاز للأوتار الصوتية، وإحداث صوت حنجري بالتالي مع الحرف المجهور وعدم وجود ذلك مع المهموس»⁽³⁾ ويؤكد على صحة ذلك مشيراً إلى أنه أشار إلى ذلك

(1)- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 2/ 66.

(2)- للتعلم في فهم التحرك والسكون في الاختبار، ينظر، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 1/ 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201.

(3)- المرجع نفسه، ص: 285.

السيرافي في شرحه للكتاب بقوله: «لا تصل إلى تبين المجهور إلا أن يدخله الصوت الذي يخرج من الصدر»⁽¹⁾.

وصوت الصدر هو ذلك الصوت الحنجري بدليل مقابلته للنفس، وعلى هذا الأساس يميز بين المجهور والمهموس بوجود صوت الصدر مع المجهور.

وهو ما قال به سيبويه: «أما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخ لأنهن يخرجن مع النفس لا صوت الصدر»⁽²⁾.

وفصل في ذلك السيرافي لقوله: «قال سيبويه: إنما فرق بين المجهور والمهموس أنك لا تصل إلى تبين المجهور إلا أن يدخله الصوت الذي يخرج من الصدر... فأما المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها»⁽³⁾.

إذن كل الحروف التي تخرج من صوت الصدر نقول عنها أنها مهجورة، وهو الأمر الذي انطلق منه عبد الرحمان الحاج صالح، وحاول أن يبينه بفضل التكنولوجيا الحديثة أن حدوث الصوت الحنجري مع الحروف المجهورة غير كاف لتحقيق التمييز في جميع الأحوال، فقد تميز عن المهموسة في الكلام المهموس (الوشوشة) الذي لا صوت حنجري فيه، لهذا قال سيبويه: «فالمجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت»⁽⁴⁾ ويشبه الرماني قوة الاعتماد بقوة النقر، وهذا النقر حاصل لا محالة

(1)- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص: 285.

(2)- المرجع نفسه، 2 / 62.

(3)- المرجع نفسه، 2، 63.

(4)- المرجع نفسه، 1 / 285.

بفضل تمدد الجلدة المخاطية في موضع الحرف وقد قسنا ذلك بألة خاصة (الأغشية المخاطية)، وبين أن التوتر الغشائي زائد في المجهورة على المهموسة⁽¹⁾.

3- الصوتيات وتكنولوجيا الآلات في خدمة اللغة الحديثة:

التمعن والدقة بالملاحظة والتجربة الصوتية المخبرية، كانت الأساس في أبحاثه الصوتية «وعلى هذا فلا بد من النظر المتمعن في كل ما يصدر من... النظريات وتمحيصها تمحيصا عميقا، والالتفات إلى ما وجه لهذه النظريات من الانتقادات الموضوعية في نفس البلدان التي ظهرت فيها وفي غيرها، وقد حاول الباحث أن يبين أن التراث العلمي اللغوي الأصيل مما أبدعه الأولون ثري بالأفكار الأصيلة والمناهج النافعة والتحليلات العميقة، وهي لا تقل قيمة عما جاءت به الدراسات الحديثة، وذلك مثل المفاهيم العربية في الصوتيات فقد تبين له بالاختبار وبالاستعانة بالتكنولوجيا الحديثة أن أغلبها صحيح»⁽²⁾.

فعلم الطبيعة (الفيزياء) استطاع أن يُقرض علم اللغة أبعاضا من أساليبه وتجاربه، وآلات مبتكرة من أدواته وأجهزته، استفاد منها اللغويون وأفادوا، والمسوغ الذي سوغ علم اللغة أن يفترض من علم الفيزياء هو أن الفيزياء فرعاً يدرس الأصوات⁽³⁾.

إذن أحدث علم الأصوات الفيزيائي ثورة هائلة في الدرس الصوتي، باستخدام الآلات في تحليل الصوت «فمن المعروف أن الصوت هو اضطراب اهتزازي للهواء، كما قال علماؤنا قديما، إنه تموج الهواء أو كيفية تعرض الهواء عند

(1)- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 1/ 185.

(2)- ينظر: صالح بلعيد، مقاربات منهجية، ص: 148.

(3)- غازي مختار طليعات، في علم اللغة، دار طلاس، دمشق، الطبعة الثانية، 2000م، ص: 33.

التموج، ويمكن أن ترسم هذه التموجات أو الاهتزازات بأنواع كثيرة من الآلات»⁽¹⁾.

ومن هذه الآلات الفسيولوجية الكيموجراف^(*) «التي تسجل التحركات النطقية المختلفة للسان والشفيتين والطبق واللين والنفس، كما أنه بمساعدة غشاء من المطاط، وبعض الكبسولات أمكن عن طرق الكلام أمام قطعة الفم mouth piece الحصول على رسم يوضح التقلبات في تيار الهواء، وبالتالي يحدد الفرق الفسيولوجي بين أصوات العلة، والأصوات الاحتكاكية والانفجارية من ناحية تيار الهواء»⁽²⁾ وقد طُورت هذه الآلة، وتوصلوا الآن إلى تبديل الريشات والأسطوانة بالأشعة الكاثودية في آلة نسميها المهزاز Oscillographe، «وفائدتها عظيمة إذ لا يحدث احتكاك في رسم الذبذبات فتكون بذلك الرسوم أدق بكثير ويمكن المموج والمهزاز من تحليل الكلام إلى مكوناته الصوتية، وتتبع تحولاتها في أثناء حدوثها وفي آن واحد أي تمكنا من أن نشاهد تحولات الصوت الحنجري، مع تحولات صوت الخياشيم والصوت الصادر من الفم وكذلك ضغط الهواء، وكل ذلك في آن واحد فنستطيع أن نتبين بدقة متناهية اقتران هذه الأحداث الصوتية بعضها مع بعض في حدوثها (أو عدم اقترانها)»⁽³⁾.

وبالتالي النتائج الاستقرائية المتوصل إليها تكون جد دقيقة مبنية على الملاحظة العينية والتجربة، ومن ذلك «التفاعل الذي يحدث بسبب تأثير المخارج بعضها على بعض أثناء تسلسلها، وهذا مهم جدا، فهو يفسر على أساس اختباري

(1)-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 1/ 270.

(*)-عبارة عن أسطوانة تدور على نفسها وعدد من اللاقطات التي تلتقط الصوت وتحوله إلى ريشات ترسم تلك الاهتزازات على الأسطوانة.

(2)-أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب القاهرة، 1998م، ص: 58.

(3)-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 1/ 271.

محض ظواهر التقريب الصوتي، الإدغام والإبدال والإعلال على حد تعبير علمائنا»⁽¹⁾.

هذا فيما يخص الجانب الصوتي والإحداثي للكلام من تحليل وتركيب وإدراك، أما فيما يخص الفحص الفيزيولوجي لرؤية ما يحدث في داخل الحنجرة وداخل تجاويف الجهاز الصوتي الإنساني، كمجواف الحنجرة *Laryngoscope* والسينما المجوافية وهي التي تمكننا بالأشعة السينية أن نبصر ما يحدث في داخل هذه التجاويف من الحركات العضوية من ارتفاع وانخفاض محدثة للأصوات اللغوية* وكذلك الآلات التي تقيس وترسم حركات الأوتار الصوتية وسكناتها وخفقاتها، والتي تقيس ضغط الهواء أو الطاقة العضلية في الحركة العضوية⁽²⁾.

وفي هذا الصدد يقول عبد الرحمان الحاج صالح: «وقد استعملنا في تجربنا في معهد العلوم اللسانية بجامعة الجزائر آلة لقياس تمدد الأغشية المخاطية عند نطقنا بالحروف المهموسة والمجهورة»⁽³⁾.

(1)- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص: 1/ 271.

(*)- كتيبان أن أقصى اللسان يذهب نحو مؤخر الفم (وهذا معنى الارتفاع/ مقابل الانخفاض والاستفال) ونحو الحلق (وهو سبب التفخيم) مع بقاء طرف اللسان في موضع الحرف غير المفخم (س+تفخيم مثلا=ص) وهذا يسبب انطباق اللسان أي شيء مثل الثني وقد لاحظ ذلك ابن سينا، إذ قال ويحدث في اللسان كالتقير وذلك في حرف الصاد.

(2)- المرجع نفسه، ص: 277.

(3)- المرجع نفسه، ص، ن.

ننوه هنا بمجهودات عبد الرحمن الحاج صالح الذي استطاع بمساعدة احمد طالب الإبراهيمي (وزير التربية آنذاك) أن ينشئ معهدا كبيرا للعلوم اللسانية والصوتية بالجزائر في سنة 1966م، جهزه بأحدث الأجهزة، وبعد أول مخبر صوتي في إفريقيا استطاع من خلاله أن يواصل بحوثه بفضل المختبرات الصوتية المتطورة الموجودة فيه¹ فعمل الأستاذ الدؤوب في هذا المخبر وسهره عليه جعله يبدو كأنه قطعة من أوروبا.

وإقرارا بالحق، ومن باب عزو الفضل إلى ذويه يحسن بنا هاهنا أن ننوه بالبحوث الصوتية المخبرية التي اضطلع بها أستاذنا عبد الرحمان الحاج صالح، وعرض فيها على محك هذه الآلات ما جاء في كتب علمائنا الأقدمين، ولا سيما ما رواه سيبويه عن شيخه الخليل بن أحمد في مخارج الحروف وصفاتها- فتبين له أن كثيرا من آرائهم بلغت من الحصافة، وأن غرائزهم أوتيت من الرهافة ما جعل نتائجهم تقارب النتائج التي توصلت إليها الآلات⁽²⁾.

إذن فهذه الآلات الحديثة أكدت الحقائق التي توصل إليها فطاحلة وعباقة التراث اللغوي من نتائج؛ بفضل جهود أستاذنا وحنكته وعمله الدؤوب من خلال أبحاثه اللغوية التي حرص فيها على ضرورة ربط الصوتيات بالتكنولوجيا الحديثة لإعادة بعث التراث اللغوي الخليلي في حلة أصيلة حديثة.

(1)-ينظر: ترجمة البروفسور الجزائري، عبد الرحمان الحاج صالح، أبو اللسانيات والرائد في لغة الضاد عليه رحمة الله، الصادر يوم: الموقع الإلكتروني: www.shamela.dz.com

(2)-غازي مختار طليمات، في علم اللغة، ص: 34.

وللنهوض بالأبحاث الصوتية وربطها بالتكنولوجيا وجعلها أداة طيعة لخدمة نظام لغتنا العربية ينبغي انتهاج استراتيجية واضحة المعالم لنكمل ما ابتدأه أستاذنا ونسير على خطاه لإتمام مسيرته؛ لنجعلها قادرة على الانفتاح والاستمرار ومواكبة التطور ولممارستها فعليا في المخابر بالجامعات لنضمن لها آفاقا في المستقبل ومن ذلك:

- وضع استراتيجية جزائرية عربية موحدة تتضافر فيها الجهود اللغوية وكل الإمكانيات العربية لتحقيق أهداف موحدة وبدون هذه الاستراتيجية الموحدة لن تنجح أي دولة بمفردها في تحقيق شيء له قيمة في هذا المجال.

- في إطار هذه الاستراتيجية الموحدة يجب إنشاء مراكز موحدة متعددة الجوانب والتخصصات للبحث العلمي وذلك بهدف خلق هيئات علمية مدربة على أعلى مستوى في الوطن العربي بصناعة العلم والتكنولوجيا وفق لغتها وإمكانياتها الذاتية وبموادها الخام المحلية وحسب احتياجاتها الفعلية على أن يشرف على هذه المراكز علماء العرب سواء من العقول العربية المهاجرة أو من العلماء الموجودين على أرض الوطن، فنحن بحاجة إلى تكافل كل الجهود.

- إنشاء المراكز المتخصصة للتعريب والترجمة العلمية في كل فروع العلم وخاصة العلوم الطبيعية والرياضية لإعادة التوازن المفقود في مسألة التعريب بين العلوم الإنسانية والعلوم التجريبية⁽¹⁾.

(1)- ينظر: مصطفى النشار، ضد العولة، دار قباء، القاهرة، الطبعة الثانية، 2001م، ص: 235.

وجعل هذه الأخيرة في خدمة علم اللغة ونظامها الصوتي أي استغلال كل ما توصلت إليه هذه العلوم بآلياتها وآلاتها وجعل النظريات التي توصل إليها علمائنا في مفك الاختبار.

- العمل على إعادة العقول العلمية المهاجرة ذات السمعة العلمية إلى وطنها العربي وذلك للاستفادة من قدراتهم وخبراتهم الواسعة التي اكتسبوها من احتكاكهم المباشر بمراكز البحث العلمي المتقدمة في الغرب.

- إدخال مواد تتلاءم وتتوافق مع الاستراتيجية التكنولوجية كالحرص على إدخال الاتجاه التجريبي الرياضي-الذي هو ليس بمجديد على علماء اللغة الذين سبقوا زمانهم واتصفوا به في أبحاثهم- والمقاييس العلمية الدقيقة كمقاييس الملاحظة والتحليل، فغياب مثل هذه المواد يؤدي بالباحث إلى السلوك الناقص والحكم على الشيء بدون الرجوع إلى الواقع، لذلك نسعى إلى استنباتها في نظام لغتنا لتكون لغة التقدم العلمي والتكنولوجي ومن ثم التركيز على تنمية القدرات العلمية لطلاب الجامعات بهدف بث روح العلم والتفكير العلمي المنهجي والمعرفة بمختلف آلاته وكيفية استخدامها في حياته العلمية من شأنها أن تدفع عجلة البحث العلمي والوصول إلى درجة الإبداع.

- التخلص من اعتباطية العمل عند الكثير من اللغويين وعدم خضوعه لضوابط علمية مقننة وعدم الاستفادة من معطيات الاختبار في العلوم اللسانية الحديثة ومنهجية العلوم التجريبية.

-تشجيع الباحثين على الإقبال على قراءة التراث اللغوي وإعادة الاعتبار لما أبدعه العلماء الأولون باستثمار النظرية اللغوية العربية الأصيلة، قد تُكتشف بذرة لنظرية جديدة جذورها عريقة.

-الحرص على تزويد كل الجامعات بمخابر صوتية مجهزة بكامل الآلات يشرف عليها أهل الاختصاص مع تقنيين متخصصين، لتكون عملية التعلم النظري مصاحبة للتطبيق الميداني ولتسهيل عملية البحث على الباحثين في هذا المجال.

كل ذلك من أجل خلق بيئة مواتية بين خصائص لغتنا العربية وبين الخصائص العلمية-التكنولوجية، لذلك ينبغي تضافر كل الجهود والتخصصات اللغوية والعلمية والتقنية للعمل على دراسة المفاهيم اللغوية العربية والتفرغ والانكباب عليها وجعلها تحت مفك الاختبار بالآلات، مع ضرورة الحرص على التكيف العميق لمنهجية البحث والحرص على الملاحظة واستقراء الظواهر من جهة واستخدام الوسائل العقلية من جهة أخرى حتى تصير نتائجنا أكثر دقة وموضوعية، فدعوتي إلى الباحثين أن نواصل خوض غمار البحث العلمي بصفة عامة وفي الدرس الصوتي العربي بصفة خاصة وعلى أعيننا نظارات من التمحيص والتدقيق وألا نكون نسخة لغيرنا، حتى نتمكن من مواصلة ما ابتدأه أبو اللسانيات الجزائري في إدخال التكنولوجيا حتى نتمكن من التأصيل لنظرية صوتية عربية تكنولوجية بحثة قوامها التجديد والإبداع.

- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب القاهرة، 1998م.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج1، دون طبعة، دت.
- حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2009.
- صالح بلعيد، مقاربات منهجية، مطبعة دار هومة، الجزائر، دون طبعة، 2004م.
- عبد الرحمان الحاج صالح، تقديم شوقي ضيف، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، ج1، 2007م.
- عبد الرحمان الحاج صالح، تقديم شوقي ضيف، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، ج2، 2007م.
- غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طلاس، دمشق، الطبعة الثانية، 2000م.
- محمد خان، الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح وجهوده في بعث التراث اللغوي العربي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 05، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، جوان 2009م.
- مصطفى النشار، ضد العولمة، دار قباء، القاهرة، الطبعة الثانية، 2001م.
- ترجمة البروفسور الجزائري، عبد الرحمان الحاج صالح، أبو اللسانيات والرائد في لغة الضاد عليه رحمة الله، الصادر يوم: الأحد 15

سبتمبر 2013م، الساعة 11:07، الموقع الالكتروني: www.shamela.dz.com

.dz. com

التحليل الأكوستيكي المخبري للصوت اللغوي في القرآن الكريم

التحليل الاكوستيكي المخبري للصوت اللغوي

في القرآن الكريم

كـ-د. راضية بن عربية

جامعة حسية بن بو علي/شلف.

الملخص: اهتم القراء -رضوان الله عليهم- اهتمامًا واضحًا بالقرآن الكريم، وذلك بدراسته وتتبع ظواهره اللغوية ولا سيما الصوتية منها، وعلى أساسها قام «علم الأصوات».

ومما لا شك فيه أن جلّ علوم العرب قد نشأت وترعرعت في ظلال القرآن الكريم الذي أحدث ثورة كبيرة قلبت الكثير من المفاهيم والعقليات السائدة قبله، فحفز الهمم وأولى الأرباب من أجل البحث والتنقيب والوصول إلى الحقائق في جميع الميادين.

ومما لا شك فيه أيضا أن المستوى الصوتي يعتبر عمدة الدراسات اللغوية وأساس قيامها لأنه يتناول اللغة في أهم عناصرها، وفي جوهرها المحسوس وهو الأصوات، إذ يتفق جلّ علماء اللغة قديما وحديثا على حدّ اللغة بأنها أصوات (يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)، فكانت ثمار هذه الدراسة الصوتية تستغل ويستند إليها لقيام الدراسة الصرفية والنحوية فتتجلى ملامحها وأثارها فيهما.

وعلى هذا الأساس اهتمت الدراسات القديمة بموضوع السلامة النطقية والأدائية ولا سيما في قراءة القرآن الكريم، فهي تعدّ نقطة الانطلاق واللّبنة الأساس، حيث ساهمت بشكل كبير في إثراء الدرس الصوتي الحديث.

فَاللُّغَوِيُّونَ الْقَدَامَى اسْتَطَاعُوا بِفَضْلِ دِهَائِهِمْ وَفَطْتِهِمْ وَدَقَّةِ مِلَاحَظَتِهِمْ أَنْ يُحَدِّدُوا طَبِيعَةَ الْأَصْوَاتِ وَمَخَارِجَهَا وَصِفَاتِهَا.

أَمَّا اللُّغَوِيُّونَ الْمَحْدَثُونَ اعْتَمَدُوا عَلَى الدِّرَاسَةِ الصَّوْتِيَةِ الْأَكُوسْتِيكِيَّةِ فِي التَّحْلِيلِ الصَّوْتِيِّ الْأَلِيِّ لِلْإثْبَاتِ الْعِلْمِيِّ التَّوْصِيفِيِّ لِمَا قَدَّمَهُ الْأَوَّلُونَ مِنْ وَصْفٍ شَامِلٍ لِلصَّوْتِ اللَّغَوِيِّ وَلَا سِيَّمَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَعِلْمُ الْأَصْوَاتِ الْأَكُوسْتِيكِيِّ عِلْمٌ حَدِيثُ النِّشْأَةِ، يُمَثِّلُ الْمَرْحَلَةَ الْوَسْطَى بَيْنَ عِلْمِ الْأَصْوَاتِ النَّطْقِيِّ وَالسَّمْعِيِّ هُوَ فَرْعٌ مِنْ فُرُوعِ الْأَصْوَاتِ يُسَاعِدُ عُلَمَاءَ الْأَصْوَاتِ عَلَى مَعْرِفَةِ الْأَصْوَاتِ وَطَبِيعَتِهَا بِالِاسْتِعَانَةِ بِالْفِيزِيَاءِ وَوَسَائِلِ الْإِتِّصَالِ الصَّوْتِيِّ، أُطْلِقَ مُصْطَلَحُ الْفَوْنِيَّتِيكَا الْأَكُوسْتِيكِيَّةِ عَلَى الْعِلْمِ الَّذِي يَدْرُسُ الصَّوْتِ بَيْنَ فَمِ الْمُتَكَلِّمِ وَأُذُنِ السَّامِعِ، وَيَعَدُّ فَرْعًا مِنْ فُرُوعِ الْفِيزِيَاءِ (Physique)، لِأَنَّهُ يَدْرُسُ الْجَانِبَ الْمَادِي أَوِ الْفِيزِيَاءِيَّ مِنَ الصَّوْتِ الْإِنْسَانِيِّ، إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ يَدْرُسُ هَذَا الْعِلْمُ مَصْدَرَ الصَّوْتِ وَذَبْذَبَتَهُ، الْمَوْجَاتِ الصَّوْتِيَّةِ أَوِ التَّرَكِيبِ الطِّيفِيِّ لِلْأَصْوَاتِ الْكَلَامِيَّةِ.

إشكالية البحث:

من هنا تبادر لنا طرح الإشكال التالي:

- ✓ - ما المقصود بالتحليل الأكوستيكي، وما هي أدواته الإجرائية؟.
- ✓ - وإلى أي مدى يمكن إسقاط الدِّراسة المخبريَّة على الدِّراسة التراثية، في تحديد القيم التَّمييزيَّة للصَّوْتِ اللَّغَوِيِّ فِي الْإِعْجَازِ الْقُرْآنِيِّ؟.

والهدف من وراء بحثنا هو:

- تطبيق البرنامج الصوتي الآلي (S A) في التحليل الأكوستيكي لبعض الظواهر الصوتية في القرآن الكريم للتمييز بين المفارقات الأدائية بين المقرئ الذي يمثل المرجعية الثابتة والمبتدئ الذي يمثل العينة المتغيرة.
- إنشاء برامج آلية لتيسير تعلم القراءات القرآنية عن طريق الشراكة بين مجيدي القراءات وذوي الاختصاص التقني (الإلكترونيات والإعلام الآلي).

منهجية البحث:

اتبعنا في بحثنا هذا المنهج الوصفي القائم على آليات وصف الظواهر الصوتية وتوصيفها أكوستيكيا وتحليلها مخبريا وإعادة تركيبها إحصائيا.

النتائج المتوقعة:

- ❖ حصر الظواهر الصوتية لسورة الإخلاص بصوت المقرئ محمد ياسين المصري برواية ورش وتحليلها أكوستيكيا.
- ❖ يفيد التحليل الصوتي للعينات في تعيين الصفات الفيزيائية للصوامت والصوائت بمختلف أنواعها.
- ❖ إذا ما خزن صوت أنموذجي لقارئ ما وكان هذا الأنموذج وافيًا وقطع إلى أجزاء مناسبة للدراسة، فإنه بالإمكان إعادة تركيب هذه الأجزاء ومعالجتها آليا، وذلك لتقييمها وتقويمها.
- ❖ محاولة وضع أنموذج صوتي (phonétique model) يتكون من توصيف صوتي دقيق لمخرج الظاهرة الصوتية.

الصعوبات:

وأما الصعوبات التي اعترضتني في إعداد هذا البحث، فأذكر منها:

❖ أولاً: التعامل مع النص القرآني لا بدّ فيه من الحيلة والحذر فالخطأ فيه

مكلف.

❖ ثانياً: إنّ البحث في عالم الأرقام والإلكترونيات ليس بالأمر الهين نظراً

لطبيعة تخصّصي.

1/ ماهية الصوت اللغوي:

تعددت تعاريف الصوت فجاء في التعريفات: الصوت كيفية قائمة بالهواء

يحملها إلى الصّماخ⁽¹⁾، فالأصل إذن في الصوت هو تموج هواء النفس الناتج عن

قلع أو قرع.

والصوت ظاهرة طبيعية، وشكل من أشكال الطاقة، وهو يستلزم وجود

جسم في حالة اهتزاز أو تذبذب، وهذه الاهتزازات أو الدّبذبات تنتقل عبر وسط

معين حتى تصل إلى أذن الإنسان⁽²⁾ وفرّق العلماء بين نوعين من الأصوات:

1- النوع الأوّل: هو الصوت الطّبيعي؛ يصدر من ظواهر الطبيعة وموجوداتها.

2- النوع الثّاني: وهو ما يصدر عن الإنسان دون غيره، فالجهاز النّطقي

للإنسان قادر على إنتاج أصوات كثيرة؛ فالأصوات الصّادرة عنه تكون

ذات معنى، فتنتقل رسالة محدّدة من عقل إنسان إلى آخر⁽³⁾.

(2) انظر: أسس اللغة، ماريو باي، ترجمة: أحمد مختار عمر، ليبيا، جامعة طرابلس، د ط، 1973، ص:

(3) ينظر: المرجع نفسه والصفحة، وينظر المدخل إلى علم الأصوات - دراسة مقارنة، صلاح الدين صالح

الحسين، سوريا، دار الإتحاد العربي، الطبعة الأولى، 1971م، ص: 22. وينظر: دراسات في علم

الأصوات - صبري المتولي، القاهرة، كلية زهراء الشرق للنشر، ط 1، 2006 م، ص: 41.

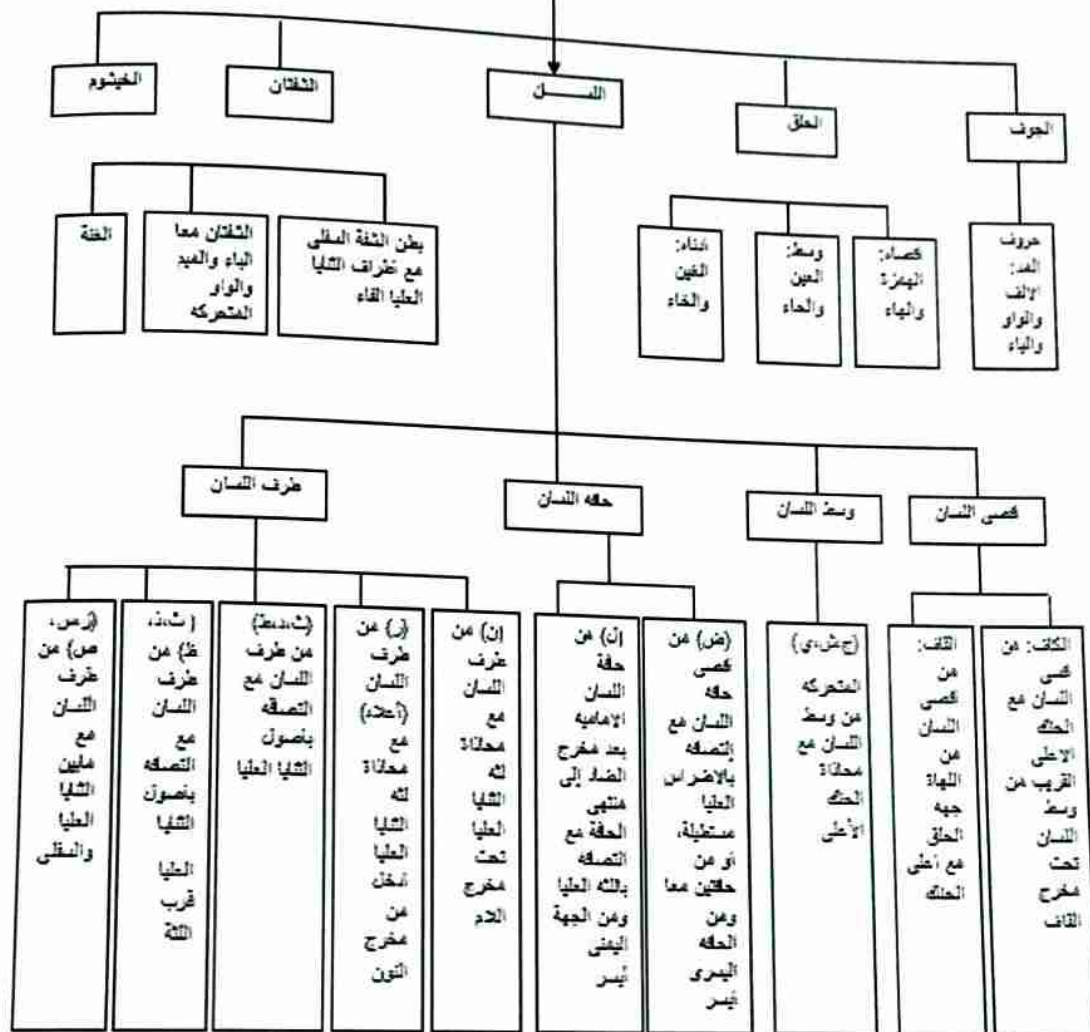
وقد درس ابن سينا الصّوت اللّغوي دراسة علميّة في رسالته، فعرف الصّوت بوصفه ظاهرة فيزيائية في الفصل الأوّل أمّا الفصل الثاني فتكلّم عن حدوث الأصوات اللّغوية، وفي الفصل الثالث تكلّم عن تشريح الحنجرة واللسان⁽⁴⁾، وفي الفصل الرابع تحدّث عن صفات ومخارج أصوات العربية؛ وميّز فيها بين الصّائت والصّامت، أمّا السّادس فخصّصه للحروف الشّبيهة⁽⁵⁾.

حيث أصبحت دراسة الأصوات علماً مستقلاً بذاته، له أهمية بين العلوم الأخرى، لكنّ تاريخه ليس بالأمر الهين على العكس معظم العلوم، فعلم الأصوات لم يظهر كعلم مستقلّ، ولم تظهر كتب متخصصة تناولت تاريخ هذا العلم، ومع ذلك كان للعرب القدامى جهود عظيمة في الدّرس اللّغوي تنمّ عن فهم مبكّر ودقيق لطبيعة الدّرس اللّغوي.

(4) رسالة أسباب حدوث الحروف، أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا - تح: محمد حسان الطيّان ونجى مير علي، سوريا، دمشق ندار الفكر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط 1، 1983م، ص: 65.

(5) المصدر نفسه، ص: 136.

خلاصة مخرج الحروف



(260)

صفات الحروف

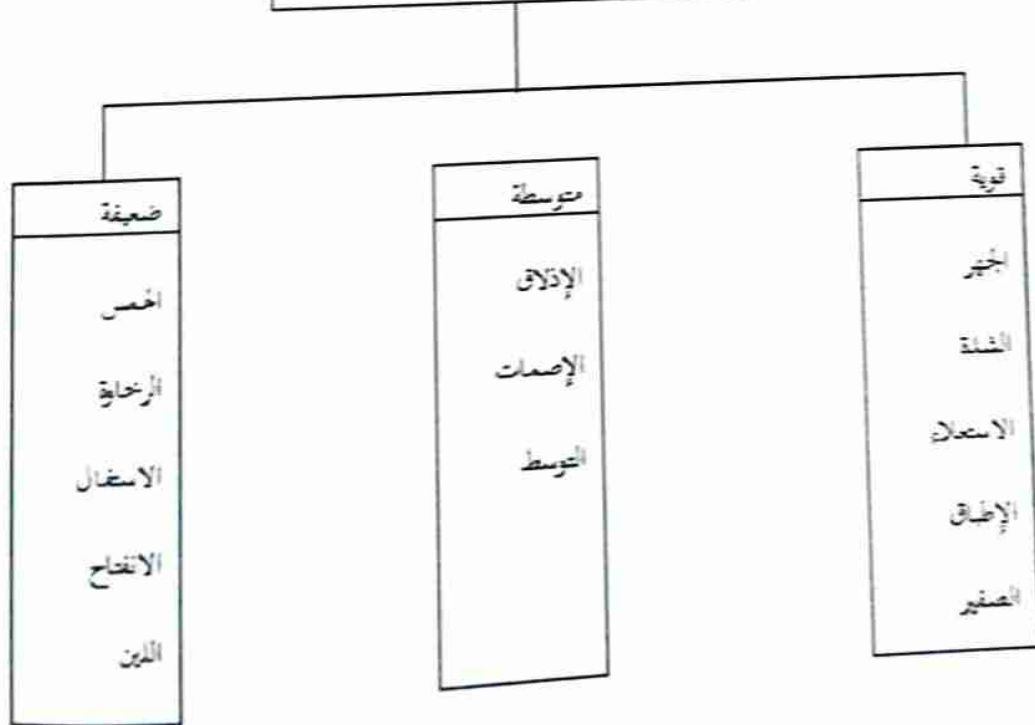
صفات لها ضد:

الصفة					
ضدها					
الصفة	معناها	حروفها	الضد	معناها	حروفه
1-الهمس	جريان النفس	فتحته شخص سكت	الجهير	اتجاس النفس	بقية حروف الهمجاء
2-الشدّة	اتجاس الصوت	أجلد قبط كبت	أ-التوسط	اعتدال الصوت	لن عدر
			ب-الرخاوة	جريان الصوت	ماعدا حروف الشدة والتوسط من حروف الهمجاء
3-الاستعلاء	الارتفاع بالحرف إلى أعلى الحنك	خص ضغط قظ	الاستفال	الانخفاض بالحرف إلى قاع الفم	بقية حروف الهمجاء
4-الإطباق	انحصار الصوت في أعلى الحنك	ص ض ط ظ	الانفتاح	تجافي في اللسان عن أعلى الحنك	بقية حروف الهمجاء
5-الإذلاق	خفة وسهولة حال النطق بالحرف	فر من لب	الإصمات	ثقل وصعوبة حال النطق بالحرف	بقية حروف الهمجاء

صفات لها ضد:

الصفة	معناها	حروفها
1 - الصغير	صوت زائد	ص ز س
2 - الثقللة	نبرة قوية	قطب جد
3 - اللين	السهولة وعدم الكلفة	وي
4 - الانحراف	الميل بالحرف إلى طرف اللسان	ل ر
5 - التكرار	ارتداد طرف اللسان بالراء	ر
6 - التفشي	انتشار الهواء في الفم عند المطلق بالثين	ش
7 - الاستطالة	استداد الصوت بالضاد	ض

جدول الصفات من حيث القوة والضعف



جدول الحروف من حيث القوة والضعف				
أضعف	ضعيف	متوسط	قوي	أقوى
ا	ت	ء	ب	ط
ث	خ	غ	ج	
هـ	ذ	ل	د	
ف	س	م	ر	
ح	ش	ن	ص	
و، ي (لديتان)	ز		ظ	

3/ الصوت اللغوي والقرآن الكريم:

أسهب اللغويون وأئمة القراءات في الحديث عن العلاقة بين القرآن الكريم وعلم الأصوات، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يلقي القارئ إلى جانب اللفظ أصوات اللغة المختلفة، لتعود اللغة العربية على السنة الناطقين بها سليمة كما ينطقها الأولون وكما نزل بها القرآن الكريم (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) ⁽¹⁾. حيث اتخذت المباحث الصوتية عند العرب القرآن أساساً لتطبيقاتها، وآياته مضماراً لاستلهاام نتائجها، وهي حينما تمازج بين الأصوات واللغة، وتقارب بين اللغة والفكر، فإنما تتجه بطبيعتها التفكيرية لرصد تلك الأبعاد مسخرة لخدمة

(1) سورة الزمر، الآية: 28.

القرآن الكريم، فالقرآن كتاب هداية وتشريع لا شك في هذا، ولكنه من جانب لغوي كتاب العربية الخالد، يحرس لسانها، ويقوم أود بيانها، فهي محفوظة به⁽¹⁾.

ورصد أية ظاهرة لغوية يعني العناية باللغة ذاتها، ويتوجه إلى ترصين دعائمها من الأصل، لأن الأصوات بانضمام بعضها إلى بعض تشكل مفردات تلك اللغة، والمفردات وحدها تمثل معجمها، وبتأليفها تمثل الكلام في تلك اللغة، والقدرة على تناسق هذا الكلام وتألفه، من مهمة الأصوات في تناسقها وتألفها، وتنافر الكلمات وتهافتها قد يعود على الأصوات في قرب مخارجها أو تباعدها، أو في طبيعة تركيبها وتناسقها، أو من تداخل مقاطعها وتضامها⁽²⁾.

نستنتج أن الهدف والدافع الديني كان الأساس لانطلاق الدراسة الصوتية عند العرب.

4/ علم الأصوات الأكوستيكي:

علم الأصوات الأكوستيكي علم حديث النشأة، يمثل المرحلة الوسطى بين علم الأصوات النطقي والسمعي هو فرع من فروع الأصوات ولولا تقدم العلوم المختلفة بفروعها لم يكن موجودا، مما ساعد علماء الأصوات على معرفة الأصوات وطبيعتها بالاستعانة بالفيزياء ووسائل الاتصال الصوتي، أطلق مصطلح الفونيتيكا الأكوستيكية على العلم الذي يدرس الصوت بين فم المتكلم وأذن السامع، ويعد فرعاً من فروع الفيزياء (Physique)، لأنه يدرس الجانب المادي أو الفيزيائي من الصوت الإنساني، كما أنّ لكل عملية مؤلفة من متكلم ينتج الأصوات ومن متلق يستقبلها، والمسافة بينهما هي مجال انتقال الصوت، أما مجال الصوت في الحالات

(1) ينظر: الصوت اللغوي في القرآن - محمد حسين علي الصغير - دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، دون طبعة، دت، ص: 73.

(2) ينظر: المرجع نفسه ص: 74.

الطبيعة هو الهواء، إلى جانب ذلك يدرس هذا العلم مصدر الصوت وذبذبته، الموجات الصوتية أو التركيب الطيفي للأصوات الكلامية. وقد استطاع هذا العلم بوسائله أن يقوم بـ⁽¹⁾:

✓ تأييد بعض الحقائق التي تمّ التوصل إليها بالطرق التقليدية، وتأكيده الآراء المتعلقة بهذه الحقائق.

✓ تعديل مناهج الدرس وطرقه، وتغيير ملحوظ في آرائهم وانطباعاتهم السابقة عن الأصوات.

5/ المعالجة الآلية للصوت اللغوي في القرآن الكريم - سورة الإخلاص أنموذجا - :

مراحل معالجة الصوت اللغوي:

يمر الصوت أثناء معالجته آليا بمرحلتين أساسيتين هما⁽²⁾:

I - مرحلة ما قبل المعالجة: تتم خلالها عدّة عمليات:

1. الالتقاط (Acquisition): يتم التقاط الموجة الصوتية ليتم تحويلها إلى

شكل قابل للتخزين (قرص - شريك...) ويكون الصوت أثناء هذه

العملية في شكل موجة تحمل قيما تماثلية.

2. الترشيح (filtrage): وهي عملية تصفية الصوت وعزله عن المتحدث،

ولوضع قاعدة صوتية خاصة به ويكون الصوت أثناء هذه العملية في شكل

موجات تحمل قيما تماثلية.

(1) ينظر: نحو تاصيل للعلم الأكوستيكي في الدرس الصوتي الحديث - زين العابدين سليمان - على الرابط الإلكتروني: <https://phonetics-acoustics.blogspot.com> بتاريخ: 2018/05/31

في الساعة: 09:00 سا .

(2) Cours de phonétique acoustique - E. Emerit - Société nationale d'édition - Alger - 1977 - p 85.

3- التكميم (Quantification): يتم فيها تحديد كمية الصوت، تساعد هذه العملية على تحسين حيوية الإشارة الصوتية، وذلك لإمكانية القيام بمعالجات رقمية دون تخفيض الإشارة الصوتية⁽¹⁾.

4- التقطيع (L'échantillonnage): الإشارة الصوتية غالباً ما تكون مستمرة، وبذلك تقطع إلى عينات للدراسة.

II- مرحلة ما بعد المعالجة:

بعد معالجة الصوت عن طريق البرنامج الخاص (S. P) يتم ما يلي:

1. التصنيف (Classification): يتم خلالها تصنيف العينة الصوتية.
2. التعرف (Reconnaissance): أثناء هذه العملية يتعرف الحاسوب على العينة الصوتية ويتم ذلك بعدها معالجتها آلياً. وبعد تحويلها إلى قيم رقمية عن طريق لبرنامج ويعرضه في شكل صور طيفية متعددة الألوان والدرجات مزودة بمعطيات.
3. التحويل وأخذ القرار: يقوم الحاسوب بتحويل العينات من قيم رقمية إلى قيم تماثلية ليستطيع المعالج اللغوي الحاسوبي فهمها، وضبط النتيجة وأخذ القرار (prix de décision).

(2) هناك بعض الإشارات:

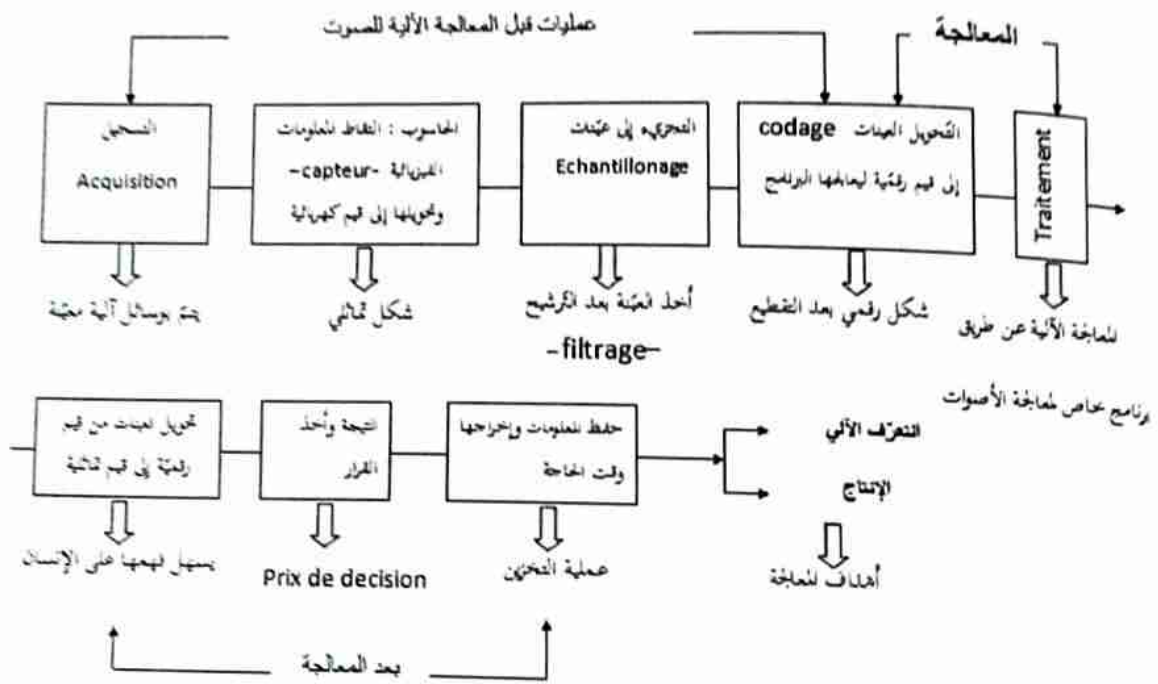
Informatique graphique _méthodes et modèles _Bernard Peroche Djamchid
Ghazanfarpour _Dominique Mechelucci _Marc Rolens _Edition Hermes
_Paris _France _1997_P 20

وينظر: بسام البركة، علم الأصوات العام: أصوات اللغة العربية، مركز الإنماء القومي، لبنان، بيروت، د
ط، 1988 م، ص: 45

4. حفظ المعلومات: يتم حفظ المعلومات المستنتجة خلال المعالجة الآلية ملف وإخراجها وقت الحاجة، وتسمى هذه العملية أيضا بـ: عملية التخزين.

طريقة معالجة الصوت:

وتتم معالجة الصوت عن طريق السلسلة الفيزيائية⁽¹⁾:



فهذه السلسلة الفيزيائية في معالجة الصوت آليا تعتبر همزة وصل بين الحاسوبي (informaticien) واللساني (Linguist)⁽²⁾.

(1) ينظر: راضية بن عربية، الظواهر الصوتية في قراءة نافع، أطروحة دكتوراه علوم، جامعة أبي بكر بلقايد، 2012/2011 ص: 329.

(2) هناك بعض الإشارات في:

حيث تتضافر الجهود بينهما وذلك لخدمة اللغة عامّة واللغة العربيّة بصفة خاصّة.

الدراسة التطبيقية والمخبرية لسورة الإخلاص.

1. تحديد العينات الصوتية:

يتم تحديد العينات الصوتية باعتبار كيفية القراءة القرآنية وذلك بإتباع قراءة نافع وقالون من مد وإدغام وإظهار وإخفاء، وتنوين، ووقف، وإمالة، ونقل، وقلب، وإبدال... الخ.

ثم تمّ تسجيل العينات المطلوبة بإتباع المراحل التالية:

1. تسجيل العينة الصوتية كما هي في واقعها اللغوي المستعمل والعادي.
 2. تسجيل العينة الصوتية كما هي مقروءة عن الإمام نافع بروايته ورش وقالون. باعتبارها المرجعية الثابتة والأصل يقاس عليها ما هو متغير من الواقع اللغوي في تلاوة القرآن الكريم.
 3. تحويل التسجيل المسموع في القرص اللين السمعي (CD-ROM Audio) إلى ملف صوتي خاص يدعى (Mode Wave) والمستخدم للتحليل الصوتي (S. P).
 2. استخدام الرموز أثناء التحليل:
- الرّسم الخطّي لبعض الظواهر الصوتية في المصحف الشريف⁽¹⁾:
2. الوقف: (ص).
 3. الإقلاب: (م).
 4. الإدغام: (-).

(1) ينظر: المصحف الشريف، كلمات القرآن: تفسير وبيان - برواية ورش عن نافع، الخطاط: عثمان طه، سوريا دمشق، دار المعرفة، مطبعة الثريا، ط3، 1425 هـ، ص: 6 وما بعدها.

5. الإخفاء: (').
 6. المد: (~).
 7. الياء المتطرفة: (ے).
 8. التنوين: (=).
 9. الإبدال: (.) : وضع علامة مستديرة كبيرة مقفولة الوسط فوق الحرف.
- * بعرض الرموز المستعملة في التحليل الأكوستيكي:
- Hz : هرتز.
- و : وحدة.
- ز : زمن.
- ثا : ثانية.
- : بالتقريب.
- ← : يستلزم.
- ← = : يستوجب.
- Φ : غياب.
- (م) : مرجعية.
- (مت) : متغير.
- (ص) : وقف.
- (~) : مد.
- () : إخفاء.
- (2) : إدغام.
- (ا) : إقلاب.
- (a) : الفتح.

F : البنية (البواني).

HR : الزوج المرتب.

C : صامت.

V : صائت.

[] : الصوت.

[v] : وقف آلي.

[cc] : إدغام آلي.

[°] : قلقلة.

ملاحظة:

تم تسجيل العينات الصوتية من الذكر الحكيم في ظواهر مختلفة من: وقف - المدّ - إدغام - إبدال - قلب - تفخيم - قلقلة - ... الخ⁽¹⁾.

بصوت المقرئ الإمام محمد ياسين المصري "برواية ورش عن نافع"⁽²⁾ لسورة التوبة كنموذج للفصل التطبيقي المخبري.

3. كيفية دراسة بعض العينات التطبيقية⁽³⁾

الجزء الأول:

يمثل المنحنى البياني - التمثيل البياني - الصوتي للعينه مع إبراز درجة التغيرات على المستوى العمودي والمشار إليه (التغيرات) أي التردد. ودلالة الزمن على المستوى الأفقي بالثانية (ثا).

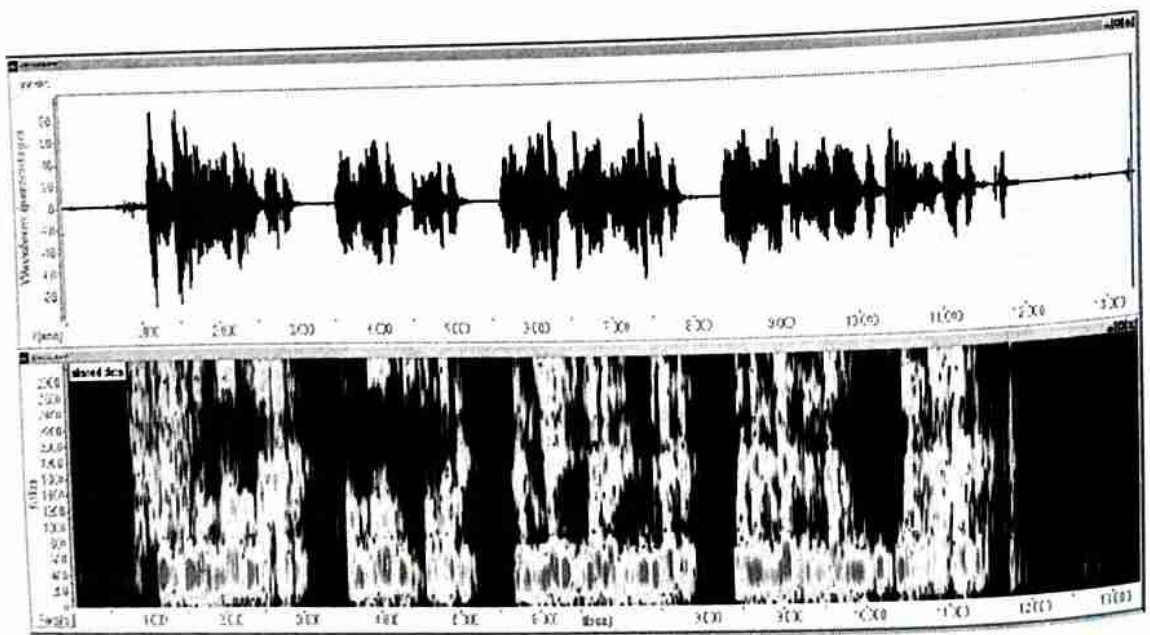
⁽¹⁾ - ينظر: تعلم سورة الإخلاص بالتجويد للشيخ محمد يس في 9 دقائق - على الرابط الإلكتروني: <https://www.youtube.com/watch> بتاريخ 2018/06/01 في الساعة: 12:30

⁽²⁾ - قرص متوفر المقرئ محمد ياسين المصري.

⁽³⁾ - ينظر: الصوتيات العربية - منصور الغامدي - ص: 111 وما بعدها.

يمثل الصورة الطيفية أو الشبكية لصوت العينة على معلم متعامد، وهنا يظهر تغير التردد بوحدة الهرتز (H Z) العمودي، والأفقي يظهر الزمن (ثا).
4. التحليل:

العينة 1: سورة الإخلاص



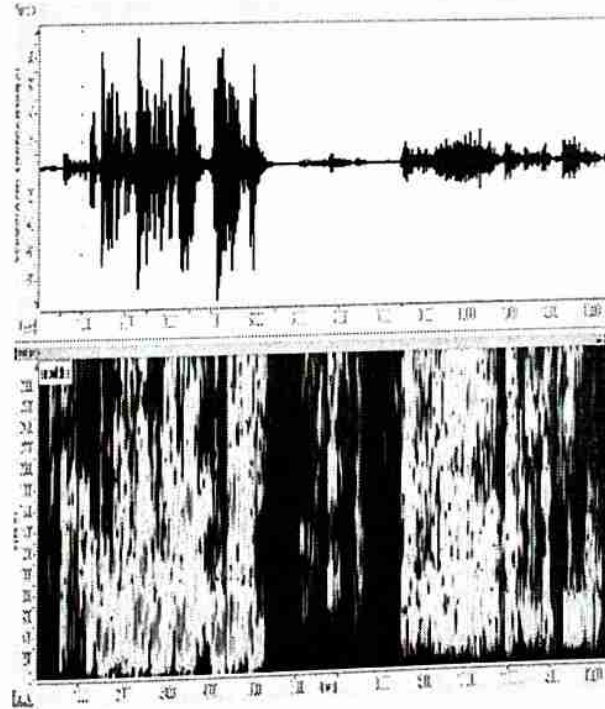
التحليل:

1- التمثيل البياني: استغرق زمن قراءة سورة الفاتحة في مرجعيتها الثابتة 12 ثانية تقريبا.

2- التحليل الطيفي: نلاحظ تشابك في البواني الصوتية $f_1-f_2-f_3-f_4$. وذلك ما سنوضحه في تحليل باقي العينات الصوتية الأخرى في تجزيء الآيات الكريمة وتحليل الظواهر الصوتية تحليلا أكوستيكيا.

العينه 2: (هَوَ)

وَ [wa]





التحليل:

التمثيل البياني:

استغرق نطق الواو مرققة 7.0 ثا لتمثل أعلى وحدة في نطقها 60 وحدة.

← وَ [7.0 ثا - 60 و]

التحليل الطيفي:

نلاحظ ظهور البواني الصوتية الآتية:

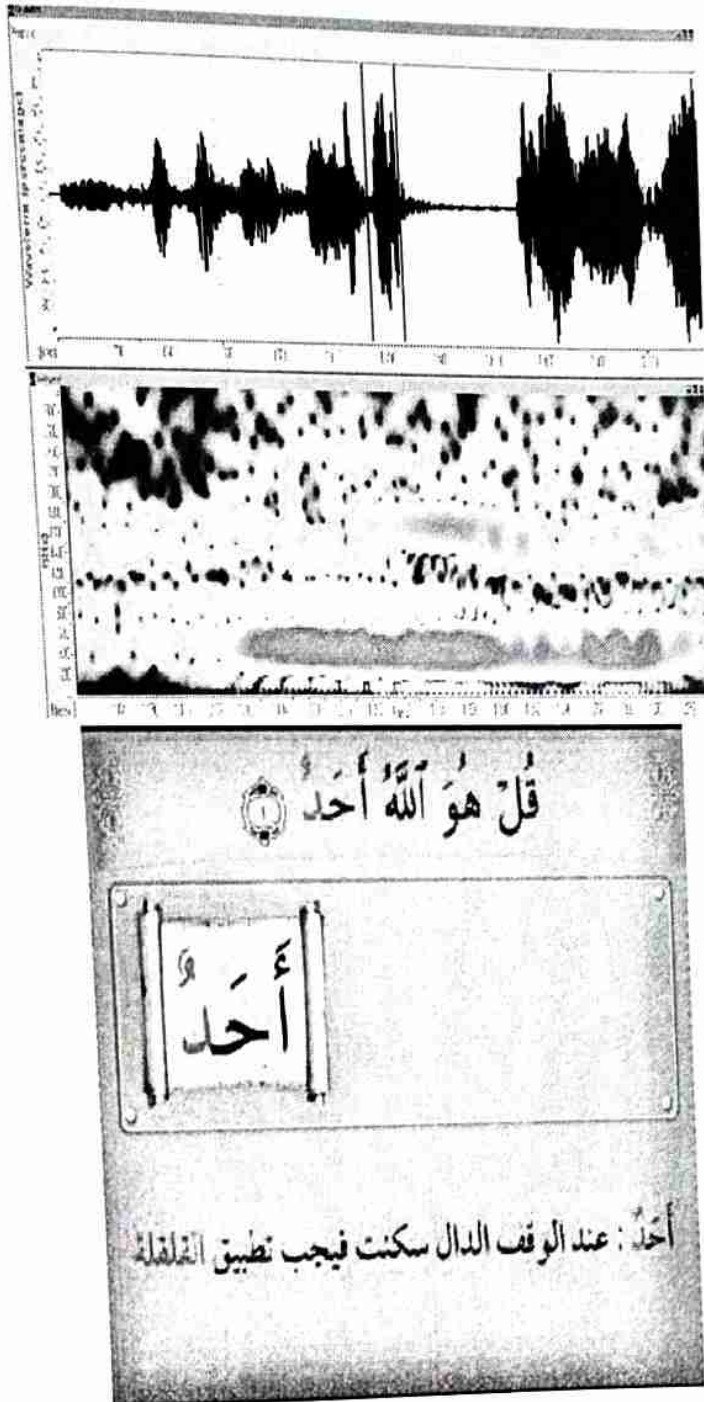
F1 [7.0 ثا - 400 HZ]

F2 [7.0 ثا - 300 HZ]

مما يدل على خفة البواني لرقّة الصوت المنطوق.

العينه: 3: (أحد)

أحد [ahad⁰]



← ذ [d⁰] ← قلقلة صوت الدال.

يعتبر صوت الدال من الأصوات المقلقة + ساكن عند الوقف

التحليل البياني:

استغرق نطق ذ ز: 0.4 ثا.

أعلى وحدة ذ 80 وحدة

ذ [0.4 ثا - 80 و]

التمثيل الطيفي:

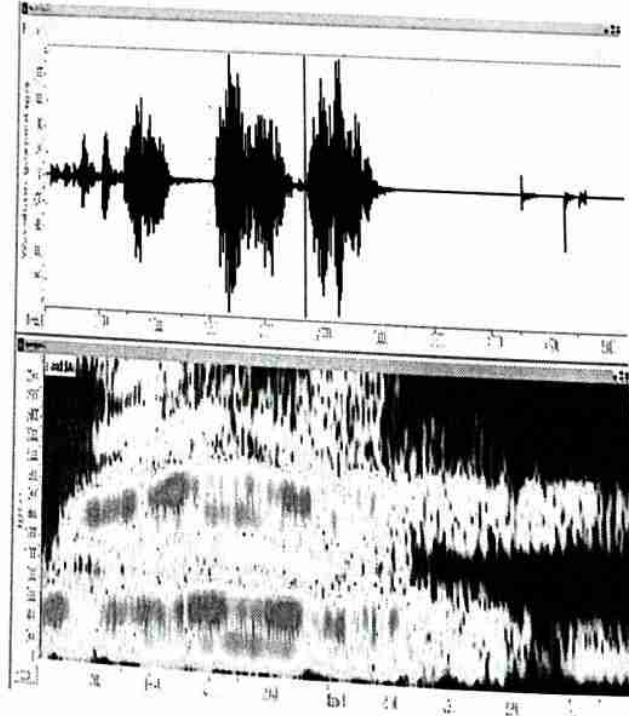
F1 [0.4 ثا - 550 HZ]

F2 [0.4 ثا - 550 HZ]

نلاحظ قلقلة الدال + سكون الوقف مما أدى إلى عدم تشابك البواني
لأن السكون يُضعف من قوة الصوت من قوة الصوت مهما كان مقلقلا.

العينة: 4 (الله)

الله [allah]





الألف ← (ا) [e] نطق الألف مرققة.

التمثيل البياني:

استغرق نطق [e] ز: 0.300 ثا.

أعلى وحدة ذ 59 وحدة

[e] [4 ثا - 59 و]

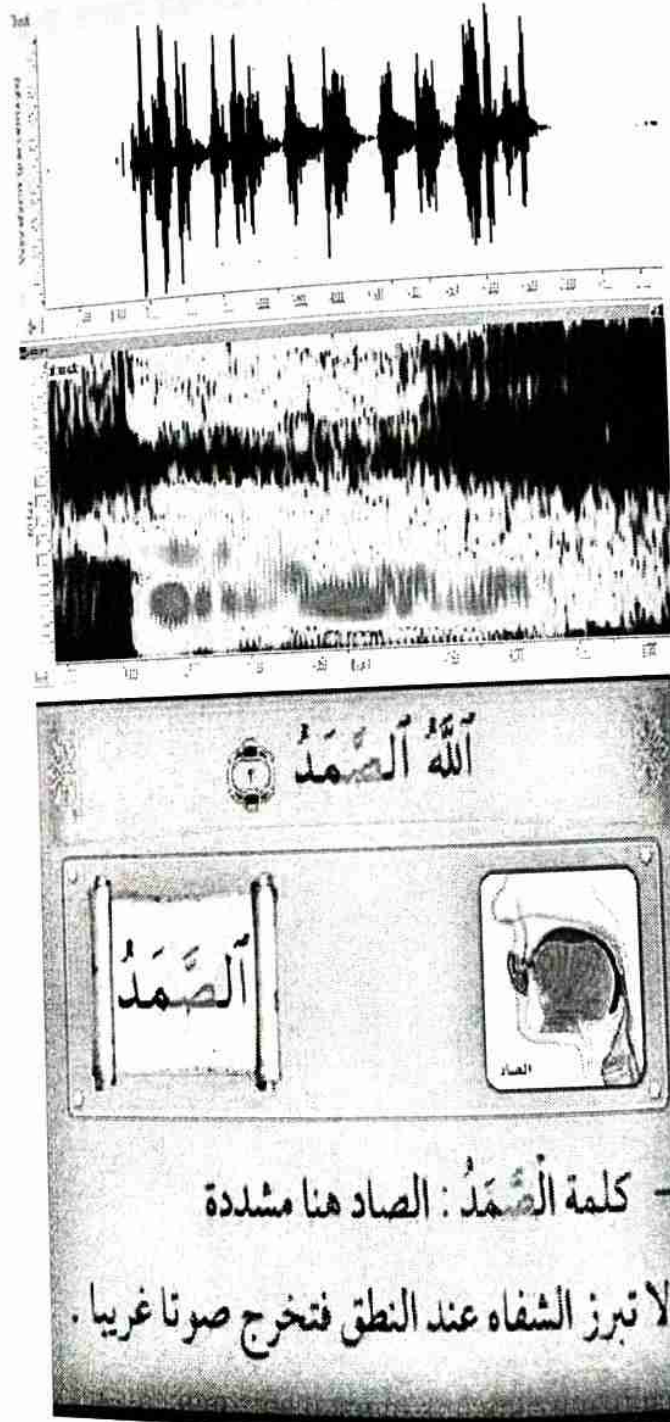
التمثيل الطيفي:

F1 [0.300 ثا - 400 HZ]

F2 [0.300 - 800 HZ]

نلاحظ استطالة في نطق الصوت المرقق مع حركة الفتح.

الصَّمَد [essamad⁰]



مشددة + مفخمة.

[ssa]

ص

التمثيل البياني:

استغرق نطق [ssa] ز: 0.390 ثا.

أعلى وحدة ذ 65 وحدة

[e] [0.390 ثا - 65 و]

التمثيل الطيفي:

F1 [0.390 ثا - 400 H Z] تشابك في البواني

F2 [0.390 ثا - 600 H Z]

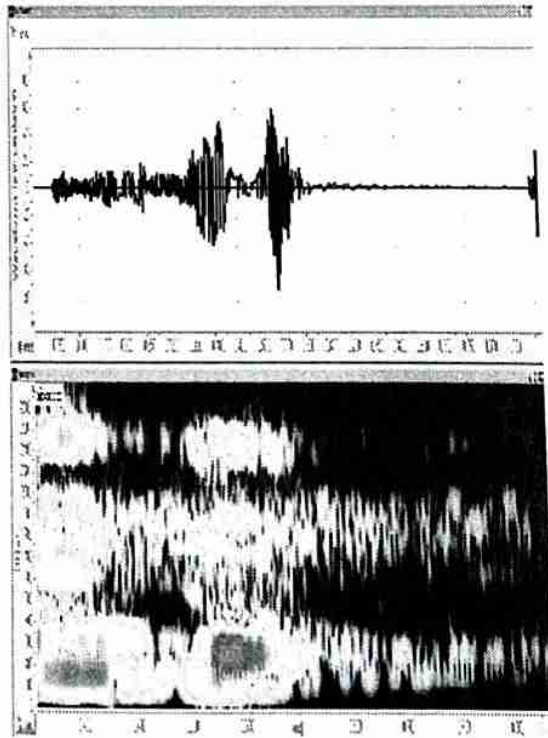
F3 [0.230 ثا - 600 H Z] ظهور طيفي خفيف للبنية الثالثة.

نلاحظ ← تشابك في F1 و F2 قوة صوت الصاد مفخم

+ تحمل حركة الفتح.

العينة: 6 (الصمد)

الصمد [essamad⁰]





← ذ ← [d⁰] قلقة صوت الدال.

يعتبر صوت الدال من الأصوات المقلقة + ساكن عند الوقف

التحليل البياني:

استغرق نطق ذ ز: 0.4 ثا.

أعلى وحدة ذ 80 وحدة

ذ [0.4 ثا - 80 و]

التمثيل الطيفي:

F1 [H Z 550 - 0.4 ثا]

F2 [H Z 550 - 0.4 ثا]

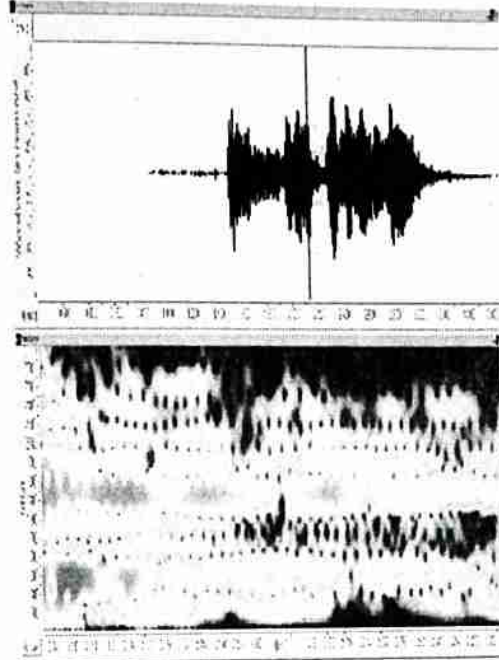
نلاحظ قلقة الدال + سكون الوقف مما أدى إلى عدم تشابك البواني

لأن السكون يضعف من قوة الصوت من قوة الصوت مهما كان مقلقا.

العينه: 7 (يكن له)

يكن له ← يكله ← الإدغام التام.

يكله ← [yakollahou]



وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

يَكُنْ لَهُ

هكذا (يَكُنْ) تقلب النون الساكنة لآما في حالة الوصل
- أما في حالة الوقف يجب عليك إظهار النون،
والقاعدة عندئذ هي :

والقاعدة عندئذ هي :

كل حرف معرى من الشكيل ويليه حرف مشدد
(نطق المشدد ولا ينظر المعرى)

يكله ← [yakollahou]

يكله

التحليل البياني:

استغرق نطق ل مشددة ز: 0.120 ثا.

أعلى وحدة ل 20 وحدة

ل [0.120 ثا - 20 و]

التمثيل الطيفي:

F1 [0.120 ثا - 470 H Z]

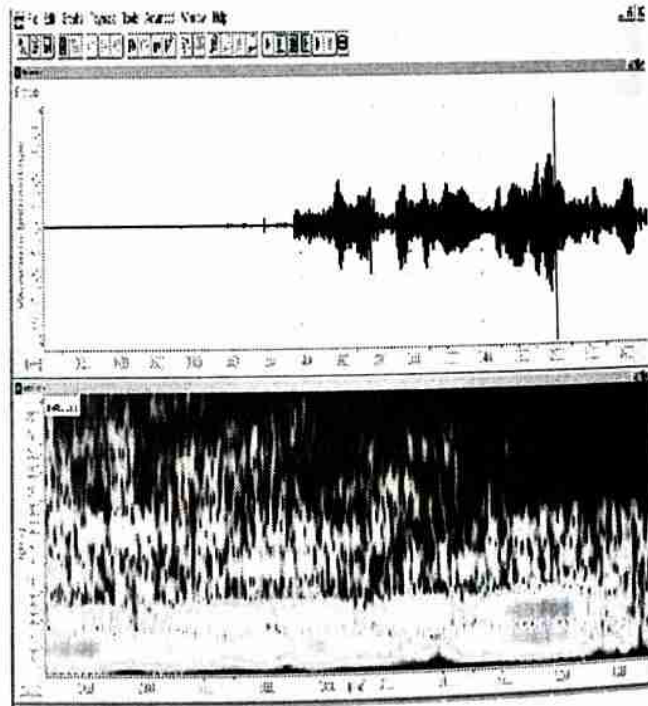
F2 [0.120 ثا - 470 H Z]

نلاحظ تشابكا في البواني لنطق الإدغام التام بين النون واللام وكأنه يشكل صوتا واحدا.

العينة: 08 (له)

له تنطق بالمد هو

← له [lahou]





له ← مدّ صلة صغرى 2 ح (توابع المدّ الطبيعي).

التحليل البياني:

استغرق نطق الهاء ممدودة ز: 0.600 ثا.

أعلى وحدة هو 40 وحدة

هو [0.600 ثا - 40 و]

التمثيل الطيفي:

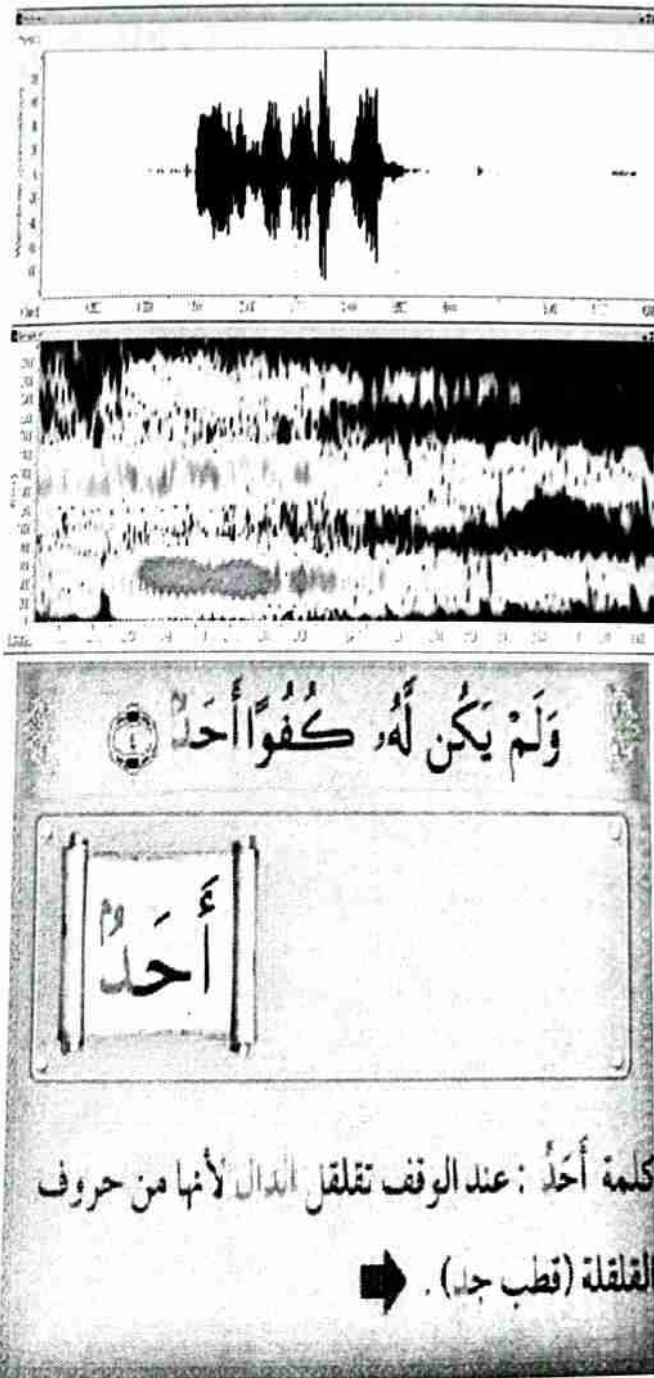
F1 [0.600 ثا - 200 H Z]

F2 [0.600 ثا - 400 H Z]

نلاحظ تشابك في البواني في حركة المدّ الطبيعي لصوت الهاء.

العينه 09: (اءء)

أءء — مقلقلة صوت الءال [d⁰]



ء — [d⁰] — ءءءة صوت الءال.

يعءبر صوت الءال من الأصوات المقلقلة + ساكن عءء الوقف

التحليل البياني:

استغرق نطق ذ ز: 0.4 ثا.

أعلى وحدة ذ 80 وحدة

ذ [0.4 ثا - 80 و]

التمثيل الطيفي:

F1 [0.4 ثا - 550 HZ]

F2 [0.4 ثا - 550 HZ]

نلاحظ قلقلة الدال +سكون الوقف مما أدى إلى عدم تشابك البواني لأن السكون يضعف من قوة الصوت من قوة الصوت مهما كان مقلقلا.

هذه مجمل الظواهر الصوتية التي طرأت على سورة الفاتحة ويمكن إسقاطها على باقي الظواهر الموجودة في الآيات المتبقية من السور القرآنية من: مد وإدغام وإظهار وإخفاء، ونقل، وتفخيم، وترقق، ووقف... الخ⁽¹⁾.

(1) ينظر: المصحف الشريف _ كلمات القرآن: تفسير وبيان _ برواية ورش عن نافع _ الخطاط: عثمان طه _ سوريا _ دمشق _ دار المعرفة _ مطبعة الثريا _ ط: 3 _ 1425 هـ _ من ص: 187 إلى ص: 207.

الخاتمة:

من خلال ما سبق ذكره وتحليله توصلنا إلى النتائج الآتية:

✓ يفيد التحليل الصوتي للعينات في تعيين الصفات الفيزيائية للصوامت والصوائت بمختلف أنواعها وذلك بتحديد ما داخل الفم عند إنتاجها (على مستوى الحنجرة)، وعرض النتائج بصورة دقيقة.

✓ بفضل الحزم أو البواني (les formants) نستطيع أن نحدد درجة التردد أو عدد الذبذبات في الحركات (les fréquences) التي يظهرها الرأس الطيفي، فانهدام الحركات (الصوائت) قد يؤدي إلى غياب كلي للصورة الطيفية.

✓ إذا ما خزن صوت أنموذجي لقارئ ما وكان هذا الأنموذج وافيًا وقطع إلى أجزاء مناسبة للدراسة، فإنه بالإمكان إعادة تركيب هذه الأجزاء ومعالجتها آليًا، وذلك لتقييمها وتقويمها.

✓ ومحاولة وضع أنموذج صوتي (phonétique model) يتكون من توصيف صوتي دقيق لمخرج الظاهرة الصوتية وذلك هو هدف علم اللغة الحاسوبي الذي فتح مجالًا كبيرًا لبحوث في اللغة من جوانب مختلفة وبوسائل متقدمة من أجل تقديم حقائق علمية جديدة، ومن أجل قضايا واقعية اللغوي، فمثل هذه الدراسات تعمق الصلة بين القدامى فيما ذهبوا إليه وبين المحدثين فيما توصلوا إليه.

✓ إنشاء برامج آلية لتيسير تعلم القراءات القرآنية عن طريق الشراكة بين مجيدي القراءات وذوي الاختصاص التقني (الإلكترونيات والإعلام الآلي).

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

- المصحف الشريف _ كلمات القرآن: تفسير وبيان _ برواية ورش عن نافع _ الخطاط: عثمان طه _ سوريا _ دمشق _ دار المعرفة _ مطبعة الثريا _ ط: 3 _ 1425 هـ.
- قرص تلاوة القرآن الكريم - متوفر - المقرئ "محمد ياسين المصري".
- أ/ باللغة العربية:
- 1/ أسس اللغة - ماريو باي - ترجمة: أحمد مختار عمر - ليبيا - جامعة طرابلس - د ط - 1973 -
 - 2/ التعريفات - الجرجاني - لبنان - بيروت - عالم الكتب - ط 1 - 1996 -
 - 3/ دراسات في علم الأصوات - صبري المتولي - القاهرة - كلية زهاء الشرق للنشر - ط: 1 - 2006 م -
 - 4/ رسالة أسباب حدوث الحروف - أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا - تح: محمد حسان الطيان ويحي مير علي - سوريا - دمشق - دار الفكر - مطبوعات مجمع اللغة العربية - ط: 1 - 1983 م -
 - 5/ الصوت اللغوي في القرآن - محمد حسين علي الصغير - دار المؤرخ العربي - بيروت - لبنان - دون طبعة - دت.
 - 6/ الصوتيات العربية - منصور الغامدي - السعودية - مكتبة التوبة العربية - ط: 1 - 1421 هـ / 2001 م.
 - 7/ الظواهر الصوتية في قراءة نافع - أطروحة دكتورا علوم - راضية بن عريية - أشرف: خير الدين سيب - جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - الجزائر 2011/2012.

8/ علم الأصوات العام: أصوات اللغة العربية _ بسام البركة _ لبنان _ بيروت
_ مركز الإنماء القومي _ د ط _ 1988 م _
المدخل إلى علم الأصوات - دراسة مقارنة - صلاح الدين صالح الحسين -
سوريا - دار الاتحاد العربي - ط: 1-1971.

ب/ باللغة الأجنبية:

1 / Cours de phonétique acoustique- E. Emerit-Société nationale
d'édition- Alger- 1977-.

2/Informatique graphique méthodes et modèles Bernard
Peroche Djamchid Ghazanfarpour Dominique Mechelucci
_Marc Rolens Édition Hermes _Paris _France _1997_

ج/ المواقع الإلكترونية:

- تعلم سورة الإخلاص بالتجويد للشيخ محمد يس في 9 دقائق - على الرابط
الإلكتروني: <https://www.youtube.com/watch> بتاريخ
2018/06/01 في الساعة: 12:30

-: <https://phonetics-acoustics.blogspot.com> بتاريخ:
2018/05/31 في الساعة: 09:00 سا

إنّ جميع الآراء الواردة في هذا المؤلف الدولي تعبر عن وجهة نظر أصحابها
فقط ولا تعكس رأي الهيئات المشرفة على فعاليات المشروع الدولي رسالة الباحث

بسم الله



المؤلفون:



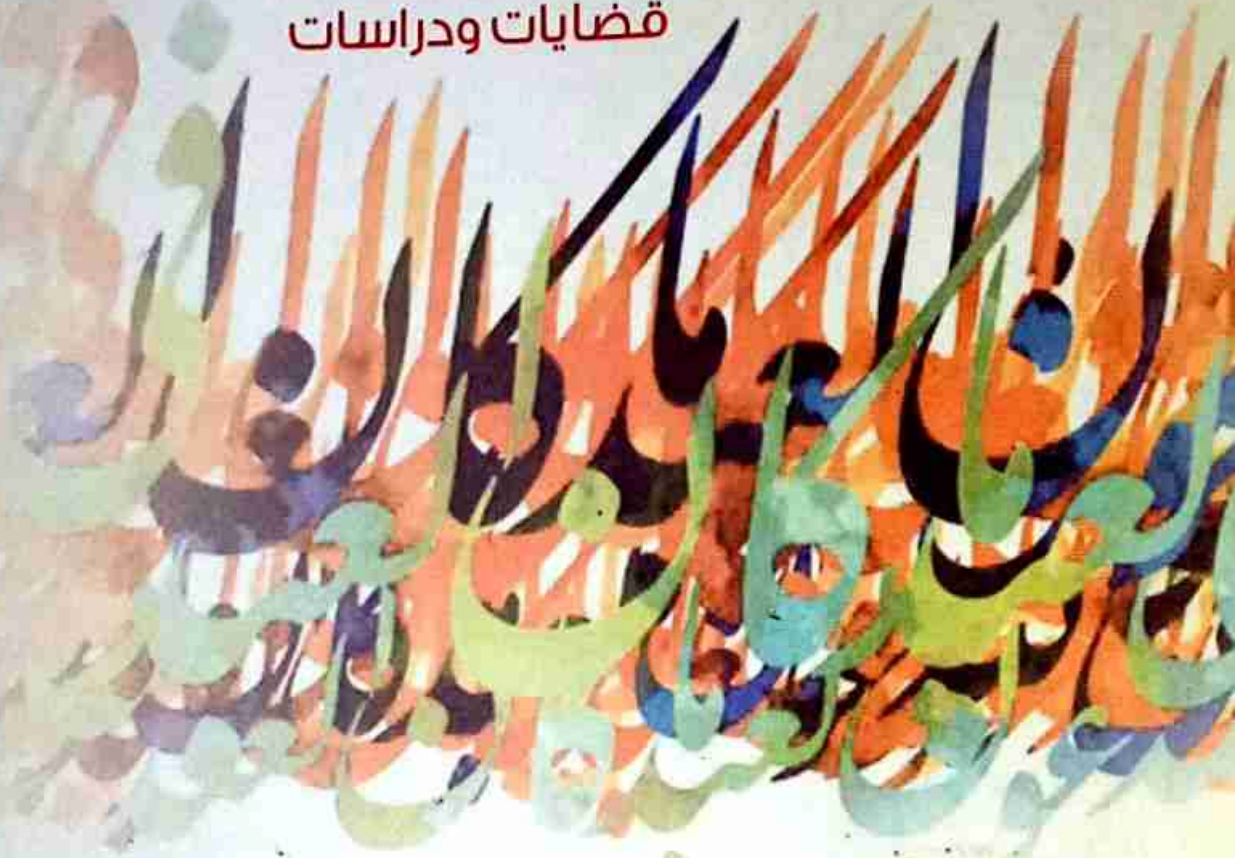
- | | |
|---------------------------|--------------------------------|
| د. نصيرة غقاقلية (عنابة) | د. بوداود براهمي (غليزان) |
| أ. د. ليلى سهل (بسكرة) | د. محمود خلف البادي (السعودية) |
| د. إسماعيل حيمور (تيارت) | د. فرح يدوح (تلمسان) |
| أ. رميساء مزاهدية (بسكرة) | د. خالد حسين أبو عمشة (الأردن) |
| د. راضية بن عريبة (الشلف) | |

منشورات مختبر اللغة والتواصل المركز الجامعي أحمد زبانة - غليزان.

المشروع الدولي رسالة الباحث

الصوتيات

قضايا ودراسات



AlphaDoc

36 مكرر نهج سايفي أحمد س م ك قسنطينة - الجزائر
هاتف: +213 31 733 333 فاكس: +213 31 733 794
عمان، الأردن، البوابة الشمالية للجامعة الأردنية/هاتف: +962.797266248
بريد الكتروني: alphadocumentation@hotmail.com

ISBN. 978-9931-691-87-7



9 789931 691877